

تعريف الخلف  
برجال السلف  
القسم الأول

تأليف

أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول  
عكمله الله باطفيه آمين

تحقيق

محمد أبو الأحفان عثمان بطيخ

مدرس الفقه بالكلية الزيتونية  
للشريعة وأصول الدين  
مجازي في الشريعة ومجازي في الحقوق  
من الجامعة التونسية

المكتبة الحتيقة

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف الخلف  
برجال السلف  
القسم الأول

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صدي وصالحه  
ماتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ بريقيا: بيوتيران



المكتبة العتيقة ٦١ نهج جامع الزيتونة - تونس - هاتف ٦٧٩-٠٤٠٦٧٩

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله على نواله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله . أما بعد :  
فالظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد قديماً في طلب العلم بجميع أسبابه ،  
وأتاه من سائر أبوابه ، ووقف على معقوله ومنقوله ، فتمكّن من أصوله  
وفصوله ، وكان لعلوم وقته جامعاً ، ولرايتها رافعاً . مثل أخويه المغربين  
الأقصى والأدنى ، فظهر في الأقاليم بدره . واشتهر في التاريخ قدره . بعلماء  
بنوا تأليفهم على أركان التحقيق ، وحصنوها بأسوار التدقيق . فكانوا في  
عصرهم نجوم اهتداء ، وأئمة اقتداء ، ولكن طواهم وأضرابهم فلك الانقلاب  
في مغارب الأفول ، فذهبوا ولسان حالهم يقول :

تلك آثارنا تدلُّ علينا \* فانظروا بعدنا إلى الآثار

هذه ضرائحهم ينادي لسان صدقها بأن أهل زمنهم ، وما أدراك ما هم ،  
قد أجمعوا على أنهم رجال ، كان العلم قوتهم ، والعمل الصالح ياقوتهم ،  
فأنفوا أعمارهم في إرشاد الأمة وتنوير بصائرهم ، وخلد الحق ذكرهم ،  
فلهجت بذكرهم أقلامه على السنة خلقه .

هذه أسماؤهم وتراجمهم مزاحمة لأسماء وتراجم أعيان الزمان في كتب

المتيقظين لحفظ الطبقات العليا من عالم الإسلام في بطون الدفاتر ، لثلا تقع في أغوار التناسي وآبار الإهمال ، وهم رجال التاريخ وعدوله ، الذين قيدهم النظر إلى ميزان الحسنات والسيئات بين يدي ملك يوم الدين عن ذكر الإنسان بما ليس فيه ، وعن تقصيرهم في تحصيله بما يعلمونه منه مباشرة أو بواسطة من لا يُتَّهَم في درايته وروايته .

هذه تأليفهم نثراً ونظماً ، منتفع بها في المغرب والمشرق تعلماً وتعليماً ، مشتهرة فيهما اشتهار مؤلفيها عند كل طالب علم وفي كل كتاب :

المرء بعد الموت أُخْدُوْثُهُ \* يَفْنَى وَتَبْقَى مِنْهُ آثَارُهُ  
فأَحْسَنُ الْحَالَاتِ حَالُ أَمْرِي \* تَطْيِبُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَخْبَارُهُ

ولمَّا آلت ولاية القطر الجزائري<sup>(١)</sup> للحازم الخطير سمو الوالي العام جونا ، المجتهد في جلب المهمات ، ودفع الملمات ليل نهار ، صوب نظره السامي نحو مسلمي بر الجزائر بمزيد الإمعان ، وأحيا جليلهم خير ما كان لأسلافه من مدينة الإسلام ، وأحسن إليه بما يناسبه من العصر الجديد لاجتماع كسوره وانتظام أموره ، وليمكنه الارتقاء في مدارك العمران ومدارج العرفان ، والتقدم في طريق النجاح المادي والمعنوي تقدماً محسوساً بحركات علمه وعمله ، عساه أن يكون تلميذ العصرين ومجمع البحرين : عصر الشرق القديم وبحره ، وبحر الغرب الجديد وعصره ، وتكون السعادة وطاؤه ، والاستقامة غطاؤه ، إذ هما مطمح نظر كل إقليم نهضت به العلوم ، ومدار كل مدينة في العالم . ولم يصر الغرب إلى ما صار إليه في التاريخ الجديد إلا بالتلمذة لأهل العلم وبالمناقسة في المظاهر والمناظر المستنبطة من المعارف ، ولولا ذلك ما بزغت فيه شمس الحياة الحاضرة ، ولما سرت في أهله روح الشعور بآفاق أخرى من

(١) بعد فترة طويلة لم يكن فيها من رسوم العلم إلا كِبَرُ العمامة ، للوليمة والإمامة . ولا من رسوم الرفاهية إلا الطيالة والقفاطين ، المناهية لاستئجار الماء والطين ، وهما في هذا العالم مادة الخلق وجادة الرزق .

فضاء المعقولات ، لا ينتهي فيها الفكر إلى حد ، ولا يقنع الذهن بها عما وراءها ، فتسابقوا بين طرفي الضروريات والنظريات ، يُتَقَبَّونَ عن نسب الممكنات وخواصها ، ويبحثون عن أسرارها ، حتى وقفوا على كثر من كنوز الموضوعات والمحمولات ، اكسره المسابير الرياضية ، وابرزهُ النواميس الطبيعية ، فهزوا الأطواد ، وطووا الأبعاد ، وطاقفوا بأجرام السماء ، وأبصروا أمعاء الخفاء ، وفتقوا رتق الأثير ، وحرّكوا بسيله الجوامد ، وأناروا بتموجه المظلمات ، وتخطبوا بواسطته على بعد القطبين ، فضلاً عن اخضاع الصياصي ، والأخذ بجميع النواصي .

من الحسّنات الخالدة المتخلد بها ذكر سمو الوالي العام الجنب جونا ، تشييد « المدرسة الثعالبية » التي لوحظ في تخطيطها قبل الشروع فيها أساليب البناء الأندلسي ومحاسنه ، فتمت على غاية الإحكام والإنقان ، مزدانة بُنُكَّت الملاحه ومواقع الاستحسان في بقعة بجوار الولي العارف القطب الشهير الإمام سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، وسميت « بالثعالبية » نسبة إليه ، وهي مشرفة على البحر لتروح بنسيمه ، ومواجهة لجبال البر على مسيرة أيام ليسرح التلامذة أنظارهم في الأفق وقت الاستراحة ، فتشرح صدورهم ، ولما تمّ بناؤها تسامع بها أهل العلم والمعرفة في القطر ، وتخابروا عنها ، فنهض من زارها وما انصرف حتى هنا أبناء بلاده الجزائرية وأعقابهم بوجودها ، ومنهم من عزم على زيارتها عند أول مناسبة .

هذه المدرسة أعجبت أهل الذوق السليم ، بمنظر ظاهرها الجميل ، ورونت داخلها ، فأول ما يراه الزائر عن يمينه قبل دخولها آيات بالعربية للجامع هذا الكتاب الفقير الحفناوي ، وعن يساره بالفرنسوية تاريخ البناء في عهد سمو الوالي الحالي .

## ونص الأبيات :

في كلِّ جيلٍ من الأجيالِ أخیارُ \* وخیرُهُم مَنْ لَهُ في العلمِ أخبارُ  
بالعلمِ شادَ بنوا اليونانِ دورَهُم \* وكانَ للعُربِ فيه بعدُ آثارُ  
كلُّ مَضَى تاركاً في العلمِ مَنْقِبَةً \* كأنَّها علمٌ في رأسِهِ نَارُ  
واستخلفوا دولةَ الجمهورِ قائِمةً \* بكلِّ علمٍ له في العصرِ أنوارُ  
وهذه آيةُ العرفانِ مُشرقَةٌ \* بالثَّعلبية<sup>(١)</sup> نِعَمَ الاسمُ والجارُ  
شَيدتْ وتاريخُها لجنسنا فتحت \* وذو الولايةِ نجمُ العصرِ جوناورُ

١٩٠٤

١٣٢٢

فإذا دخلها وجال في أكنافها شاهد ما لا يغني فيه البيان عن العيان ، كترتيب البيوت ، وتفصيل القاعات ، واتساق الأساطين وارتفاعها ، وتوازن القسي وتوازيها ، وانتظام غرفها وفساحتها ، وعلو قبابها وتركيبها ، ونقش جدرانها بالأمثال ، على مثال عجيب الاشتباك ، غريب الاحتباك ، يقرؤه من له ملكة فيه، فيستفيد منه مواعظ بليغة وحكماء بالغة ، ثم إذا رفع بصره نحو القباب الخمسة يرى في قواعدها بالخط الأندلسي أسماء أجلة من رجال العلم العربي في القطر الجزائري وما في حكمه :

هِمَمُ الملوِكِ إذا أرادوا ذِكرَها \* من بعدهم فبالسُّنَنِ البُنيانِ  
إن البِناءَ إذا تعاظَمَ شَأْنُهُ \* أضْحى يدلُّ على عَظِيمِ الشَّانِ

ففي قواعد القبة الكبرى وهي الوسطى ١٢ اسماً ، وفي قواعد القباب الأربعة التي في زوايا المدرسة ٣٢ اسماً ، في كل منها ٨ أسماء على عدد قواعدها ،

(١) لضرورة الوزن عبر بالثعلبية عن الثعلبية .

ومع الأسماء تواريخ الولادة مرقومة قبلها ، وتواريخ الوفاة بعدها ، وترتيب الأسماء في القباب سنوي ، وترتيبها هنا هجائي ، وهي أسماء المترجمين في القسم الأول من هذا الكتاب الجامع لما تيسر نقله من الكتب الموجودة باليد ، وخصوصاً « عنوان الدراية » و« البستان » و« الديباج » و« نيل الابتهاج » و« كفاية المحتاج » و« خلاصة الأثر » و« سلك الدرر وصفوة من انتشر » و« جذوة الاقتباس » و« نشر المثاني » و« نفح الطيب » و« وفيات الأعيان » و« فواتها » و« الجبرتي » و« سلوة الأنفاس » .

ولم أعثر على غير هذه الجملة من كتب التاريخ بعد البحث الطويل في مظانه ، ومحاولة مساجن المؤلفات بكل حيلة ووسيلة ، لأن المستحوزين عليها يفضلون بقاءها ذخيرة للأرضية على إفادة طالبها بها واستفادتهم منها ، ولا يباليون بما وراء ذلك ، زاعمين أنهم باستعارتها فقدوا منها كتباً نفيسة المواضيع عزيزة الوجود . نسأل الله توفيقنا وإياهم لما فيه رضاه .

لهذا السبب لم أقف على تراجم علماء أشهر كالرماصي والأخضري وغيرهما ، ولا يسعني تجاوزهم فأذكرهم بما أعلمه ، وإن قل فعذراً يا أهل الإطلاع وطول الباع ، عذراً لمن لم يساعده الحال على ذكر آباء ، أحياء في الأوراق أموات في الآفاق ، وشكراً لحكومتنا الجزائرية على هذه المساعدة الجليلة بطبع ما يسر أبناء طينتنا وديننا من معارف الاعتبار ومآثر الاختبار ، وشكراً للسادة الذين أعاننا بعضهم بقائمات فيها أسماء ، جلها مجرد عن الوصف والزمان والمكان ، وهم لطف الله بنا وبهم يظنون أنهم أتوا بشيء لم يستقيم إليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق ، وإذ شرحت عذري للمطلعين الكرام فليكن اسم هذا المجموع بهذا اللفظ .

## تعريف الخلف برجال السلف

وبعضهم تلقى طلبنا بالترحيب والتقريب ، ولم يشح علينا بما عنده وخصوصاً  
وحيد عصره ، وعلامة مصره ، بقية السلف ، وبركة الخلف ، الرجل الصالح  
الأستاذ الناصح سيدي علي بن أحمد بن الحاج موسى ، قِيم الروضة الثعالبية  
في مدينة الجزائر ، متعنا الله بحياته وأعاد علينا من بركاته ، فأعارني كتابه  
« ربح التجارة في مناقب سيدي أحمد بن يوسف الرّاشدي الملياني » و« سلك  
الدرر » و« نشر المثاني » و« كتاب الملاي في مناقب سيدي محمد بن يوسف  
السنوسي التلمساني » و« عنوان الدراية » و« البستان » . ومثله في هذه الشيمة  
الكريمة التقى النبي طيب الأعراق والأخلاق المفيد المستفيد سيدي علي بن  
الحداد الجزائري فأعارني « جذوة الاقتباس » و« كفاية المحتاج لمعرفة من  
ليس في الديباج » وغيرهما من الكتب العزيزة . وأعانني الشريف ابن الشريف  
السيد أبو طيبة الحاج بن آمنة بكتاب « الياقوتة الوهاجة » فاقتطفت منه ترجمة  
جده سيدي محمد ابن علي مولى مجاجة . وأعارني السيد محمد الهواري التاجر  
في مدينة الأصنام « مختصر النجم الثاقب » لابن سعد ، فقابلت فيه ترجمة  
جده سيدي محمد بن عمر الهواري الوهراني بترجمته في « نيل الابتهاج » .  
كما أفادني قاضي حنفية الجزائر بترجمة عمه سيدي عبدالله الدراجي المدني  
رضي الله عنه وعن جميع عباد الله الصالحين .

هذا الكتاب قسман :

أولهما : في تراجم العلماء المكتوبة أسماؤهم في المدرسة الثعالبية .  
وثانيهما : في تراجم غيرهم من علماء البر الجزائري ، وما يليه من الأقطار  
كالسودان ونحوه :

هَمْ الرِّجَالُ وَغَبْنُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ \* لَمْ يَتَصَفَّ بِمَعَانِي وَضَفَّهِمْ رَجُلٌ

## تنبیه

أذكر تحت اسم كل عالم الكتاب الذي نقلت منه ترجمته ، إن كان مذكوراً في كتاب ، وأضع عند تمامها لفظة « انتهى » ، أو مختصرها ، وأعطف عليها ترجمته في كتاب آخر ، إن كانت . وقد اجتنبت النقل من « البستان » و« عنوان الدراية » لما في نسختيهما لديّ من المسخ الفاحش في غالب الكلمات ، أو لا أنقل منهما إلا ما لا شك فيه عندي ، أو ما أستخرجه بمحاولة طويلة إذا لم أجده في غيرهما ، ودعني إليه الضرورة كما أن الكتب المطبوعة على الحجر في المغرب لا تخلو من خلل في الحروف والأرقام ، فكأنها لم تطبع مع نفاسة موضوعها وعزة وجودها ، وشدة الحاجة إليها ، ومع ذلك فرحم الله الساعين في نشرها ، وشكر الله صنيعهم ، وباليتم يتحفون عالم العلم بالذخائر المكنونة في الخزائن المغربية لإحيائها وإحياء أهلها اللهم آمين .



## القسم الأول

من تعرفي الخلف رجال السلف

إبراهيم بن أبي بكر التلمساني  
من «دياج ابن فرحون»

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري ، تلمساني ، وقشي الأصل ، نزيل سبته ، يكنى أبا اسحاق ، ويعرف بالتلمساني .

كان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط ، مبرزاً في العدد والفرائض ، أديباً شاعراً محسناً ماهراً في كل ما يحاول ، ونظم في الفرائض وهو ابن ٢٠ سنة أرجوزة « هي التلمسانية المشهورة » ، محكمة بعملها ضابطة عجيبه الوضع .

قال ابن عبد الملك : وخبرت منه في تكراري عليه تيقظاً وحضور ذكر ، وتواضعاً وحسن اقبال ، واشتغالاً بما يعنيه في أمر معاشه ، وتخاملاً في هيئته ولباسه .

قال ابن الزبير كان أديباً فاضلاً لغوياً إماماً في الفرائض .

لقي أبا بكر بن محرز ، وأجاز له ، وكتب إليه مُجيزاً أبو الحسن بن طاهر الدباج ، وأبو علي الشَّكَّوِين ، ولقي بسبته أبا العباس علي بن عصفور الهواري ، وأبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة . وسمع علي أبي يعقوب

يوسف بن موسى المحاسني الغماري ، وروي عنه الكثير ممن عاصره ، كأبي عبدالله بن عبد الملك ، وغيره .

وله تواليف منها : الأرجوزة الشهيرة في الفرائض ، لم يصنف في فنها مثلها ، ومنظوماته في السير ، وأمداح النبي ﷺ ، من ذلك العشریات علی أوزان المغرب « الملحون » ، وقصيدته في المولد الكريم ، وله مقالة في علم العروض الدوبيتي ، وله شعر ، منه قوله :

الغدرُ في الناسِ شِيمةٌ سلفتُ \* قد طالَ بينَ الوری تصرفُها  
ما كلُّ منْ قد سرت له نَعَم \* منك يرى قدرَها ويعرفُها  
بل ربّما أعقبَ الجزاءَ بها \* مَضْرَّةٌ عزَّ عنكَ مَضْرِفُها  
أما ترى الشَّمسَ كيفَ تعطفُ بالنُّورِ على البدرِ وهو يكسِفُها

ومولده سنة ٦٩٩ هـ .

وفي « البستان » إنه قرأ بمالقة على أبي بكر بن دحمان - الصواب ابن محرز - ، وأبي صالح بن الزاهد ، وأبي عبد الله بن حميد ، وأبي الحسن سهل بن مالك وانتقل به أبوه إلى الأندلس ، وهو ابن تسعة أعوام ، فاستوطن غرناطة ثلاثة أعوام ، ثم انتقل إلى مالقة ، ثم إلى سبتة ، وتزوج أخت مالك ابن المرحّل ، وهي أم بنيه ، وبها توفي بعد الستين وتسع مئة ( لعله وسبع مئة ) ، وكان مولده بتلمسان سنة ٩٠٦ ( لعله ٦٩٦ ) هـ .

وفي « نفح الطيب » إن ابن مسدي قال : أنشدني أبو الحسن سهل بن مالك لنفسه سنة ٦٣٧ بداره بغرناطة :

مُنْغَصُ العیشِ لا یأوی إلى دَعَا \* مَنْ كَانَ ذا بِلَدٍ أَوْ كَانَ ذا وَلَدٍ  
وَالسَّاکِنُ النَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتُهُ \* سُكْنَى مَكَانٍ وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى أَحَدٍ

وباحث سهل بن مالك هذا أبا الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي ،  
مشمم كتاب « المعرب في أخبار المغرب » عن نظمه إلى أن أنشده في صفة نهر ،  
والنسيم يردده ، والغصون تميل عليه :

كَأَنَّمَا النَّهْرُ صَفْحَةً كُتِبَتْ \* أَسْطُرُهَا وَالنَّسِيمُ يُنْشِئُهَا  
لَمَّا أَبَانَتْ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهَا \* مَالَتْ عَلَيْهَا الْغُصُونُ تَقْرُؤُهَا  
فَطَرِبَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

وكان مولده بفرنطة ليلة الفطر سنة ٦١٥ ، ووفاته بتونس في حدود  
٦٨٥ هـ . فيؤخذ من هذا أن المترجم من أهل القرن السابع مولداً ، والثامن  
وفاة ، وأن التسع مئة في نسخة البستان محرفة عن سبع مئة .

أبو القاسم بن الإمام أبي عبد الله  
ابن الإمام الحافظ سيدي عبد الجبار  
الفيجيبي البرزوني  
من « صفوة من أنتشر »

أحد المشاهير ، ومن له الصيت في كل أفق ، تجول في الآفاق ، فأخذ عن  
علمائها ، وأخذ الناس عنه ، مع الدين المتين ، والصلاح الظاهر ، وعمدته في  
الطريق العارف الكبير الإمام الجليل سيدي محمد ابن أستاذ الطائفة البكرية  
ولي الله أبي الحسن البكري .

وهو يروي عن أبيه ، عن الشيخ زروق . ومن فوائده أن الشيخ نجم  
الدين الغيطي صنع وليمة فكتب بهذين البيتين للشيخ البكري المذكور ، يستدعيه  
بهما إلى منزله :

فَإِنْ زُرْتُمْ وَتَفَضَّلْتُمْ \* وَشَرَّفْتُمُونَا بِنَقْلِ الْقَدَمِ  
فَلَيْسَ بَعَارٍ وَلَا مُنْقَصٍ \* دَخُولُ الْمَوَالِي بِيُوتِ الْخَدَمِ  
ومن شعر شيخه البكري قوله في صدر رسالة كتب بها لسلطان مراکش  
أحمد المنصور :

وَلَمَّا نَأَيْتُمْ وَلَمْ اسْتَطِعْ \* وَصُولاً لِحَضْرَتِكُمْ بِالْقَدَمِ  
سَعَيْتُ إِلَيْكُمْ بِرِجْلِ الرَّسُولِ \* وَخَاطَبْتُكُمْ بِلِسَانِ الْقَلَمِ  
ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضاً والده ، عن ابن غازي ، والونشريسي ،  
والدقون ، والسنوسي ، وابن مرزوق ، والقلصادي ، وغيرهم ، وبيت بني  
عبد الجبار بفجيج ، له شهرة بالعلم والدين .  
توفي رحمه الله عام ١٠٢١ .

### أبو العباس أحمد بابا التنبكي من « خلاصة الأثر »

أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ابن عمر بن علي بن  
يحيى بن كذالة بن مكّي بن نبق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن حيراي  
ابن النجر بن نصر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي ، الماسي ، السوداني .  
يُعرف بابا صاحب كتاب « نيل الابتهاج ذيل الديباج » و تكملته « كفاية  
المحتاج » .

وقد ترجم نفسه في آخرها فقال : مولدي كما وجد بخط والدي ليلة  
الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام ٩٦٣ ، ونشأت في طلب  
العلم ، فحفظت بعض الأمهات ، وقرأت النحو على عمي أبي بكر الشيخ

الصالح ، والتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والتصوف وغيرها على شيخنا العلامة بغيع ، ولازمته سنين ، وقرأتُ عليه جميع ما تقدم عني في ترجمتي ، وأخذتُ عن والدي الحديث سماعاً ، والمنطق ، وقرأتُ « الرسالة » و « مقامات الحريري » تفقهاً على غيرهم . واشتهرتُ بين الطلبة بالمهارة على كلل وملل في الطلب ، وألّفتُ عدة كتب تزيد على أربعين تأليفاً :

كشرحي على « مختصر خليل » من أول الزكاة إلى أثناء النكاح ممزوجاً محرراً ، وحواشي على مواضع منه ، والحاشية المسماة « مِنُ الربِّ الجليل في مهمات تحرير خليل » يكون في سفرين ، و « فوائد النكاح على مختصر كتاب « الوشاح للسيوطي » وغيرها .

قال الثقة أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي في « فهرسته » في ترجمتي : كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام الحسن ، حسن التصنيف ، كامل الحظ من العلوم ، فقهاً وحديثاً وعربية ، وأصلين ، وتاريخاً ، مليح الاهتمام لمقاصد الناس ، مثابراً على التقيد والمطالعة ، مطبوعاً على التأليف ، ألف تأليف مفيدة جامعة ، فيها أبحاث عقلية ونقليات ، وهي كثيرة :

كشرحه على « مختصر خليل » من الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين ، و « تنبيه الواقف على تحرير نية الحالف » في كراس ، وتعليق على أوائل الألفية سماه « النكت الوفية بشرح الألفية » وآخر سماه « النكت الزكية » لم يكملها ، و « نيل الأمل في تفضيل النية على العمل » و « غاية الإجابة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة » في كراسين ، وآخر سماه « النكت المستجادة في مساواتهما في شرط الإفادة » ، و « التحديث والتانيس في الاحتجاج بابن إدريس » يريد بالفاظه على العربية ، في ورقات ، و « جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة

الظلمة أولى الظلمة» في كراسين ، و« مختصر ترجمة السنوسي » في ثلاثة كراسيس ، و« شرح الصغرى » للسنوسي في أربعة كراسيس ، و« نيل الابتهاج بتذليل الديباج » ، و« المطلب المأرب في أعظم أسماء الرب تعالى » في كراسة ، و« ترتيب جامع ( الميعاد<sup>(١)</sup> ) » للونشريسي ، كتب منه كراسيس . وله أسئلة في المشكلات ، ثم امتحن في طائفة من أهل بيته بثقافتهم في بلدهم في المحرم سنة ١٠٠٢ على يد محمود بن زرقون ، لما استولى على بلادهم ، وجاء بهم أسرى في القيود ، فوصلوا مراکش أول رمضان من العام ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى أن أحجم أمر المحنة ، ففرحوا يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان سنة ١٠٠٤ ، ففرحت قلوب المؤمنين بذلك ، جعلها الله لهم كفارة لذنوبهم ، ثم ذكر مقروءاته على صاحب الترجمة قال : وكان من أوعية العلم صان الله مهجته اه .

قال المترجم : ولم ألف بالمغرب أثبت منه ولا أوثق ولا أصدق ولا أعرف بطريق العلم منه ، ولما خرجنا من المحنة طلبوني للإقراء ، فجلست بعد الإبادة بجامع الشرفاء بمراكش ، أقرأ كتباً ، ثم قال : وازدحم الخلق علي وأعيان طلبتها ، ولزاموني<sup>(٢)</sup> بالإقراء على قضاتها ، كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، وهو كبير ينيف على ستين ، وكذا قاضي مكناس الرحلة المؤلف صاحب أبي العباس بن القاضي المكناسي ، له رحلة للشرق لقي فيها الناس ، وهو أسنٌ مني ، ومفتي مراکش الرجراجي ، وغيرهم ، وأفتيتُ بها لفظاً وكتباً بحيث لا تتوجه الفتوى فيها غالباً إلا إلي ، وعينت إلي مراراً ، فابتهمت إلى الله تعالى أن يصرفها عني ، واشتهر اسمي في البلاد من سوس الأقصى إلى بجاية ، والجزائر وغيرهما . وقد قال لي بعض

(١) هكذا في الأصل ولعله المعيار .

(٢) لعله ولا زمني .

طلبته<sup>(١)</sup> لِمَا قَدِمَ عَلَيْنَا مَرَاكَشَ لَا نَسْمَعُ فِي بِلَادِنَا إِلَّا بِاسْمِكَ فَقَطْ أَهْ هَذَا  
مَعَ قَلَّةِ التَّحْصِيلِ وَعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ مُصَدِّقٌ لِقَوْلِهِ ﷺ : « إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ ... » الْحَدِيثُ<sup>(٢)</sup> وَقَدْ نَاهَزَتْ الْآنَ خَمْسِينَ سَنَةً ، بِتَارِيخِ  
يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُسْتَهْلِ صَفَرِ عَامِ ١٠١٢ هـ كَلَامُهُ .

قُلْتُ وَمَنْ لَطَائِفُهُ مَا نَقَلَهُ عَنْهُ بَعْضُ الشُّيُوخِ إِذَا حَضَرَ طَالِبُ الْعِلْمِ مَجْلِسَ  
الدَّرْسِ غَدْوَةً ، وَلَمْ يَفْطَرْ ، نَادَى مُنَادٌ مِنْ قَعْرِ جَوْفِهِ الصَّلَاةَ عَلَى الْمَيِّتِ الْحَاضِرِ .  
وكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَابِعِ شَعْبَانَ سَنَةِ ١٠٣٢ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِي « نَشْرِ الْمَثَانِي » : الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْمُحَقِّقُ أَحْمَدُ بَابَا التَّنْبُكْتِي ، رَفَعَ نَسَبَهُ فِي  
كِتَابِهِ « كِفَايَةُ الْمُحْتَاجِ » وَذَكَرَ عِدَّةَ آبَاءَ ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالصَّنْهَاجِيِّ ، الْمُسَوْفِيِّ .  
وَذَكَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَقَارِبِهِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا بِالْعِلْمِ ، وَتَوَلَّى مِنْهُمْ خُطَّةَ الْقَضَاءِ جَمَاعَةً  
بِيَلَدِهِمْ ، فَكَانَتْ دَارُهُمْ دَارَ عِلْمٍ ، وَلَا إِشْكَالٍ .

أَخَذَ بِيَلَدِهِ عَنْ أَقَارِبِهِ النُّحُو وَالتَّفْسِيرَ وَالْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَالْأَصُولَ وَالْبَيَانَ  
وَالتَّصَوُّفَ ، وَأَلَفَ نَحْوَ أَرْبَعِينَ تَأْلِيفًا مِنْهَا :

شَرَحَهُ عَلَى « مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ » مِنْ أَوَّلِ الزَّكَاةِ إِلَى النِّكَاحِ ، فِي سَفَرَيْنِ ،  
وَحَاشِيَةً عَلَى « مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ » أَيْضًا فِي سَفَرَيْنِ ، وَ« تَنْبِيهِ الْوَاقِفِ عَلَى تَحْرِيرِ  
[ وَخَصَصَتْ ] نِيَّةَ الْحَالِفِ » فِي كِرَاسَيْنِ ، وَتَعْلِيقٌ عَلَى الْأَلْفِيَّةِ ، لَمْ يَكْمُلْ  
وَ« غَايَةُ الْأَمَلِ فِي تَفْضِيلِ النِّيَّةِ عَلَى الْعَمَلِ » وَ« غَايَةُ الْإِجَادَةِ فِي مَسَاوَاةِ الْخَبَرِ »<sup>(٢)</sup>  
لِلْمُبْتَدَأِ فِي اشْتِرَاطِ الْإِفَادَةِ » وَ« التَّحْدِيثُ وَالتَّائِيْسُ فِي الْاِحْتِجَاجِ بِابْنِ إِدْرِيسَ »  
يُرِيدُ بِالْفَافِ فِي الْعَرَبِيَّةِ . وَ« جَلْبُ النِّعْمَةِ وَدَفْعُ النِّقْمَةِ بِمُجَانِبَةِ الظُّلْمَةِ » وَ« شَرْحُ  
الصَّغَرَى » لِلْسَّنُوسِيِّ ، وَ« نَيْلُ الْاِبْتِهَاجِ بِالذِّيلِ عَلَى الدِّيْبَاجِ » وَ« الْمَطْلَبُ وَالْمَأْرَبُ  
(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ١٧٤/١ . ١٧٥ . فِي الْعِلْمِ بَابُ كَيْفَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ وَمُسْلِمٌ ٢٦٧٣ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ  
بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ( ش ) .

(٣) انْظُرْ هَذَا وَقَابَلْهُ بِمَا فِي السَّطْرِ ١٩ مِنَ الصَّفْحَةِ ١٧ .

في معظم أسماء الرب » .

وله مسائل وأجوبة ، وامتنحز رضي الله عنه في طائفة من أهل بيته بثقافتهم في بلادهم ، في محرم اثنين وألف على يد محمود بن زرقون ، لمّا استولى على بلادهم ، وجاء بهم أسارى في القيود ، فوصلوا مراکش أول رمضان من العام المذكور ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى أن انصرم أمر المحنة ، ففرّحوا يوم الأحد الحادي والعشرين لرمضان سنة أربعة وألف ، فقرحت قلوب المؤمنين لذلك ، جعلها الله لهم كفارة ذنوبهم .

ثم لما خرج من المحنة درس بجامع الشرفاء « مختصر خليل » و « تسهيل ابن مالك » و « الفية العراقي » و « تحفة الحكام » لابن عاصم ، و « جمع الجوامع » للسبكي ، و « حكم ابن عطاء الله » و « الجامع الصغير » للسيوطي ، و « الصحيحين » و « مختصرهما » و « الموطأ » و « الشفا » و « الخصائص الكبرى » للسيوطي ، و « شمائل الترمذي » و « الاكتفاء » للكلاعي ، وازدحم عليه الخلق وأعيان الطلبة ولازموه .

وقرأ<sup>(١)</sup> عليه القضاة ، كأبي القاسم بن أبي النعيم ، وكان حينئذ أناف على الستين سنة ، وكأبي العباس بن القاضي ، وعين للفتوى مراراً ، فابتهل إلى الله أن يصرفها عنه ، واشتهر اسمه ونعته من سوس إلى بجاية والجزائر .

ولد في الحادي والعشرين (٢١) من ذي الحجة عام ستين وتسع مئة (٩٦٠) . كل هذا وصف هو به نفسه لما ترجم لنفسه آخر كتابه « كفاية المحتاج » . وأثنى عليه جماعة من الناس بهذا ، وأكثر منهم تلميذه الإمام الزاهد الورع سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي ، وقال : ليس هو من السودان بل هو من صنهاجة من قبيلة منهم ، يقال لها : مسوفة ، ثم ذكر نحو ما تقدم ،

(١) قابله بما في السطر ١٢ من الصفحة ١٨ .

قال : وكان كثيراً ما يزور سيدي أبا العباس السبتي ، نقل عنه أنه قال : زرتة أزيد من خمس مئة مرة ، قال : وكانت عنده بطاقة ، مختوم عليها إذا جاء القبر يضعها عليه ، فيقول : إني أسألك ما في هذه البراءة لأنه قد يحضر معه غالباً بعض الملازمين له ، قال : ولما كتبت له تاريخه في أعيان العلماء تذيلاً لديجاج ابن فرحون أكّد علي في إخفائه قلت : وهذا المناسب في العمل الذي يكون لله لا يظهره ، إذ ربما وافق هوى أحد ، وربما خالفه ، فيستريح من آفات ذلك ، فإذا ظهر بعد موته فلا حرج .

وبيت صاحب الترجمة بيت علم وصلاح ، توارث العلم فيه نحو خمس مئة سنة ، وقد انفصل رحمه الله عام أربعة عشر وألف (١٠١٤) من المغرب ، قال : وسمعتة يقول : أنا أقل عشيرتي كتباً ، وذهبت لي ست عشرة مئة مجلد . اهـ . وناهيك ببیت علم تجمع فيه الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء مئين من السنين . اهـ . كلام المحقق سيدي أحمد بن علي السوسي من تأليفه المسمى « بذل المناصحة في فعل المصافحة » .

قلت : ولمثل هذا تبكي البواكي ، فلو احترم إقليم بعد جناية أهله بما يوجب عقوبة جميعهم ، لمثل هذا العالم الوحيد القدر العلي الذكر ، الذي به وبأمثاله يحق الفخر ، لقلة وجود مُشاكِلِهِ في الدهر ، لكان ذلك أمراً أكيداً وفعلأ حميداً ، ثم استولى على من تعرض لهذا الأمر الفظيع ، والفعل الخسيس الشنيع ، داعي الهوى والشيطان حتى باء بالبعد والخسران ، فكان ختام أمره وفي مثالب ذكره ، فأصبح من العار بمكان ، وكان من أمره ما كان ، ولا بد لكل عامل أن يقدم على عمله ، ويسعى ما هياه لغيره دون أمله . حفظنا الله من معادة أوليائه ، وجعلنا من أهل قربه واصطفائه . اهـ .

وفي «الصفوة» : الإمام الفقيه العلامة أبو العباس سيدي أحمد بابا التنبكتي ، وليس هو من السودان ، بل من صنهاجة من قبيلة يقال لها : مسوفة ، ممن

برع في الفنون ، وتصلع بجميع العلوم ، وبيت أسلافه بيت علم وصلاح ، قال في « بذل المناصحة » : سمعته يقول : أنا أقل عشيرتي كتباً ، نهبت لي ست عشر مئة مجلد ، وناهيك ببيت علم جمعت فيه الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء ، وقد عرّف بنفسه في آخر « كفاية المحتاج » فقال : ولدت ليلة الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام ثلاثة وستين وتسع مئة ، ونشأت في طلب العلم ، واشتهرت بين الطلبة بالمناظرة على ملل وكلل في الطلب ، وألفت عدة كتب .

وقال صاحبنا الثقة أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي في « فهرسته » في ترجمته : كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام ، حسن التصنيف ، كامل الحظ من العلوم فقهاً وحديثاً وعربية وأصلين وتاريخاً ، مثابراً على التقييد والمطالعة ، مطبوعاً على التأليف ، ألف تأليف مفيدة ، وله أجوبة عن إشكالات ، وكان من أوعية العلم . اهـ . ملخصاً .

قال سيدي أحمد بابا : وصاحبنا الناقد المذكور لم ألق بالمغرب أثبت ولا أعرف بطرق أهل العلم منه اهـ .

قال أبو زيد في « الفوائد » : وقوله في ابن يعقوب لم ألق الخ جموح عن شهادة العيان ، فإن أبا يعقوب لم يبلغ مبلغ نعل الأئمة الذين كانوا يأخذون عنه ، كأبي الحسن ، وأبي عمران ، وأبي عبد الله الرجراجي ، وأبي العباس بن القاضي ، وابن أبي نعيم ، وأضرابهم . وبمثل هذه الغفلة كان يفتي رحمه الله بِحِلْيَةِ دخان التبغ المتن الخبيث ، الذي أجمع فقهاء الأمصار من الحرمين إلى بلد جزولة على حرمة لخبثه ، والجواد يكبو والسيف الصارم ينبو ، وأبو يعقوب المذكور من أدباء الدولة المنصورية . انظر التعريف به في كتابنا « النزهة » .

أخذ صاحب الترجمة عن أبيه ، وعن محمد بن محمود بغيغ ، كلاهما عن الشيخ محمود بن عمران المنسوب له شرح المختصر المسمى « بالسوداني » ، وأخذ محمود عن النور السهوري ، عن البساطي ، عن تلامذة خليل . كان رحمه الله دؤوباً على نشر العلم ، معتنياً بالمطالعة ، حريصاً على التأليف .

وامتحن رحمه الله مع أهل بيته فحملوا مصفدين في الحديد ، ومعهم حريمهم ، ونهبت خزائن كتبهم ، وسقط هو عن الجمل الذي كان يحمله ، فانكسرت رجله ، وبقوا في مراكش مسجونين عامين ، ثم سُرحوا ، وكان القبض عليهم في آخر المحرم عام اثنين وألف (١٠٠٢) ، ولما دخل على السلطان أبي العباس أحمد المنصور داره المسماة « بالبديع » ، وجده قد اتخذ حجاباً بينه وبين الناس ، وهو من وراء الستارة يتكلم ، فقال الشيخ : قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ <sup>(١)</sup> وأنت تشبهت بربّ الأرباب ، وإن كانت لك حاجة في الكلام معنا ، فأنزل لنا وارفع الحجاب عنا ، فنزل السلطان ، فقال له الشيخ : أي حاجة في نهب متاعي وتصفيدي من تنبكتو إلى هنا ، حتى سقطت من على ظهر الجمل وانكسرت رجلي ، فقال له السلطان : أردنا كي تجتمع الكلمة ، فقال له الشيخ : هلاً جمعتها بترك تلمسان ، فقال له السلطان : قال النبي ﷺ : « اتركوا الترك ما تركوكم » <sup>(٢)</sup> فقال له الشيخ : ذلك زمان ، وبعده هذا زمان . قال ابن عباس : لا تتركوا

(١) سورة الشورى الآية : ٥١ .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢) من حديث أبي سكينه رجل من المحرّرين ، عن رجل من الصحابة . عن النبي ﷺ قال : « دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » . ورواه النسائي ٤٣/٦ في الجهاد مطولاً ... وهو عند الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » من حديث الأعمش ، عن زيد ابن وهب ، وشقيق بن سلمة ، كلاهما عن ابن مسعود رفعه ، وله شاهد عند الطبراني من طريق ابن لهيعة ، عن كعب بن علقمة ، عن حسان بن كريب ، عن ابن ذي الطلاع ، عن معاوية بن أبي سفيان مرفوعاً به . قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » : وبعضها يشهد لبعض ، ولا يسوغ معها الحكم عليه بالوضع (ش) .

الترك وإن تركوكم . فسكت السلطان . ولما سُرح صاحب الترجمة من السجن بمراكش تصدر للتدريس فتنافس كبار طلبة مراكش في الأخذ عنه ، مع كون لسانه معقداً لا يفهم إلا بعد ممارسة .

قال في « تكميل الديباج » : ولما أخرجنا من المحنة ، طلبوا مني الإقراء ، فجلست بعد الإبابة بجامع الشرفاء بمراكش من أقوى جوامعها ، أقرأ « مختصر خليل » قراءة بحث وتحقيق ، ونقل وتوجيه ، وكذا « تسهيل ابن مالك » ، و« ألفية العراقي » ، فحُتِّمَ علي نحو عشر مرات ، و« تحفة الحكام » لابن عاصم ، و« السبكي » و« الحكم » و« الجامع الصغير » قراءة تفهم مراراً ، و« الصحيحين » مراراً ، و« مختصرهما » و« الشفا » ، و« الموطأ » و« الخصائص الكبرى » للسيوطي و« الشماثل » و« الكلاعي » ، وغير ذلك . وازدحم علي الخلق وأعيان طلبتها ، ولازموني وأفتيت فيها لفظاً وكتابة ، بحيث لا تتوجه الفتوى غالباً إلا إليّ ، وعينت لها مراراً فابتهلت لله أن يصرفها عني ، واشتهر اسمي في البلاد ، من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها ، اهـ . ولم يزل رحمه الله بعد تسريحه بمراكش إلى أن توفي المنصور ، فأذن له ولده زيدان في الرجوع إلى وطنه ، فرجع له ، وكان مدة إقامته بمراكش كثير الزيارة لقبور الصالحين ، خصوصاً سيدي أبي العباس السبتي ، رأيت بخطه قال : زرتُه أزيد من خمس مئة مرة ، وكانت عنده بطاقة مختوم عليها : إذا جاء للقبر يضعها عليه فيقول : إني أسألك ما في هذه البراءة ، لأنه قد يحضر له بعض الملازمين ، وإذا كان يوم الجمعة ، لا تشاء أن تلقاه في أي ناحية من المدينة إلّا لقيته يطلب المزارات الكامنة ، واستخرج منها عدة من شدة اعتناؤه . وكان يحكي عن والده كرامة وقعت له مع الشيخ البكري بمصر ، وإن والده كان بمصر يتردد إلى الإمام البكري ، فدخل عليه يوماً واجماً ، فقال له البكري : مالك ؟ فقال له : هذه مدة انقطع عني فيها خبر تنبكتو ، واستوحشتُ الأقارب

كأنني اتوقع في نفسي نازلة بهم ، قال : فمدّ له الشيخ فم كم قميصه ، وقال له : ادخل رأسك هاهنا ، فأدخل رأسه في كفه ، فرأى تنبكتو ، ورأى الدار والعشائر يتصرفون على حال السلامة ، لم يطرقهم طارق . وهذه الحكاية كان يذكرها عند ذكر قول أبي العباس المرسى : لو حجب عني رسول الله ﷺ الخ . فإذا استغرب الحاضرون ذلك . وقالوا : هل بالبصر أو بالبصرة ؟ ذكر لهم الحكاية .

وله رحمة الله تأليف منها : « حاشية المختصر » من الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين ، و « تنبيه الواقف على [ وخصصت ] نية الحالف » و « تعليق على أوائل الألفية » و « نيل الأمل في تفضيل النية على العمل » و « النكت المستجادة في إلحاق الفاعل بالمتبدأ في شرط الإفادة » و « الحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس » يريد بالفاظه في العربية ، و « جلب النعمة في مجانبة الظلمة » و « المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب » و « ترتيبه جامع المعيار » و « تذييل الديباج » و « الدر النظير » و « خمائل الزهر » و « نشر العبير » الثلاثة في الصلاة على النبي ﷺ ، وغير ذلك .

قال سيدي أحمد بن علي السوسي : لما نسخت له تاريخه « تذييل الديباج » أكّد علي في إخفائه ، وله شعر وسط ، أخذ عنه جماعة ، وتوفي رحمه الله بتنبكتو سنة ست وثلاثين وألف هـ .

### أبو العباس أحمد الغبريني من « وفيات ابن الخطيب القسنطيني »

المئة الثامنة - العشرة الأولى - الفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني صاحب « عنوان الدراية » وغيره ، توفي سنة ٧٠٤ . هـ .

وأقول : الذي رأيته في نسخة « العنوان » إنه العالم النحرير المؤلف الشهير أبو العباس أحمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عمر الغبريني ، وكتابه « عنوان الدراية في علماء بجاية » .

ذكر فيه مشايخه ، من لقيه وأخذ عنه ، وبدأ فيه بذكر أبي مدين ، وأبي علي المسيلي ، وأبي محمد عبد الحق المتوفى سنة ٥٨٢ ، وعمارة الشريف أبي الطاهر ، وابنته عائشة الشاعرة ( بعثت إلى ابن <sup>(١)</sup> الفكون شعراً ليعارضها ولم يفعل ) ، وسيدي العربي أبي عبد الله ، وأبي الفضل محمد بن علي بن طاهر ابن تميم القيسي ، المولود سنة ٥٤٠ المتوفى سنة ٥٩٨ ، فهؤلاء ستة .

وذكر بعدهم مشايخه وهم : عبد الحق بن ربيع المتوفى سنة ٦٧٥ ، وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف أبو فارس خزانة مذهب مالك ، ولد في تلمسان سنة ٦٠٢ ، وتوفي في الجزائر سنة ٦٨٦ ، وعبد الله بن محمد بن عبادة القلعي المتوفى سنة ٦٦٩ ، وعمر بن الحسن القلعي المتوفى سنة ٦٧٣ ( قرأ هذا على أبي عبد الله بن منداس الجزائري ) ، وأحمد بن خالد المالقي ، وابن الدراس المرسي المتوفى في تونس سنة ٦٧٤ ، ومحمد بن صالح الكناني الشاطبي ( ولد في شاطبة ) المتوفى سنة ٦١٤ ، وأحمد الصدي الشاطبي المتوفى في بجاية سنة ٦٧٤ ، وأبو العباس الغماري المتوفى في تونس سنة ٦٨٢ ، والقاضي ابن زيتون المتوفى سنة ٦٩١ ( تونسي ) ، وأحمد بن عجلان القيسي ، استوطن بجاية ، وتوفي في تونس سنة ٦٧٠ ، وأبو زكرياء السطيفي بن محجوبة باطنة الشيخ الحرالي توفي سنة ٦٨٧ ، وعبيد الله الأزدي من أهل رندة ، استوطن بجاية وتوفي سنة ٦٩١ ، وعبد المجيد الصدي الطرابلسي المتوفى في تونس سنة ٦٨٠ ، وعبد المنعم بن عتيق الغساني الجزائري ، ( مشايخه مشايخ أبي

---

(١) قبل سيدي محمد بن عبد الكريم الفكون بقرون وهو أصله .

محمد عبد الحق بن ربيع ، وأخذ عن أبي علي بن عبد النور الجزائري ) ،  
وقاضي بجاية محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الشاطبي المتوفى  
في تونس سنة ٦٩١ ، وأبو العباس ابن الغماز البلنسي ( لقي أبا بكر بن محرز ،  
وأبا المطرف بن عميرة ، وابن أبي نصر ) ، وتوفي في تونس سنة ٦٩٣ ،  
وابن أبي القاسم السلجماسي ( تلميذ أبي محمد صالح الأسفي ) ، توفي في  
قلعة بني حماد ، وسيد علي الزواوي التورغي .

ثم ذكر بعدهم يحيى بن علي الزواوي المتوفى سنة ٦١١ ، ومحمد بن  
عبد الله المعافري ابن الخراط القلعي ، ( لقي في « القلعة الحمادية » مشايخ  
منهم : علي بن عثمان التميمي ، والأستاذ علي بن شكر بن عمر ، وأخذ عن  
الخطيب المقرئ بن عفراء ، ومحمد بن معطي ابن الرماح مستوطن بجاية ) ،  
وعطية الله بن منصور الزواوي اليراتي ، ( من بني يراتن إحدى قبائل زواوة ) ،  
وعلي بن أحمد بن إبراهيم الحرّالي التجيبي المتوفى سنة ٦٨٨ ، وابن عربي  
الحاتمي ابن سراقمة المرسي الإشبيلي ( الذي خلصه من المحنة أبو الحسن علي  
ابن أبي نصر ) ، وفتح بن عبد الله البجائي المتوفى في حدود سنة ٦٤٠ ،  
وأبو الفضل قاسم القرطبي المتوفى سنة ٦٦٢ ، ( قبره قريب من قبر أبي زكرياء  
ابن محجوبة الزواوي ) ، وأبو زيد المرجاني الموصلّي تقي الدين ، وأبو العباس  
ابن الشريف الأصبهاني المتوفى في المغرب ، وهلال بن يونس الغبريني من  
أصحاب أبي زكرياء الزواوي ( كان يسكن دار المقدسي بحومة باب باطنه ،  
وتعرف بدار الفقيه هلال ) ، وأبو عبد الله القصيري من خواص الحرّالي ،  
وأحمد بن عثمان الملياني المتوفى سنة ٦٤٤ ، وأبو عبد الله بن شعيب ، وابن  
فتوح النفري ، وعبد الله الشريف ، وابن الزيات حافظ مذهب مالك ،  
( استوطن بجاية وكان يدرس « التهذيب » و« التلقين » و« الجلاب » و« الرسالة »  
و« تنبيه ابن بشير » و« منتقى الباجي » وهو تلو ابن عجلان في الفقه والدين

والعلم) ، وأبو تمام الواعظ الوهراني ، وعمر بن عبد المحسن الوجهاني المتوفى في عشر ٦٩٠ ، وعلي بن قاسم الأنصاري ابن السراج المتوفى ببجاية سنة ٥٦٠ ، وإبراهيم بن بهلول الزواوي المتوفى ببجاية سنة ٦٨٦ ، وميمون ابن جيارة<sup>(١)</sup> بن خلوف البردوي المتوفى ببجاية سنة ٥٨٢ ، ومحمد بن إبراهيم الفهري البجائي ، ومحسن بن أبي بكر بن شعبان ، وعبد الكريم بن عبد الله بن الطيب الأزدي ابن يكيك القلعي (من نظراء محمد بن عبد الحق التلمساني) ، ومحمد بن عمر بن صمغان القلعي ، وأبو عبد الله بن أمة الله ، وأبو جعفر بن أمية ، ومحمد بن علي بن حماد بن عيسى ابن أبي بكر الصنهاجي من قرية «الحمراء» كان حياً سنة ٥٣١ ، (لعلها هي قرية الحمراء الموجودة اليوم قرب المنصورة في دائرة البيان) ، وعبدُ الحق الأزدي الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٨ ، وعبد الله بن أحمد بن عبد السلام بن الطير ، وعبدُ الرحمن بن علي القرشي الصقلي ابن الحجري ، وعبدُ الله بن محمد بن يحيى الاغماتي ، وأبو عثمان سعيد بن عبد الله الجمل ، وابن ملك المرساوي ، وعلي بن عمران ابن موسى الملياني المتوفى سنة ٦٧٠ ، ومنصور بن أحمد المشدالي ، (معاصر للغبريني) ، وعبدُ الوهَّاب بن يوسف بن عبد القادر المتوفى في تونس نحو سنة ٦٧٠ ، وأبو زيد عبد الرحيم بن أبي دلال ، (من أصحاب الغبريني) ، وابنُ سبعين المرسبي المتوفى يوم الخميس ٩ شوال عام ٦٠٩ ، وعليُّ النميري الششتري المتوفى يوم ١٦ صفر عام ٦٦٨ ، وأحمدُ بن أبي قاسم عبد الرحمن ابن عثمان التَّميمي الخطيب ، (وهو أول بيت ابن الخطيب ببجاية) ، وابنه عبد الله المتوفى في تونس سنة ٧٢٠ ، وعبدُ الله بن حجاج بن يوسف (كان قاضياً في الجزائر بعد أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي ، وتولى قضاء بجاية) وعبدُ الكريم بن عبد الواحد الحسني (من أصحاب أبي زكرياء الزواوي

(١) أو خياره .

ذي القصة المعروفة مع ابن حزم) ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله  
 الأريسي (من نظراء أبي علي بن عزون) ، وأبو علي عمر بن عزون السلمي ،  
 وعلي بن عبد الله الأنصاري من أهل بونة (عنابة) ، وعبد الله محمد بن  
 محمد بن الحسين الحسني البجائي ، ويحيى بن علي بن حسن بن حبوس  
 الهمداني (نظير الخشني وكان موجوداً سنة ٦١٥) ، وأبو إسحاق بن العرافة ،  
 وأبو سعيد بن تونارت الدكالي المدرس ببجاية ، وعبد الرحيم بن عمر اليزناتي<sup>(١)</sup> ،  
 وأبو زكرياء اللمّتي (كان حياً سنة ٦٣٠) ، وأبو سليمان داود بن مطهر  
 الوجّهاني ، وعبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن السطاح الجزائري ،  
 المتوفى سنة ٦٢٩ ، ويعقوب بن يوسف الزواوي المنجلاني المتوفى في تيكلات  
 يوم ١١ جمادى الأولى عام ٦٩٠ ، ومحمد بن محمد بن أبي بكر المنصور  
 القلعي المتوفى في بجاية نحو سنة ٦٦٠ ، وعمر بن أحمد البجائي المتوفى  
 في بجاية نحو سنة ٦٦٠ ، وعمر بن حسن بن علي بن دحية الكلبي ، (عالم  
 كبير استوطن بجاية) ، وأبو الربيع سليمان بن كثير الأندلسي ، ومحمد بن  
 إبراهيم الوغليسي ، ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محرز (استوطن  
 بجاية بعد سنة ٦٤٠ ، وتوفي بها يوم ١٨ شوال عام ٦٥٥ ، وكان مولده يوم  
 ٣٠ جمادى الأولى أو الثانية عام ٥٦٩) ، وأبو عثمان سعيد بن علي بن محمد  
 ابن زاهر<sup>(٢)</sup> الأنصاري (استوطن بجاية وبها توفي يوم ٣ جمادى الأولى عام  
 ٦٥٤ ، ودفن خارج باب اميسون ، بمقبرة عبد الله بن حجاج ، وولد في  
 بلنسية سنة ٥٧٧) ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس  
 اليعمري الإشبيلي (ولد في نحو سنة ٦٠٠ ، وتوفي في تونس يوم ٢٣ جمادى  
 الثانية سنة ٦٥٩ ، أبوه سبط اللخمي ، وروى عنه) ، وأبو المطرف أحمد

(١) أو اليزناسني .

(٢) أو زاهد .

ابن عبد الله بن عميرة المخزومي المتوفى في تونس يوم ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٥٨ (ولد في شقر سنة ٥٨٢) ، وسعيد بن حكم بن عمر القرشي دخل بجاية (ولد يوم ٦ جمادى الثانية سنة ٦٠١ ، وتوفي يوم ٢٧ رمضان سنة ٦٨٠) ، والحسن بن موسى بن معمر أبو علي الإفريقي ، ومحمد بن عبد الله القضاعي ابن الأبار المتوفى يوم ٢٠ محرم عام ٦٥٨ ، (ولد في ربيع الأول سنة ٥٧٥) ، وعبد الله بن علوان (من أصحاب الغبريني) ، وأحمد بن محمد بن عبد الله المعافري ، (قرأ في الجامع الأعظم ، وارتحل إلى بجاية ، ولقي أبا زكرياء الزواوي) ، وعلي بن مومن الحضرمي (ابن عصفور) الإشبيلي (استوطن بجاية وتوفي في تونس نحو سنة ٦٧٠) ، وعبد الحق بن يوسف بن حماسة الغبريني ، ومروان بن عمار بن يحيى البجائي ، وعبد الله بن عبد الرحمن ابن عميرة المعروف بابن برطلة سكن بجاية (ولد في نحو سنة ٥٨٠ ، وتوفي في نحو سنة ٦٨٠) ، ومحمد بن عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي المتوفى في قسنطينة سنة ٦٣٦ ، ومحمد بن محمد بن أحمد الأريسي الجزائري ، حفيد الأريسي المتقدم ذكره ، (من نظراء أبي عبد الله التميمي) ، وأحمد ابن يوسف الفهري الإبلي ، وأحمد بن محمد القرشي الغرناطي ، ومحمد بن محمد بن أحمد (ابن الجنان) .

هذا حاصل ما في «عنوان الدراية» من المترجمين ، وكلهم من أهل القرن السادس والسابع ، بعضهم من بجاية ، وبعضهم من خارجها ، نزل بها ثم استوطنها أو فارقها ، ومنهم من ذكر مولده ووفاته ، ومنهم من لم يذكر له مولداً ولا وفاة كما رأيت هنا ، وكتابه كتاب رجل خير بما يقول ، ودليل على أنه من الفحول ، وياليتني أقف على ترجمته أو أسمع بها في كتاب ، فأستعيره لأطالعها فيه ، أو أنقلها منه ، ولكن من ذا الذي يقرض إخوانه في هذا الوجود المقطوع الطرفين ، المضغوط بين عدمين قرصاً حسناً ، يقضيه

الله له في ذلك الوجود ، الذي وضع القدم على رقبة كل عدم ، نعم هناك  
أشخاص يعدونك بالإعارة ويُشيدونك على سبيل الإشارة :

إذا استعرت كتابي وانتفعت به \* فاحذرْ وُقيتَ الردى من أن تُغيِّرهُ  
واردُّه لي سالماً إني شُفِّتُ به \* لولا مخافةُ كتمِ العلمِ لم ترهُ

ثم لا تجد لهم <sup>(١)</sup> ظلاً فضلاً عن فيء ، دليلاً على أنهم في وعدهم ليسوا  
بشيء ، وكأني بأحدهم يقول : متى طلبنا فأجبنا بلا ، وكيف يجوز في حقنا  
هذا مثلاً . ولا يدري أنه لا يعير كتابه لنفسه ، فكيف لبني جنسه . وحسبنا  
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

### أحمدُ بنُ أحمدِ الندرومي من « نيل الابتهاج »

الإمام العالم النحرير أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأستاذ  
الندرومي .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد ، ورحل للقاهرة ، وتصدر فيها  
للإقراء .

ومن تأليفه « اختصار شرح جمل الخونجي » لشيخه ابن مرزوق الحفيد  
وكان حياً سنة ٨٣٠ .

---

(١) حاشا شيخنا سيدي شعيب قاضي تلمسان وعلامتها ، فلولاها ما اطلعت على وفاة صاحب « عنوان  
الدراية » في وفيات ابن قنفذ القسنطيني .

أحمد بنُ حسين بن عليّ بن الخطيب بن قنفذ  
القسنطيني  
من « نيل الابتهاج »

أبو العباس الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ ، الإمام العلامة المتفنن الرحلة  
القاضي الفاضل المُحدث المبارك المصنّف .

أخذ عن جماعة كأبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس ، والإمام  
الأوحد الشريف أبي القاسم السبتي ، والإمام العلامة الشريف أبي عبد الله  
التلمساني ، والشيخ الحافظ الحجة أبي عمران موسى العبدوسي ، والعلامة الحافظ  
القباب ، والإمام المُحدث الرحلة الخطيب بن مرزوق الجد ، والإمام النّظار  
أبي عبد الله بن عرفة ، والحافظ المقي أبي عبد الله الوانغيلي الضرير ، والشيخ  
أبي زيد اللّجائي ، والإمام النحوي ابن حياي ، في جماعة آخرين من الأعلام ،  
ولقي جماعة كثيرة من الأولياء ، وتبرك بهم ، كالسيد الزاهد أحمد بن  
عاشر وغيره .

ارتحل من بلاد أفريقية عام ٧٥٩ إلى المغرب الأقصى ، وبقي هناك ١٨ عاماً ،  
فحصّل علوماً كثيرة ، واعتنى بقاء الصالحين ، وجال بلادها ، فلقي بها  
الشريف أبا القاسم النسبي وأخذ عنه . وقال في « وفياته » بعد الثناء عليه :  
وبالجملة فهو ممّن يحصل الفخر ببقائه اه .

وألف تأليف عدة في فنون منها : « شرح الرسالة » في أسفار ، و« شرح  
الخونجي » في جزء صغير ، و« شرح أصلي ابن الحاجب » و« شرح تلخيص  
ابن البنا » و« شرح ألفية ابن مالك » و« أنوار السّعادة في أصول العبادة »

في شرح بُني الإسلام على خمس و « تيسير المطالب في التعديل والكواكب » ، وذكر أنه لم يهتد أحد من المتقدمين إلى مثله ، وكتاب « بغية الفارض من الحساب والفرائض » و « تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد » و « وسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام » وقال : إنه من أجل الموضوعات في السير مع اختصاره ، و « أنس الفقير وعزُّ الحقيير » في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه .

وروى عنه الإمام ابن مرزوق الحفيد ، وغيره .

مولده في حدود ٧٤٠ وتوفي عام ٨١٠ ذكره الونشريسي في « وفياته » ، ونقل عنه المازوني في « نوازله » ، والقلشاني في « شرح الرسالة » ومن شعره :

الفقهُ إِن فَكَّرْتَ فِيهِ رَأَيْتَهُ \* قَدْ دَارَ بَيْنَ قَوَاعِدِ مُتَالِيَةٍ  
فَاطْلُبُهُ فِي الْقُرْآنِ أَوْ فِي سُنَّةِ \* وَاعْقِدْهُ بِالْإِجْمَاعِ وَاتْرُكْ خَالِيَةً

وله أيضاً :

مَضَتْ سِتُونَ عَاماً مِنْ وُجُودِي \* وَمَا أَمْسَكْتُ عَنْ لَعِبٍ وَلَهْوٍ  
وَقَدْ أَصْبَحْتُ يَوْمَ حُلُولِ إِحْدَى \* وَثَامِنَةً عَلَى كَسَلٍ وَسَهْوٍ  
فَكَمْ لَابِنِ الْخَطِيبِ مِنَ الْخَطَايَا \* وَفَضْلُ اللَّهِ يَشْمَلُهُ يَعْفُو

قال العالم العلامة الحبرُ الفهامة أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيّب بن الإمام سيدي عبدالسلام الشريف القادري ، رحمهم الله ، ورضي عنهم آمين في أول تاريخه « نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني » رأيت تأليفاً صغراً جرمًا وغزراً علماً ، مرتباً على المثين ، بوجه لم يسبق إليه من الهجرة النبوية إلى المئة التاسعة ، الذي ألفه العلامة الإمام أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب

ابن قنفذ القسطنطيني ، وذيلُه العلامة المؤرخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي<sup>(١)</sup> ، وأبتدأوه من أول المئة الثامنة إلى تمام المئة العاشرة ، كما ذيل أيضاً بكتابه المسمى « بدرة الحجال » كتاب « وفيات الأعيان » للإمام شمس الدين بن خلّكان ، فكان من مجموع ذلك التاريخ من الهجرة النبوية إلى تمام المئة العاشرة ، وقد بناه على الاختصار والتقريب ، وإفادة « وفيات الأعيان » على أحسن ترتيب اهـ .

وفي أخير « البستان » ما نصه : قال ابن الخطيب : وقد سألت رجل عَمّاً وقع لي من التأليف ليكتب ذلك في رحلته ، فأملت عليه ما صادفه زمانه من ذلك ، لحرصه على هذه المسائل ، ولنسردّها هنا تكملة للغرض منها : « تقريب الدلالة في شرح الرسالة » في أربعة أسفار و« اللباب في اختصار الجلاب » و« معونة الرائي في مبادئ الفرائض » و« إيضاح المعاني وبيان المباني » في سفر شرح أرجوزة في المنطق نظم صاحبنا الأستاذ أبي عبدالله محمد بن الفقير أبي زيد عبد الرحمن الضرير المراكشي من أهل بلدنا ( قسطنطينة ) ومنها : « تلخيص العمل في شرح الجمل » في المنطق و« انس الفقير وعزّ الحقيّر » في ترجمة رجال من أهل التصرف كأبي مدين وأصحابه ، و« أنوار السعادة في أصول العبادة » وهو شرح لقوله ﷺ : « بني الإسلام على خمس »<sup>(٢)</sup> الحديث ، وفي كل قاعدة من الخمس أربعون حديثاً وأربعون مسألة ، ومنها

(١) تأليفه نحو ١٨ ، بعضها مذكور في ظهر كتابه « جذوة الاقتباس » المطبوع بفاس ، ومنها « لقطة الفرائد من حقائق (أو حقائق) الفوائد » ، ذيل به « وفيات ابن قنفذ » ، ومن مشايخه في المغرب سيدي أحمد بابا التنبكي ، وفي المشرق النور القرافي ، ومن تلاميذه سيدي أحمد المقرئ ، رحمهم الله أجمعين .

(٢) هذا حديث صحيح متفق على صحته . فقد أخرجه البخاري ٤٧/١ في الإيمان : باب قول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » . ومسلم (١٦) في الإيمان : باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام . وأخرجه الترمذي ٤١/٥ باب ما جاء « بني الإسلام على خمس » (ش) .

« هداية المسالك في بيان ألفية ابن مالك » ومنها : « المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدية » ومنها : « سراج الثقات في علم الأوقات » ومنها « تسهيل العبارة في تعديل السيارة » اشتمل على أربعين باباً وستين فصلاً ، ومنها « أنس<sup>(١)</sup> الحبيب عن عجز الطبيب » ومنها « تيسير المطالب في تعديل الكواكب » ولم يهتد أحد إلى مثله من المتقدمين ، ومنها « بسط الرموز الخفية في عروض الخرجية » ، ومنها « وقاية الوقت ونكاية المنكت » ، ومنها « العبودية في إبطال الدلالة الفلكية » ومنها « حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب » وهو شرح تلخيص ابن البنا ، وقد سبق إليه ابن زكرياء الأندلسي ، وكان أخذ من كتابي نسخة عند مجاوزته لمدينة فاس بعد سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة ، ومنها « التخليص في شرح التلخيص » ، ومنها « الإبراهيمية في مبادئ العربية » ، ومنها « تفهيم الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب » قيّدته زمن قراءتنا على الشيخ أبي محمد عبد الحق الهسكوري بمسجد البليدة من مدينة فاس ، وكان الابتداء في أول سنة تسعين<sup>(٢)</sup> وسبع مئة ، ومنها « علامة النجاح في مبادئ الاصطلاح » ، ومنها « بغية الفارض من الحساب والفرائض » و « الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية » و « تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد » وهو غريب ، ومنها « وسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام » وهو من أجلّ الموضوعات في السيرة لاختصاصه ، ومنها هذا المختصر الذي سمّيته « شرف الطالب في أسنى المطالب » ، ومنها « تقييدات في مسائل مختلفات » ، وكل ذلك بتوفيق الله تعالى ، وقد أذنت لمن رأيّ أو رأى من رأيّ وهما درجتان أن يحدث عني إن شاء الله بما شاء من مصنفاتي أوضح لديه من رواياتي<sup>(٣)</sup> اهـ .

(١) هكذا في الأصل .

(٢) الذي في وفياته سبعين لا تسعين .

(٣) ما ذكره صاحب « البستان » في أخيره ذكره المترجم في أخير « وفياته » وبه ختمها .

وقد أطلعني العلامة الفقيه البركة التريه شيخنا سيدي شعيبُ بن أبي بكر قاضي مدينة تلمسان على « وفيات ابن قنفذ » هذا واستفدتُ منها نقولاً وتحقيقات تاريخية ، وهي أوراق ستة من القالب النصفى ، ذكر فيها من علماء المغرب الأوسط عشرين ، أولهم في العشرة الثانية من المئة السادسة أبو الفضل ابن النحوي الشيخ الصالح ابن الشيخ الصالح أبي الفضل البسكري توفي سنة ٥١٣ ، وفي العشرة العاشرة شيخ المشايخ أبو مدين شعيبُ بن الحسن ، ودفن بعباد تلمسان وفي العشرة الثانية من المئة السابعة الشيخ الفقيه الولي أبو زكرياء الزواوي توفي ببجاية سنة ٦١١ ، وفي العشرة الثالثة القاضي محمد بن عبد الحق التلمساني توفي في سنة ٦٢٥ بتلمسان ، والفقيه الراوية أبو الحسن بن أبي نصر البجائي توفي سنة ٦٥٢ ، وفي العشرة السابعة المحدثُ أبو الحسن علي بن علي بن ميمون ابن القنفذ توفي سنة ٦٦١ ، وفي العشرة الثامنة الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي ببجاية ، توفي في سنة ٦٧٥ ، وفي العشرة الأولى من المئة الثامنة الفقيه المحدثُ الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد ابن محمد الغبريني ، وفي العشرة الرابعة الشيخ الفقيه العالم أبو علي منصور ابن أحمد ، ويعرف بناصر الدين المشدالي توفي ببجاية سنة ٧٣١ ، وخطيب قسبة بجاية الممتع بالدراية والرواية أبو عبد الله محمد بن محمد بن غريون البجائي توفي في سنة ٧٣٣ ، والفقيه الجد والد والد علي بن حسن بن القنفذ توفي في سنة ٧٣٣ ، والقاضي أبو زكرياء بن محمد بن الشيخ بن زكرياء بن يحيى بن عصفور العبدري توفي سنة ٧٣٤ ، وفي العشرة الخامسة الشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المفسر البجائي توفي ببجاية سنة ٧٤٤ والشيخ محمد بن علي البجائي توفي سنة ٧٤٧ ببجاية ، وفي العشرة الثامنة أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني توفي سنة ٧٧١ ، والإمام أبو عبد الله محمد الشريف الحسني التلمساني توفي سنة ٧٧١ ، والفقيه الجليل الخطيب أبو عبد الله محمد

ابن الشيخ الصالح أبي العباس أحمد بن مرزوق توفي سنة ٧٨٠ ، وفي العشرة التاسعة الفقيه الحاج أبو علي حسن بن خلف الله بن باديس بقسنطينة توفي سنة ٧٨٤ ، والفقيه الصالح المفتي أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي توفي سنة ٧٨٦ ، والمحدث المقرئ المدرك قاضي الجماعة بيجاية أبو العباس أحمد بن أبي القاسم توفي سنة ٧٨٧ ، والفقيه أبو عمار المسيلي توفي سنة ٧٨٧ ، وفي العشرة الأولى من المئة التاسعة الفقيه الحافظ الأستاذ الجليل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي القسنطيني الضرير توفي في عناية سنة ٨٠٧ .

### الشيخ أحمدُ السُّوداني شارح الآجرومية من « نشر المثاني »

الشيخ العالم النحوي أحمد قيد غحمد ، وكانَ هذه اللفظة عند أهل السودان من الألفاظ الدالة على التعظيم ، ورأيت في بعض التقايد ما يدل على أن معناها سيدي أحمد ، وهو ابن أحمد السودان قاضي تنبكتو . كان جامعاً للنحو ، وأصول الفقه ، وأصول الدين .

قرأ على الفقيه محمد بن محمود بغيغ ، قرأ عليه « مختصر خليل » و « الرسالة » و « الشافية » ، وقرأ على غيره من أهل بلده .

وكان أبيضَ ، جميل الملبس ، فصيح اللسان ، وعليه الهبة ، وتولَّى تنبكتو بعد موت أخيه القاضي محمد عام ١٠٢٠ يجيد قراءة الألفية لابن مالك ، والبحث مع شُرَّاحها ، وكان يدرس « قطر الندى » و « شذور الذهب » كلاهما لابن هشام ، و « التسهيل » و « الرسالة » و « المختصر » و « تحفة الحكام » و « شرح الآجرومية » ، وله تعاليق على المرادي .

ولد عام ٩٧١ ، وتوفي عام ١٠٤٤ ، كذا أخبر به بعض أهل بلده ،

وشرحه على الجرومية متداول بفاس ، وهو مُعْتَنَى به ، ودال على ما ذكرته هنا ، والله تعالى أعلم اهـ .

### أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الجزائري الزّواوي « نيل الابتهاج »

الشيخ الفقيه الوليّ الصالح أبو العباس ، ظريف العارفين ، صاحب العقيدة المنظومة اللّامية المشهورة ( التي أولها :

الحمدُ لله وهو الواحدُ الأزلي \* سبحانه جَلَّ عن شِبهِهِ وعن مثله  
فليس يُحصى الذي أولاه من نِعَمٍ \* أجَلُّها نِعْمَةُ الإِيْمَانِ بالرُّسُلِ  
وهي تنيف على أربع مئة بيت )<sup>(١)</sup> .

قال فيه بعض العلماء وقد ذكر أبا زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي :  
هو نظيره علماً وعملاً .

وقال الشيخ زروق : كان شيخنا أبو العباس أحمد الجزائري من أعظم العلماء إتباعاً للسنة ، وأكبرهم حالاً في الورع ، وكان يُشير علينا بأنه ينبغي لمن وسع الله عليه من الدنيا أن يظهر عليه أثر نعمة الله تعالى ، باستعمالها على وجه يباح ، ولا يخل بالحق ولا بالحقيقة بأن يلبس أحسن لباس جنسه ، أو وسطه ، ويتخذ مُرَقَّة إن أمكنه يجعلها عُدَّتَه وأصل لباسه ، فما دام غنياً عنها استغنى ، وإلّا فهي المرجع عنده . اهـ وقد شرح الإمام السنوسي المنظومة المذكورة شرحاً حسناً ، وأثنى فيه على ناظمها بالعلم والصلاح توفي سنة ٨٨٤ هـ .

أقول : ولما بعث سيدي أحمد بن عبد الله منظومته الجزائرية إلى العلامة سيدي محمد السنوسي طالباً منه شرحها أجابه الشيخ إلى مطلوبه ، وأرسل إليه  
(١) ما بين القوسين غير مذكور في نيل الابتهاج .

الشرح ، فقرظه بقوله :

شَرَحُ الْكِفَايَةِ أَيُّهَا الْمُتَدَبِّرُ \* تحصيلُهُ فرضٌ عليك مُعَيَّنُ  
تَجَلَّوْا مَعَانِيَهُ الْقُلُوبَ مِنَ الصَّدَا \* وتُنِيرُهَا وَاللَّفْظُ سَهْلٌ بَيِّنُ  
مَا هُوَ إِلَّا الرُّوضُ يُحَسِّنُ مَنْظَرًا \* مَنْ ذَا يَرَى حُسْنًا وَلَا يَسْتَحْسِنُ  
يَا نَاطِرِيهِ وَكَاسِبِيهِ بِغِطَّةٍ \* فَأَعِزُّ مِنْ ثَمَنِ النَّفِيسِ الْمُثْمِنُ  
يَجْزِي مُؤَلَّفَهُ الْإِلَهَ بِجَنَّةٍ \* دَارِ النَّعِيمِ بِهَا تَقَرُّ الْأَعْيُنُ

وقال أيضاً يرثي شيخه سيدي عبد الرحمن الثعالبي :

لَقَدْ جَزَعَتْ نَفْسِي لِفَقْدِ أَحِبَّتِي \* وَحَقٌّ لَهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ تَجَزَعُ  
أَلَمْ بِنَا مَا لَا نَطِيقُ دِفَاعَهُ \* وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَدَّرَ اللَّهُ مَرْجِعُ  
جَرَى قَدْرُ الْمَوْلَى بِإِنْفَادِ حُكْمِهِ \* وَمِنْ حُكْمِهِ أَنَا نَطِيعُ وَنَسْمَعُ  
فَلَا تَعْجِبْنِ إِلَّا لَغَفَلَتِنَا أَلَّتِي \* دَهْتُنَا فَصِرْنَا لَا نَخَافُ وَنَسْمَعُ  
قُلُوبُ قَسَتْ مَا إِنْ تَلَيْنُ وَإِنَّهَا \* لَتَعْلَمُ أَنَّ الْقَبْرَ مَشْوَى وَمَضْجَعُ  
وَإِنَّ فَنَاءَ الْخَلْقِ حَتْمًا وَإِنَّمَا \* دَوَامُ الْبَقَا حَقًّا إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ  
وَمِنْ بَعْدِهِ هَوْلُ الْقِيَامَةِ وَاللِّقَا \* فَيَا هَوْلَ مَا نَلْقَى وَمَا نَتَوَقَّعُ  
فَدَعُ عَنْكَ دُنْيَا لَا تَدُومُ وَإِنَّهَا \* وَإِنْ أَظْهَرْتَ حُسْنًا يَرُوقُ سَتَخْدَعُ  
وَدَعُ عَنْكَ آمَالًا فَقَدْ لَا تَنَالُهَا \* وَإِنْ نَلْتَهَا نَلْتَ الَّذِي لَيْسَ يَنْفَعُ  
وَبَادِرْ لَتَقْوَى اللَّهُ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا \* هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى بِهَا النَّارُ تُدْفَعُ  
وَشَمَّرْ لِأُخْرَى وَاسْتَمِعْ قَوْلَ نَاصِحٍ \* وَحَازِرْ هُجُومَ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ  
فَإِنَّ خِيَارَ الْخَلْقِ رُسُلًا وَأَنْبِيَا \* وَأَيْنَ رُؤَاةِ الْعِلْمِ فِي اللَّحْدِ أَوْدِعُوا  
فَلَيْسَ ذَهَابُ الْخَيْرِ إِلَّا بِفَقْدِهِمْ \* وَتَشْتَتِ شَمْلُ الْعِلْمِ قُلْ كَيْفَ يَجْمَعُ  
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا \* شُمُوسٌ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ تَسْطَعُ  
لِيُوشِكُ قَبْضُ الْعِلْمِ عَنَّا بِقَبْضِهِمْ \* كَمَا قَالَهُ خَيْرُ الْأَنَامِ الْمُشْفَعُ

لقد بان أهل العلم عنا وأقفرت \* منازلهم إنا إلى الله نرجع  
كما بان عنا شهتنا العالم الذي \* سنأه بأنوار الحقيقة يسطع  
أبو زيد المشهور بالعلم والتقى \* له العلم فينا والمقام المرفع  
هو العالم الموصوف بالرفع للورى \* به عنهم خطب الحوادث يرفع  
صبور كريم النفس يكسى مهابة \* فما إن يراه المرء إلا ويخضع  
إذا ما بدا كالبدر بين صحابه \* وهم هالة دارت به حين يطلع  
بمجلسه نور ورائق لفظه \* ضياء نفيس الدر بل هو أرفع  
فوائده ترى عليهم وكلها \* لها عند أهل العلم والفهم موقع  
مجالس علم قد مضت فلو أنها \* تعود ولكن ما مضى ليس يرجع  
نتيجة إخلاص وصدق كأنها \* سهام بها يرمي القلوب فتخشع  
ويلمع في أثنائها بمواعظ \* تنفر عن فعل القبيح وتردع  
فيا له قبر الشيخ طوبى لمعشر \* لهم من جوار الشيخ لحد ومضجع  
أعزى أبا عبد الإله محمداً<sup>(١)</sup> \* ومن بجميل الصبر نرجو سيجع  
ونحن وإن كنا جميعاً نجبه \* فقلبك أشجى للفراق وأوجع  
أصنا به فالله يعظم أجرنا \* ويلهمنا الصبر الجميل ويوسع  
فيا سيدي إني ريثك راجياً \* سلو قلب من فراقك وجع  
ولي فيك حب زائد متمكن \* حوته سويداء الفؤاد وأضلع  
لئن كان حظ العين منك فقدته \* فإني برؤيا الروح في النوم أقنع  
على أنني بالآثر لا شك لا حق<sup>(٢)</sup> \* ومن ذا الذي يرجو البقاء ويظمع  
فنسأله سبحانه بنبييه \* عسى بفراديس النعيم سنجمع  
ويغمرنا والسامعين برحمته \* نال بها الفوز العظيم ونرتع

(١) نجل سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنهما .

(٢) توفي بعده بثماني سنوات .

وأهدي صلاتي للنبي محمد \* لعلَّ بها في حوضه العذب نكحُ  
وأصحابه الغرَّ الكرامِ وآله \* ومن كان للإحسانِ والحقِّ يتبعُ  
عليكم أبا زيد الإمام تحية \* ورحمة مولانا الكريم تُشفعُ

### أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني من « كفاية المحتاج »

أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني المتوسي<sup>(١)</sup> قال أبو العباس الغبريني  
كان فاضلاً كاملاً متقناً محصلاً مجتهداً جليلاً ، رحل للشرق ، ولقي جلة  
فضلاء ، ثم سكن بجاية ، وأقرأ بها وأسمع .

له علم بالفقه والعربية والأصول ، وحظ من التصوف والعبادة ، موقراً  
محترماً مهاباً ، مع تقدم في معرفة التلقين ، لم يكن لغيره ، وهو وإن كان  
إماماً في الفقه لكنه في هذا الكتاب أجلى من غيره ، له عليه تقييد ونكت ، وذكر  
أنه كمل بعض ما فات المازري عليه ، توفي عام أربعة وأربعين وست مئة اه .

وفي « عنوان الدراية » : الشيخ الفقيه الجليل الفاضل الكامل المحصل  
المتقن المجتهد أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني رحمه الله ،  
رحل إلى المشرق ، ولقي الفضلاء والجلة ، ثم رجع إلى المغرب ، وسكن بجاية ،  
وأقرأ وأسمع ، له علم بالفقه وأصول الدين ، وحظ من التصوف ، ونصيب من  
العبادة ، وكان موقراً محترماً مهاباً ، وكان له في التلقين تقدم ونظر لم يكن  
لغيره ، ولم يكن له مثل في غيره من الكتب ، وإن كان الرجل إماماً في الفقه  
ولكنه في هذا الكتاب أجلى من غيره من الكتب ، وله عليه تقييد فيه تنبيهات  
خفية ، وسمعت أنه كمل بعض ما فات المازري على « التلقين » غير أنني سمعت

(١) هكذا في بعض النسخ ، وفي بعضها التونسي اللتاني .

شيخنا الفقيه أبا محمد بن عباد، يحكي عن بعض أشياخه أنه سئل عن كلام الرجلين على التلقين فقال : بينهما ما بين بلديهما . هكذا سمعتُ منه رحمه الله في مجالس متكررة .

والفقيه أبو العباس ممن لا يُجهل قدره ، ولا يُنكر خيره ، ولقد استدعاه رضي الله عنه الأمير الأجلُّ أبو زكرياء رحمه الله إلى حضرة إفريقية ، وحضر مجلسه ، وجعل بعض الحاضرين يلقي بعض المسائل النحوية بحضرته ليحركه للكلام ، فلم يتحرك للجواب ، وكانت المسائل من المبادئ ، فرأى أن الكلام في المبادئ لا يفيد ولا يجدي ، ولا تظهر فيه فضيلة الفاضل ، ولا جهل الجاهل ، فظهر ذلك للحاضرين ، فأجلوه إجلاله ، وعرفوا فضله وكماله . وقبره بمليانة ، وتوفي بها سنة ٦٤٤ ، وهو ممن تلتمس البركة في شهوده ، ويظفر زائره بمقصوده ، ويتصل إسنادي عنه من جهة شيخنا الفقيه أبي محمد عبد العزيز ، وأبي محمد عبد الحق بن ربيع ، وغيرهما رحم الله جميعهم اهـ .

### أحمدُ بنُ مُحَمَّد بنِ زكري

#### « نيل الابتهاج »

عَلَامَتُهَا ومفتيها العالم الحافظ المتفنن الإمام الأصولي الفروعِي المفسر الأبرع المؤلف الناظم النائر .

أخذ عن الإمام ابن مرزوق ، والمفتي الحجة قاسم العقباني ، والعلامة الصالح أحمد بن زاغو ، والعالم الأعرَف المفتي محمد بن العباس ، وغيرهم . ويذكر أنه كان في أول أمره حائكاً ، فدفع له شيخه ابن زاغو غزلاً ينسجه له ، ثم إنه حضر عند ابن زاغو يطلب منه غزلاً يكمل به ، فوجده يدرس ويقرر قول ابن الحاجب : وخرج في الجميع قولان . فأشكل معناه على الطلبة ،

وعسر عليهم فهمه . فقال له ابن زكري : أنا فهمته ، ثم قرره أحسن ما ينبغي ، فقال له الشيخ : مثلك يشغل بالعلم لا بالحياة ، وكانت أم ابن زكري أيماً . فذهب إليها الشيخ ابن زاغو وحثها أن تُحرّض ولدها على طلب العلم ، فاشتغل حينئذ بالعلم ، فكان منه ما كان .

وله تأليف كتأليفه في « مسائل القضاء والفتيا » و« بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب » و« المنظومة الكبرى في علم الكلام » تنيف على ألف وخمسة مئة بيت ، وغيرها ، وله فتاوى كثيرة منقولة في « المعيار » وغيره ، توفي في صفر سنة ٨٩٩ ، قاله الونشريسي في « وفياته » .

وقال تلميذه أحمد بن أطاع الله توفي سنة ٩٠٠ ، وأخذ عنه خلق من أجلهم الإمام أحمد زروق ، والخطيب العلامة محمد بن مرزوق ، حفيد الحفيد ، والشيخ العالم أبو عبد الله الإمام محمد بن العباس ، وغيرهم ، ووقع له منازعة ومشاحنة مع الإمام السنوسي في مسائل ، كل منهما يرد على الآخر ، لولا خوف الإطالة لذكرنا بعضها اه .

وفي « البستان » : مات أبوه وتركه صبيّاً في حضانة أمه ، ثم إن أمّه أتت به تعلمه الصنعة ، وأدخلته في طراز عند معلم ليتعلم الحياكة ، وبقي عنده حتى تعلم النسيج ، ثم إن الولي الصالح سيدي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغو أتى بغزل ينسجه عند المعلم ، فسمع سيدي أحمد بن زكري يُغني فأعجبه حسن صوته ، فقال : ما أحسن هذا الصوت لو كان صاحبه يقرأ ، ثم إنه سأل عن المعلم فلم يجده ، فأعطى الغزل للمتعلم ( ابن زكري ) ، وأوصاه فقال له : قل لمُعلمك يقول لك ابن زاغو : انسج لي هذا الغزل ، فلما أتى المُعلم أخبره بالقصة ، وسفح المعلم الغزل ، وصار ينسجه فخصت الطعمة ، وبعث متعلمه سيدي أحمد بن زكري ياتيه بالطعمة ، فوجد الشيخ

في المسجد يُقرئ الطلبة ابن الحاجب الفرعي في مسألة ثوب الحرير والنجس ، وهو قول ابن الحاجب : فإن اجتمعا فالمشهور ابن القاسم بالحرير ، وأصنغ بالنجس ، فخرج في الجميع قولين . فقرر الشيخ مسألة التخريج للطلبة . فلم يفهموها ، وفهمها سيدي أحمد بن زكري . قال له ابن زكري : يا سيدي فهمتُ تلك المسألة ، فقال له الشيخ : قررها لأعلم كيف فهمتها فقررها له ، فقال له : بارك الله فيك يا ولدي ، فقال له أين أبوك ؟ فقال له : مات ، وأمك ؟ فقال له : حية ، وما أجرتك في الطراز ؟ قال له : نصف دينار في الشهر ، فقال له : أنا أعطيك نصف دينار في كل شهر ، وارجع يا ولدي تقرأ وسيكون لك شأن ، وقال له : أين أمك نذهب إليها ؟ قال له : نعم ، فذهب معه إلى العجوز في دارها ، وقال لها : ولدك هذا ما أجرته في الطراز ؟ قالت له : نصف دينار في كل شهر ، قال لها : أنا أعطيك مسبقاً في كل شهر نصف دينار ، ونرده يقرأ ، فقالت له : أو تنصفي فيه ؟ قال لها : نعم ، وأخرج النصف من جيبه ودفعه لها ، وشرع يقرأ ، ثم بعد مدة مات شيخه سيدي أحمد بن زاغو فانتقل سيدي ابن زكري إلى سيدي محمد بن أبي العباس في العباد يمشي من تلمسان كل يوم صباحاً ، ويروح مساءً ، ثم إنه في يوم من الأيام نزلت ثلجة كبيرة ، فذهب ابن زكري على عادته يقرأ دويلته<sup>(١)</sup> على سيدي محمد ابن أبي العباس ، ثم إنه رضي الله عنه استصعب الذهاب إلى تلمسان ، والرجوع من الغد في الثلج ، ولم يقدر أن يبطل دويلته ، فلما خرج الشيخ لداره خرج خلفه ، حتى دخل الشيخ فدخل خلفه ، والشيخ لم يشعر به ، ثم إن فرس الشيخ مربوط في الاسطوان ، والتبن أمامه ، فرقد في التبن في المذود وإذا بالخادم<sup>(٢)</sup> جاءت بالتبن للفرس ، فوجدته نائماً ورجعت للشيخ وقالت له :

(١) الدويلة في عرف المغرب بمعنى الدرس .

(٢) الخادم في لسان العامة بمعنى الخديمة السوداء .

هذا رجل راقد في تبن الفرس ، فخرج الشيخ فوجده نائماً ، وأيقظه فعرفه ، وقال له يا ولدي ! ما حملك على هذا ؟ قال له : يا سيدي البرد ، فقال له وهلا أعلمني ، ثم إن الشيخ بعث إلى السلطان رحمه الله ، وطلب منه أن يكتب لسيدي أحمد بيتاً في المدرسة ، فكتب له البيت برتبته وفرشه وسمه وزيته ولحمه ، وجميع ما يموّنه ، وهذا كله من بركة العلم ، والحرص في طلبه ، لخبر « تكفل الله برزق طالب العلم ، يأتيه من غير تعب ، ولا مشقة ، وغيره لا يناله إلا بالتعب والعناء والمشقة » وهذا كله من دعاء الشيوخ له ورضاهم عن خدمته . ويحكى أنه ذهب مع الطلبة لجبل بني ورنيد ، لشراء الفحم للشيخ سيدي محمد بن أبي العباس ، فحملوه على الدواب ، فنزل عليهم مطر وابتل الفحم في الطريق ، فلم تقدر الدواب على حمله ، فجعل ابن زكري الفحم في حائكه ، وحمله على ظهره ، وزاد عليهم المطر ، وصار حائكه أسود كله بالفحم ، فلما أقبل على الشيخ سيدي محمد ابن أبي العباس في تلك الحالة ، صاح الشيخ صيحة عظيمة ، وضمه إلى صدره ، ودعا له بالفتح .

وكان رضي الله عنه مشغلاً بالعلم والتدريس ، يكرر المسألة الواحدة ، ثلاثة أيام وأربعة ، حتى يفهمها الخاص والعام ، وانتفع به المسلمون كلهم ، وجميع من يحضر مجلسه إلا طالب واحد لم يحصل له شيء ، لأنه كان يقول ابن زكري كل يوم ، يعاود المسألة ، ولم يكن منه شيء ، ومن مؤلفاته « شرح الورقات » لإمام الحرمين أبي المعالي في أصول الفقه ، ومن أخذ عنه سيدي أحمد بن الحاج المنوي أصلاً الورنيدي داراً اه باختصار .

أقول : وقد شاع أن صاحبنا الفقيه النحوي الشيخ ابن زكري محمد السعيد الزواوي المدرس في المدرسة الثعالبية ، ينتسب إلى المترجم ، لأنه من قرية آيت زكري ، ومعنى آيت في لسانهم ابن ، والناس مُصدّقون في أنسابهم .

أحمدُ بنُ محمدٍ بن عبدِ الرَّحمنِ الشَّهيرُ بابنِ زاغو  
« نيل الابتهاج »

المغراوي التلمساني الإمام العالم الفاضل الولي الصالح الصوفي الزاهد ،  
العلامة المحقق ، المتفنن القدوة ، المنصف الناسك العابد .

أخذ عن إمام المغرب أبي عثمان سعيد العقباتي ، وعن السيد العارف  
المفسر أبي يحيى الشريف ، وغيرهما .

له تأليف منها « تفسير الفاتحة » في غاية الحسن ، كثير الفوائد ، و« شرح  
التلمسانية » في الفرائض . وله فتاوى عدة في أنواع العلوم ، أثبت منها في  
« المازونية » و« المعيار » جملة توفي سنة ٨٤٥ .

وأخذ عنه جماعة كالشيخ العالم يحيى ابن يدير ، والعالم المنصف أبي  
زكرياء يحيى المازوني ، والحافظ التنسي ، وابن زكري ، والشيخ العالم  
أبي الحسن القلصادي ، وذكره في « رحلته » فقال شيخنا وبركتنا الفقيه  
الإمام المصنّف المدرّس المؤلّف ، أعلم الناس في وقته بالتفسير ، وأفصحهم ،  
فاق نظراءه وأقرانه في « دلائل السبل والمسالك » إلى سبق في الحديث والأصول  
والمنطق ، وقدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم ، والفهم المستقيم ،  
يضرب به المثل في الزهد والعبادة ، وعند كلامه يقف الفتي في الأذكار والإرادة ،  
مقبل على الآخرة ، معرض عن الدنيا ، عار عن زخرفها إلا ما يتخذها من  
ثوب حسن ، أو هيئة فيها جمال ، أكرمه المولى بقراءة القرآن ، وشرفه  
بملازمة قراءة العلم ، والتصنيف والتدريس والتأليف ، له نسب أشهر من  
الشمس في السماء ، وحسب كاتساق عقد النجوم في نحر الظلماء ، وخلق  
أندى من الزهر ، وأسوغ من الماء ، ونزاهة الهمة العالية ، والمشاركة المباركة

للخاصة والعامة . من هذه الأمة مع إثثار الخلوة ، وإجابة الدعوة ، ولما رأيت نجاح دعواته وصلاحي حاله بالتماس بركانه ، لازمته وترددت إليه ، فكنت أجد في مجالسته فوائد تُنسي الأوطان ، وأردُّ من بحر فيضه ما يحيى به الظمآن ، وسرت إلى خدمته مسرعاً فصيرني كـبعض أولاده ، وأنزلني منزلة أصدقائه ، فقرأتُ عليه « صحيح البخاري » كـلّه ، ومن أول « صحيح مسلم » إلى أثناء الوصايا .

ومن تأليفه « مقدمة في التفسير » و« تفسير الفاتحة » و« التذييل عليه في ختم التفسير » و« منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح » غير مرة و« شرح التلخيص » لوالده و« حكم ابن عطاء الله » و« شرحها » لابن عباد ، و« لطائف المنن » وتأليف أبي يحيى « الشريف على المغفرة والإحياء » و« مختصره » للبلالي و« أقضية مختصر خليل » لآخره و« ابن الحاجب الفرعي » و« بعض الأصلي » .

ولازمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه شتاء ، والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفاً ، وفي الخميس والجمعة للتصوف ، وتصحيح تأليفه وأوقاته معمورة ، وأفعاله مرضية ، وسجاياه محمودة ، لولا عجائب صنعه تعالى ما ثبتت تلك الفضائل في لحم وعصب ، ولا أعلم منه أنه كان يأمر بفعل ويخالفه ، اقتداء بالسلف الصالح أنشدنا لبعضهم :

رأيتُ الانقباضَ أجلَّ شيءٍ \* وأدعى في الأمورِ إلى السَّلامةِ  
فهذا الخلقُ سالمٌهم ودَّعُهم \* فخلطتُهم تقوُّدٌ إلى النَّدامةِ  
ولا تُعنى بشيءٍ غيرَ شيءٍ \* يقوُّدُ إلى خلاصِكَ في القيامةِ

وأنشدني لبعضهم ، وكان يستحسنه :

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي \* فِدَامَ الْأُنْسِ لِي وَنَمَى السُّرُورُ  
وَأَدْبَنِي زَمَانِي فَمَا أَبَالِي \* هُجِرْتُ فَلَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ  
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا \* أَسَارَ الْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ  
وأنشدني يوم جمعة :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ \* فَمَا بَعْدَ الْعَشِيِّ مِنْ عَرَارِ  
فلم يشهد بعدها جمعة أخرى وآخر ما قرئ عليه كتاب « لطائف المنن »  
ويشير إلينا بأحوال تدل على موته ، وكان يتأهب لذلك .

وتوفي يوم الخميس وقت العصر رابع عشر ربيع الأول عام ٨٧٥<sup>(١)</sup> في  
الوباء وصلي عليه بعد الجمعة ، وشهد جنازته العام والخاص ، وأسف الناس  
على فقده ، وعمره نحو ٦٣ سنة اه ملخصاً ومولده على هذا في حدود ٧٨٢  
والله أعلم .

### أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ المَقْرِي صاحب « نفع الطيب » من « خلاصة الأثر »

الشيخ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش  
ابن محمد ، أبو العباس المَقْرِي ، التلمساني المولد ، المالكي المذهب ، نزيل  
فاس ، ثم القاهرة ، حافظ المغرب ، جاحظ البيان ، ومن لم ير نظيره في  
جودة القريحة ، وصفاء الذهن ، وقوة البديهة .

كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزاً باهراً في الأدب  
والمحاضرات .

---

(١) هي سنة وفاة سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنهما .

وله المؤلفات الشائعة منها : « عرف الطَّيِّب »<sup>(١)</sup> في أخبار ابن الخطيب « وفتح المتعال »<sup>(٢)</sup> الذي صنَّفه في أوصاف نعل النبي ﷺ و« إضاءة الدُّجَّة في عقائد أهل السنة » و« أزهار الكمامة » و« أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » و« قطف المهتصر في أخبار المختصر » و« اتحاف المغرَى في تكميل شرح الصغرى » و« عرف النشق في أخبار دمشق » و« الغثُ والسَّمين والرثُ والثَّمين » و« روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراکش وفاس » و« الدرُّ الثَّمين في أسماء الهادي الأمين » و« حاشية شرح أم البراهين » و« كتاب البداية والنشأة » كله أدب ونظم ، وله رسالة في « الوقف الخمس الخالي الوسط » وغير ذلك .

ولد بتلمسان ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، وقرأ وحصل بها على عمه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ ، مفتي تلمسان ستين سنة ، ومن جملة ما قرأ عليه « صحيح البخاري » سبع مرات ، وروى عنه « الكتب الستة » بسنده ، عن أبي عبد الله التنيسي ، عن والده حافظ عصره محمد بن عبد الله التنيسي ، عن البحر أبي عبد الله بن مرزوق ، عن أبي حيَّان ، عن أبي جعفر بن الزبير ، عن أبي الربيع ، عن القاضي عياض ، بأسانيده المذكورة في كتاب « الشفا » ، والأحاديث المسندة في « الشفا » جميعها ستون حديثاً ، أفردھا بعضهم في جزء ، من أراد رواية « الكتب الستة » من طريقه فليأخذها من كتاب « الشفا » أو من الجزء المذكور ، وكان يُخبر عن بلده تلمسان أنها بلدة عظيمة من أحاسن بلاد المغرب ، ورحل إلى فاس مرتين مرة سنة ١٠٠٩ ومرة سنة ١٠١٣ ، وكان يُخبر أنها دار خلافة المغرب ،

(١) ذكر في « كشف الظنون » أنه سمَّاه بعد ذلك « نفع الطيب » اه من هامش « خلاصة الأثر » .

(٢) رأيت منه في الجزائر سنة ١٣٢٤ نسخة فيها أمثلة النعل الشريف ، مصورة بشكل مُحكم الصنع ، متقن الوضع ، وذلك في دكان أختينا المحب سيدي علي بن الحداد ، أطال الله عمره في نعمة وعافية آمين .

وكان بها الملك الأعظم مولاي أحمد المنصور الشهير بالفضل والأدب ،  
المقدّم ذكره ، وان الفتوى صارت إليه في زمنه ، ومن بعده لما اختلت أحوال  
المملكة بسبب أولاده إلى حديث يطول ذكره . ارتحل تاركاً للمنصب والوطن  
في أواخر شهر رمضان سنة ١٠٢٧ قاصداً حج بيت الله الحرام . وأنشد صاحب  
مراكش متمثلاً قول علي بن عبد العزيز الحضرمي :

محبّتي تقتضي مقامسي \* وحالتي تقتضي الرحيل  
فأجابه صاحب مراكش بقوله :

لا أوحش الله منك قوماً \* تعودوا صنّعتك الجميلا

قلتُ : وبيت الحضرمي أول أبيات ثلاثة ، كتب بها لغز الدولة ابن  
سقمون ، وكان في خدمته وبعده :

هذان خصمان لست أقضي \* بينهما خوف أن أميلا  
فلا يزالان في خصامٍ \* حتّى أرى رأيك الجميلا

فوقع عز الدين على ورقته أن تمنع من الرحيل وتسوغ الإقامة في ظل  
دوحة وإحسان غمامة . قال المقرئ وكتب إلي الفقيه الكاتب أبو الحسن علي  
الخزرجي الفاسي الشهير بالشامي بما كتبه أبو جعفر أحمد بن خاتمة المرّي  
المغرّبي إلى بعض أشياخه :

أشمس الغرب حقاً ما سمعنا \* بأنك قد سئمت من الإقامة  
وأنك قد عزمّت على طلوعٍ \* إلى شرق سموت به علامة  
لقد زلزلت منا كل قلبٍ \* بحق الله لا تُقيم القيامة

ثم ورد إلى مصر بعد أداء الحج في رجب سنة ١٠٢٨ ، وتزوج بها

وسكنها ، وقد سُئِلَ عن حظه بها ، فقال : قد دخلها قبلنا ابنُ الحاجب وأنشد فيها قوله :

يا أهلَ مصرَ وجدتُ أَيْدِيَكُمْ \* في بذْلِها بالسَّخَاءِ مُنْقَبِضَةً  
لَمَّا عَدِمْتُ الْقَرْيَ بِأَرْضِكُمْ \* أَكَلْتُ كُتْبِي كَأَنِّي أَرْضَهُ

وأنشد هو لنفسه :

تركتُ رِسْومَ عِزِّي في بِلَادِي \* وصِرتُ بِمِصرَ مَنِيَّ الرُّسُومِ  
ونَفْسِي عَفْثَهَا بِالذُّلِّ فِيهَا \* وَقُلْتُ لَهَا عَنِ الْعِلْيَاءِ صُومِي  
ولي عِزٌّ كَحَدِّ السَّيْفِ مَاضٍ \* وَلَكِنَّ اللَّيَالِي مِنْ خُصُومِي

ثم زار بيت المقدس في شهر ربيع الأول سنة ١٠٢٩ ، ورجع إلى القاهرة ، وكرر منها الذهاب إلى مكة ، فدخلها بتاريخ سنة ١٠٣٧ خمس مرات ، وأملى بها دروساً عديدة ، ووفد على طيبة سبع مرات ، وأملى الحديث النبوي بمرأى منه ﷺ ومسمع ، ثم رجع إلى مصر في صفر سنة ١٠٣٩ ، ودخل القدس في رجب من تلك السنة ، وأقام خمسة وعشرين يوماً ، ثم ورد منها إلى دمشق فدخلها في أوائل شعبان ، وأنزلته المغاربة في مكان لا يليق به ، فأرسل إليه أحمد بن شاهين مفتاح « مدرسة الحَقْمَقِيَّة » وكتب مع المفتاح هذه الأبيات :

#### خفيف

كَنَفُ الْمَقَرِّي شَيْخِي مَقَرِّي \* وَإِلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ مَقَرِّي  
كَنَفٌ مِثْلُ صَدْرِهِ فِي اتِّسَاعٍ \* وَعِلْمٌ كَالْبَحْرِ فِي ضَمْنِ بَحْرِ  
أَيُّ بَدْرِ قَدْ أَطْلَعَ الدَّهْرُ مِنْهُ \* مَلَأَ الشَّرْقَ نَوْرَهُ أَيُّ بَدْرِ  
أَحْمَدُ سَيِّدِي وَشَيْخِي وَذُخْرِي \* وَسَمِيَّيْ وَذَاكَ أَشْرَفُ فَخْرِي

لو بغير الأقدام يسعى مشوق \* جثته زائراً على وجه شكري  
فأجابه المقرئ بقوله :

أي نظم في حسنه حار فكري \* وتحلى بدرو صدر ذكرري  
طائر الصيت لابن شاهين ينمي \* من بروض الندى له خير ذكر  
أحمد الممتطين ذروة مجد \* لعوان من المعالي وبكر  
حل مفتاح فضله باب وصل \* من معاني تعريفه دون نكر  
يا بديع الزمان دم في ازدياد \* بالعلی وازدياد تجنيس شكر

ولما دخل إليها أعجبته ، فنقل أسبابه إليها ، واستوطنها مدة إقامته ، وأملی « صحيح البخاري » بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح ، ولما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع تجاه القبة المعروفة « بالباعونية » وحضره غالب أعيان علماء دمشق ، وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد ، وكان يوم ختمه حافلاً جداً ، اجتمع فيه الألوف من الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن ، إلى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الجمعات ، من رجب وشعبان ورمضان ، وأني له بكرسي الوعظ ، فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره قط ، وتكلم على ترجمة البخاري ، وأنشد له بيتين ، وأفاد أن ليس للبخاري غيرهما ، وهما :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع \* فعسى أن يكون موتك بغتة  
كم صحيح قد مات قبل سقيم \* ذهبت نفسه النفيسة فلتة

قلت : ورأيت في بعض المجاميع نقلاً عن الحافظ ابن حجر أنه وقع للبخاري ذلك ، أو قريب منه ، وهذه من الغرائب انتهى ، وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر ، ثم ختم الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى

صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي قوله :

يا شفيعَ العُصاةِ أنتَ رجائي \* كيف يخشى الرَّجاءَ عندَكَ حَيَبُهُ<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا كُنْتُ حَاضِراً فِي فُؤَادِي \* غِيَبَةُ الْجِسْمِ عَنْكَ لَيْسَتْ بِغَيْبِهِ  
لَيْسَ بِالْعَيْشِ فِي الْبِلَادِ انْقِطَاعُ \* أَطْيَبُ الْعَيْشِ مَا يَكُونُ بِطَيْبِهِ

ونزل عن الكرسي ، فازدحم الناس على تقبيل يده ، وكان ذلك نهار  
الأربعاء سابع عَشْرِي رمضان سنة ١٠٣٧ ، ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين  
إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس ، وكان بعدما رأى من أهلها  
ما رأى يكثر الاهتمام بمدحها ، وقد عقد في كتابه « نفع الطيب » فصلاً  
يتعلق بها وبأهلها ، وأورد في مدحها أشعاراً ، ومن محاسن شعره في حقها قوله :

محاسِنُ الشَّامِ جَلَّتْ \* عَنْ أَنْ تُقَاسَ بِحَدِّ  
لَوْلَا حِمَى الشَّرْعِ قُلْنَا \* وَلَمْ نَقِفْ عِنْدَ حَدِّ  
كَأَنَّهَا مُعْجَزَاتُ \* مُقْرُونَةٌ بِالتَّحَدِّي

وجرى بينه وبين أدباؤها وعلمائها مطارحات شتى ، فمن ذلك ما كتبه  
إلى الشاهيني مع خاتم وسُبْحَة أرسلهما إليه :

يا نَجَلَ شاهينَ الَّذِي \* حَازَ المعَالِي والمَعَالِمَ  
يَا مَنْ دَمَشْقُ بِطَيْبِ مَا \* يُبْدِيهِ عَاطِرَةُ النَّوَاسِمِ  
فَالنَّهْرُ مِنْهَا ذُو صِفَا \* وَالزَّهْرُ مُفْتَرُ الْمَبَاسِمِ  
وَالْقُصْنُ يَشْنِي عِطْفَهُ \* طَرِباً لِتَغْرِيدِ الحَمَائِمِ  
يَا أَحْمَدَ الْأَوْصَافِ يَا \* مَنْ حَازَ أَنْوَاعَ الْمَكَارِمِ  
أَنْتَ الَّذِي طَوَّقْتَنِي \* مِثْنًا لَهَا تَعْنُو الْأَعَاظِمِ

فمتى أؤدي شكرها \* والعجز لي وصف مُلازم  
والعذرُ باءٌ إنْ بعثَ \* تَ إليك مِنْ جنسِ الرِّثائِمِ  
تسيحة الذكرِ التي \* جاءتْ بِتَضحيهِ مُلائِمِ  
وبخاتِمِ داعٍ إلى \* فيضِ الندى من كفِّ حاتمِ  
فامدّدْ على جَهْدِ المُقِمِ \* لَ رواقَ صَفحِ ذا دعائمِ  
لا زِلْتُ سابقَ غايَةٍ \* بينَ الأعرابِ والأعاجِمِ

سيدي لا يخفك أني بعثتُ بها رتيمة ، ولو أمكنني لأهديتُ من الجواهر  
ما ينوف على قدر القيمة ، فهما - أعني الخاتم والسُّبحة - تذكيرٌ ليد العلى بخالص  
الوداد ، وفي المثل : لا كُلْفَةَ بين مَنْ ثَبَّتَ بينهم الألفة حتى في الورق والمداد ،  
والله يبقيك البقاء الجميل ، ويبلغك غاية التأمل ، والعمو مطلوب ، والله  
عند منكسرة القلوب ، وهو المسؤول أن يحرسكم بعين عنايته التي لا تنام ،  
بجاه من ترقى إلى أعلى مقام ، والله درُّ القائل :

هدية العبدِ على قَدْرِهِ \* والفضلُ أنْ يقبلَهَا السَّيِّدُ  
فالعَيْنُ مع تعظيمِ مَقْدَارِهَا \* تقبلُ ما يُهدي لها المِرْوَدُ  
فكتب إليه الشاهيني قصيدة مطلعها :

يا سيِّداً شِعْري لهُ \* ما إنْ يقاوي أو يُقاومِ  
ومنها وهو محل ذكر ما أهدها إليه :

قَدْ جاءَ ما شَرَّفَنِي \* بخصُوصِهِ دونَ الأعاضِمِ  
مِنْ خاتِمِ كَفِّي بِهِ \* ورثتُ سليمانَ العزائِمِ  
وبسُبحَةِ شَبَّهْتُهَا \* بالشُّهْبِ في أسلاكِ ناظِمِ

ورأيتُ في بعض المجاميع نقلاً عن خط المقرئ قال : أنشدني صاحبنا  
العلامة البليغ الناظم الناصر القاضي محمد المنوفي لبعض من قصده الدهر بسهامه ،  
ولم يجد صبراً لإشكال صبره وانبهامه ، قوله :

وأخفيتُ صبري ساعةً بعدَ ساعةٍ \* ولكنَّ عيني في الأحايينِ تَدَمَعُ  
فقلتُ مضمناً وفيه لزوم ما لا يلزم :

وقائلةٍ مالي رأيتُكَ ذا شجسى \* ولم يكُ قدماً فيكَ للشَّجْوِ مَطْمَعُ  
فقلتُ : أصابني مِنَ الدهرِ عينُه \* وخالفتُ ذا نُصحٍ له كُنْتُ أَسْمَعُ  
فقلتُ : نصبرُ وأكتمُ الأمرَ تَسْرِخُ \* ولا تَسَامُنُ فالخيرُ في ذاكُ أجمعُ  
فقلتُ لها : أرشدتِ مَنْ ليسَ جاهلاً \* وأنشدتها والحيُّ للسَّيرِ أزمعُ  
« وأخفيتُ صبري ساعةً بعدَ ساعةٍ \* ولكنَّ عيني في الأحايينِ تَدَمَعُ »

قال وكان شيخ مشايخنا القاضي الأجلُ سيدي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي  
التلمساني ، قاضي قضاة فاس المحروسة ، نظم بيتاً ، ورمز فيه للمواضع  
التي لا يُصلَّى فيها على النبي ﷺ فقال :

على عاتقي حُمِلْتُ ذَنْبَ جوارحٍ \* تعبتُ بها والله للذَّنبِ غافِرُ

وهذا بيان ما رمز إليه على الترتيب : عطاس ، عبرة ، حمام ، ذبح ،  
جماع ، تعجب ، بيع . فقلت : إن قوله « والله للذنب غافر » لا محل له في  
الرمز ، مع أنه بقيت أشياء أخر ، لو جعلت مكان هذا الكلام لكان أحسن ،  
وأيضاً فإن بيته ليس فيه ما يفهم منه مراده ، فلما رأيت ذلك وطأتُ له بيت ،  
صرحتُ فيه بالمراد ، وأبدلتُ قوله « والله للذنب غافر » بالرمز لما أغفله ،  
فقلت : - والفضل بالتقدم له - :

يَنْزَهُ ذِكْرُ المصطفى في مواضعٍ \* لها رمزُ ألفاظٍ تبدَّى شمولُها  
على عاتقي حُمِلْتُ ذَنْبَ جوارحٍ \* تعبتُ بها قد أثقلتني حُمولُها

رمزت : للقدر ، والأكل ، وحاجة الإنسان ، لا يقال : إن الحاجة تدخل  
في قوله : حملت ، لأننا نقول : إنه كرر في قوله على عاتقي ، وذلك يدل على أنه  
لا يكتفي باللفظ الواحد . وذكر في بعض محاضراته أن لسان الدين بن الخطيب

ذكر في « الكتيبة الكامنة في أبناء الثامنة » جواباً عن البيتين المشهورين ، وهو قوله :

كسرتَ لِمَا قد قلتَ قلبي \* ولم تُضِفْهُ إلى فُلَانٍ  
ما يملكُ المُستَهَامُ قلباً \* يا ظالمَ اللفظِ والمعاني

قال : والبيتان المشهوران اللذان هذان جواب عنهما هما قول القائل :

يا ساكناً قلبي المعنى \* وليسَ فيه سِواه ثانِي  
لأَيِّ معنى كسرتَ قلبي \* وما التقى فيه ساكِنَانِ  
وأجاب المقرئ بقوله :

نحلتني طائعاً فـؤادي \* فصار إذ حُرْتُه مكاني  
لا غرو إن كان لي مضافاً \* إني على الكسرِ فيه باني

وذكر الخفاجي في ترجمة أحمد بن الجيعان بيتين في هذا المعنى ، وهما :

إنَّ ذا الدَّهرِ لا يزالُ يـُـسرى \* جمعَ شملِ الكِرامِ مُمتنعاً  
فهو حتماً مُحركٌ أبـُـداً \* أَحَدَ السَّاكِنِ ما اجتمعاً

ولسان الدين بن الخطيب هو الذي ألف صاحب الترجمة كتابه « عرف نفع الطيب » في أخباره ، ومن غريب خبره ، والأيام تري الغريب من أفعالها ، وتسمع العجيب من أحوالها ، أنه رحل من غرناطة ودخل إلى مدينة فاس ، فبالغ سلطانها في إكرامه ، فتمكن منه أعداؤه بالأندلس ، وأثبتوا عليه كلمات منسوبة إلى الزندقة ، تكلم بها فسجل القاضي بشبوت زندقته ، وحكم بإراقته دمه ، وأرسل به إلى سلطان فاس فسجن بها ، ودخل إليه بعض الأوغاد السجن وقتله خنقاً ، وأخرجوا رِمته فدفنت ، فأصبح غدوة دفنه طريحاً على شفير قبره ، وقد ألقيت عليه الأحطاب وأضرمت فيها النار ، فاحترق شعره ، واسودت بشرته ، ثم أعيد إلى حفرته ، وكان ذلك سنة ٧٧٦ ومن أعجب ما وقع له أنه كان نظم هذا المقطوع وهو :

قَفْ لَتَرَى مَغْرَبَ شَمْسِ الضُّحَى \* بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْمَغْرَبِ  
 وَاسْتَرْحِمِ اللَّهَ قَتِيلًا بِهَا \* كَانَ إِمَامَ الْعَصْرِ فِي الْمَغْرَبِ  
 فاتفق أنه قتل بين هاتين الصلاتين ، فالمراد من شمس الضحى نفسه ،  
 وقوله : واسترحم الله قتيلاً بها . معناه : أسأل الله رحمة للقتيل بشمس الضحى ،  
 فضمير بها عائد إلى شمس الضحى على سبيل الاستخدام ، وكلا المعنيين  
 مجازي .

( قلت : وأخبرني صاحبنا الشيخ الجرومي يحيى بن محمد قاضي تيزي  
 وزو في التاريخ ، وهو من أبناء العصر وحيد ، يتحلَّى بذكره جيداً الجزائر ،  
 ويفرح بوجوده فيها القاطن والزائر : إن ابن الخطيب قال يوم خنقه في سجنه  
 هذه الأبيات :

بَعُدْنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ \* وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ  
 وَأَنْفَاسُنَا سَكَنْتْ دُفْعَةً \* كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهُ الْقُنُوتُ  
 وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا \* وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَا نَحْنُ قُوتُ  
 وَكَمْ سِيقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ \* فَتَى مُلِثَتْ مِنْ كِسَاهُ التُّخُوتِ  
 وَكَمْ جَدَلَتْ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَى \* وَذُو الْبَحْتِ كَمْ جَدَلَتْهُ الْبُخُوتُ  
 فَقُلْ لِلْعِدَى ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ \* وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ  
 وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لُـهُ \* فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ

ورأيت لها تشظيرات قديمة وحديثة تركها أبلغ من ذكرها .

ولنرجع إلى بقية خبر المقرئ فنقول : وكانت إقامته بدمشق دون الأربعين  
 يوماً ، ثم رحل منها في خامس شوال سنة ١٠٣٩ إلى مصر ، وعاد إلى دمشق  
 مرة ثانية في أواخر شعبان سنة ١٠٤٠ ، وحصل له من الإكرام ما حصل في  
 قدومه الأول ، وحين فارقها أنشد قوله :

إِنْ شَامَ قَلْبِي عَنْكَ بَارِقَ سَلْوَةٍ \* يَا شَامَ كُنْتُ كَمَنْ يَخُونُ وَيَغْدُرُ  
كَمْ رَاحِلٍ عَنْهَا لَفَرَطٌ ضَرُورَةٍ \* وَعَلَى الْقَرَارِ بَغِيرُهَا لَا يَقْدِرُ  
مُتَصَاعِدُ الزَّفَرَاتِ مَكْلُومَ الْحَشَا \* وَالْدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَحَدَّرُ

ودخل مصر واستقر بها مدة يسيرة ، ثم طلق زوجته الوفائية ، وأراد  
العود إلى دمشق للتوطن بها ، ففاجأه الحِمَامُ قبل نيل المرام ، وكانت وفاته  
في جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ ، ودفن « بمقبرة المجاورين » وقال الأديب  
إبراهيم الأكرمي في تاريخ وفاته :

قَدْ خُتِمَ الْفَضْلُ بِهِ \* فَأَرْخُوهُ خَاتَمَ

١٠٤١

والمقري بفتح الميم وتشديد القاف وآخرها راء مهملة ، وقيل بفتح الميم  
وسكون القاف لغتان أشهرهما الأولى نسبة إلى قرية من قرى تلمسان<sup>(١)</sup> ،  
وإليها نسبة آبائه اه . مختصراً من « خلاصة الأثر » مع زيادة من غيرها وتصرف  
قليلين .

وفي « صفوة من انتشر » ما نصه : أحمد بن محمد المقرئ بفتح القاف  
المشدة من ذرية القاضي أبي عبد الله المقرئ التلمساني .

ولد بتلمسان وقرأ بها على عمه سيدي سعيد المقرئ ، ثم رحل لفاس  
سنة ١٠٠٩ ، وأخذ بها عن القصار ، وابن أبي النعيم ، وأبي العباس بابا  
السوداني ، وأحمد القاضي ، وابن عمران ، وغيرهم ، ثم رحل لمرآكش  
عام ١٠١٠ فأقام بها سنتين ، ثم رجع إلى فاس فتولَّى بها الفتوى والخطابة  
بـ « جامع القرويين » عام ١٠٢٢ ، فلم يزل كذلك إلى أن خرج للحج عام ١٠٢٧  
لموجب اقتضى خروجه عن فاس ، وهو أنه اتهم بالميل لجماعة شراكة وأضرابهم ،

(١) وفي غير « خلاصة الأثر » قرية من قرى الزاب .

على ما كانوا عليه من الفساد بفاس حياة السلطان الشيخ ، فلما رأى ذلك خاف على نفسه من أهل فاس ، فخرج منها مزعجاً وهو الذي قال عند خروجه من فاس : دخلت كمائها وخرجت كمائها مشيراً لذلك .

كان رحمه الله آية الزمان في حفظ النقول والاطلاع على غرائب الفروع ، مستحضراً للفقه والنوازل متقناً ، له ولوع بالأدب فلا ترى بخطه إلا مسائل الأدب ، ولما دخل مصر في توجهه للحجاز وقعت بينه وبين أهل مصر منازعات ، أسفرت عن تسليم حفظه ، وذلك أنه لما دخل مصر قبل أن يعرف حضر يوماً سوق الكتب فوجد تفسيراً غريباً ففتحه ، فإذا بسورة النور فتكلم ذلك المفسر على مسألة فقهية استطردها وحرر فيها القول ، فحفظ ذلك كله صاحب الترجمة ، فكان من غريب الاتفاق أنه بقرب ذلك اجتمع علماء البلد في دعوة ، وحضر معهم فلما استقر بهم المجلس إذا بسائل في يده بطاقة ، يسأل عن تلك المسألة التي حفظها المقرئ من ذلك التفسير فدفعت للأول من أهل المجلس ، فنظر فكأنه لم يستحضر فيها شيئاً فدفعها لمن يليه ، ثم دفعها هذا لهذا إلى أن بلغت صاحب الترجمة ، فلما نظرها استدعى بالدواة فكتب فيها الجواب كما حفظ ، فجعلوا ينظرون إليه متعجبين ، فلما فرغ تعاطوها ، فقالوا : من ذكر هذا ، فقال لهم فلان في تفسير سورة النور ، فأحضر التفسير فإذا هو كما قال ، فدخلهم من ذلك ما هو من شأن النفوس ، ولم يزل بمصر إلى أن حصلت له بها شهرة تامة ، وتزوج من السادة الوفايين أعظم بيوتات مصر بعد البكرين ، وذلك نهاية الشرف عندهم ، ثم إنه طلق الزوجة لأمر اقتضى ذلك ، فغضب لذلك أهلها ، وامتنع لهم أهل مصر ، وصرموا حياله ، فكتب صاحب الترجمة لطلبة فاس يخبرهم بذلك ، وهو يقول : لما طَلَّقْتُها لم يبق في مصر أحد يسلم علي إلا رجل حداد ، أو كما قال . وكان لصاحب الترجمة معرفة بعلم الجدول واطِّلاع على أسرارهِ ، حتى إنه ربما رقم الجدول

في التراب ويثير منه الدنانير .

وذكر الشيخ أبو سالم العياشي في « رحلته » عن الشيخ عبد القادر بن غصين ، قال : من قوة تواضع صاحب الترجمة أنه لما جاء من مصر إلى الشام جاء بكتاب من عند شيخ التجار بمصر أبي طاقية إلى والدي ، فأنزله والدي عندنا وأكرمه ، ثم إن والدي أتاه بولده الصغير أخي عبد الرحمن ، وسأله أن يدعو له ودعا له ، وكتب له وفقاً في صحيفة من فضة ، وأمر بتعليقه عليه ، فحصل لذلك الولد جاه عظيم ، وحظوة كبيرة عند الأمراء وأرباب الدولة ، وهو الآن شيخ التجار بتلك البلاد ، وكلمته نافذة عند العام والخاص اهـ .

وذكر في « الرحلة » أيضاً أن صاحب الترجمة لما كان بالشام خرج مرة من المدينة لزيارة بعض الأولياء خارجها ، فبدأ بقراءة القرآن ، فما وصل لضريح ذلك الولي حتى ختم القرآن مع قرب ما بينهما ، وفي « المحاضرات » للشيخ أبي علي اليوسي قال : حدثني الرئيس الأجلُّ أبو عبد الله الحاج محمد بن أبي بكر الدلائي قال : لما نزلنا في طلعتنا للحجاز بمصر خرج للقائنا صاحب الترجمة ، قال : وكنتُ أعرفه عند والدي لم يشب ، فوجدته قد شاب ، فقلت له : شَبِتَ فاستضحك ، ثم قال :

شَيَّبَتْنِي عَرْنَدَلُ وَنَجَارُ \* وَبَحَارُ فِيهَا اللَّيْبُ يَحَارُ

قال : وحدث أنهم ركبوا بحر سويس ، فهال لهم مدة من نحو ستة أشهر ، وهم يدورون دورانا ، وأنه أَلَفَ في تلك المدة موضوعاً في علم الهياة ، وسارت به الركبان ، فلما خرج من البحر وتصفحه ، وجد فيه الخطأ الفاحش ، وقد فات تداركه وذلك لما وقع له من الهول ، قال : وإذا هو قد خرج معه بضير ، فقال : هذا الضير من أعاجيب الزمان في بديهة الشعر ، فأتى عليه أي بيت شئت ، يأتي عليه ارتجالاً بما شئت من الشعر ، ثم عهده

به أن يقرأه فلا يبقى شيء منه في حفظه ، فأنيتكم به لتشاهدوا من عجائب  
هذه البلاد ، ونواذرها وتذهب بنجر ذلك إلى بلادكم ، قال : فاقترحوا مني  
شيئاً يقول عليه ، فحضر في لساني يائية ابن الفارض :

سائق الأظعان يطوي البید طي \* مُسرِعاً عرج على كُثبانِ طي

قال : فاندفع على هذا الروي مع صعوبته ، حتى إنه أتى بنحو مئة بيت  
ارتجالاً ، وحدثني أن صاحب الترجمة كان أيام مقامه بمصر قد اتخذ رجلاً  
عنده بنفقته وكسوته ، وما يحتاج على أن يكون كلما أصبح ذهب يقترى  
البلاد أسواقاً ورحاباً وأزقة ، وكلما رأى أو سمع يقصه عليه بالليل اه .

لطيفة ذكر أبو سالم في « الرحلة » أن صاحب الترجمة كان إذا أفتى في  
نازلة ، فسئل عنها مرة أخرى يمتنع من الجواب ثانياً ، مخافة أن يكون في  
الثانية ما يقتضي الفتوى بما يخالف الأولى ، فينسبه الكاشحون لما لا يليق .  
قال أبو سالم : وكنت أنا أُجيب عن الثانية أيضاً ، وأنبه على أنه صدر مني  
الجواب عن أخرى بخلاف هذا لكذا اه بالمعنى .

وله تأليف منها : « نفع الطيب في أخبار الأندلس وابن الخطيب » و« فتح  
المتعال في النعال » و« أزهار الرياض في ترجمة عياض » و« أزهار الكمامة  
في العمامة » في مجلد ، ألفه تجاه رأس النبي ﷺ بالمدينة ، ولا يخفى حسن  
مناسبتة ، و« إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة » درسها بالشام ومصر والحجاز ،  
وكتبت منها أكثر من ألفي نسخة ، وكتب خطه على أكثرها ، ومن شعره قوله :

بادِرْ إلى التَّوبَةِ واستَجْنِهَا \* فالمرء مأخوذ بما قد جَنَاهُ

وانتهزَ الفرصةَ في وقتها \* ما فازَ بالكرمِ سوى من جَنَاهُ

وله غير ذلك ، وفوائده لا تسعها مجلدات ، فلنقتصر على هذا القدر .

وتوفي رحمه الله بالشام مسموماً على ما قيل سنة ١٠٤١ ، وأما ما ذكره

الشيخ ميارة من أنه توفي بمصر فسهو اه .

### أحمد بن يحيى الونشريسي « نيل الابتهاج »

أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي العالم العلامة ،  
حامل لواء المذهب على رأس المئة التاسعة .

أخذ عن شيوخ بلده تلمسان ، كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني ، وولده  
القاضي العالم أبي سالم العقباني ، وحفيد الإمام العلامة محمد بن أحمد بن قاسم  
العقباني ، والإمام محمد بن العباس ، والعالم أبي عبد الله الجلاب ، والعالم  
الخطيب الصالح ابن مرزوق الكفيف ، والغرابلي والمري ، وغيرهم .

ثم حصلت له كاتنة من جهة السلطان في أول محرم عام ٨٧٤ ، فانتهبت  
داره ، وفرّ إلى مدينة فاس ، فاستوطنها . قال أحمد المنجور في « فهرسته »  
وأكبّ على تدريس « المدونة » و« فرعي ابن الحاجب » . وكان مشاركاً  
في فنون العلم إلا أنه لمّا لازم تدريس الفقه ، يقول من لا يعرفه : إنه لا يعرف  
غيره . وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضره يقول : لو حضر  
سيبويه لأخذ النحو من فيه ، وتخرج به جماعة من الفقهاء ، كالفقيه أبي  
عباد ابن مليح اللمطي ، قرأ عليه « ابن الحاجب » والشيخ المتفنن الأستاذ  
أبي زكرياء السوسي ، والفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الورترغيري ،  
والفقيه عبد السميع المصمودي ، والفقيه العلامة القاضي محمد بن الغرديس  
التغلي ، وبخزاة هذا الرجل انتفع لاحتوائها على تصانيف الفنون ، وبها  
استعان في تصنيف كتابه « المعيار » لا سيّما فتاوى فاس والأندلس ، فإنما  
تيسّرت له من هذه الخزاة . وأخذ عنه ولده عبد الواحد أيضاً اه .

قلت : أما فتاوى إفريقية وتلمسان فاعتمد فيها على « نوازل البرزلي » و« المازوني » فيما يظهر لمن طالعهما .

وله تأليف كثيرة منها « المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب » في ستة أسفار ، جمع فأوعى ، وحصل فوعى ، و« تعليق على ابن الحاجب الفرعي » في ثلاثة أسفار ، ووقفت على بعضها و« غنية المعاصر » و« التالي على وثائق الفشتالي » وكتاب « القواعد في الفقه » صغير محرر ، ووثائق المسماة بـ « الفائق في أحكام الوثائق » ولم يكمل ، وتأليف له في « الفروق في مسائل الفقه » وقفت عليه وغيرها .

توفي عام ٩١٤ وفي هذه السنة استولى الفرنج على مدينة وهران ، وعمره نحو ٨٠ سنة ، أخبرنا بذلك صاحبنا الشيخ المسن مفتي فاس محمد بن قاسم القصار الفاسي ، زادني بعض أصحابنا أن وفاته يوم الثلاثاء موفي عشرين من صفر ، وأنجب ولده عبد الواحد . اهـ .

### حسنُ بنُ عليّ المسيلي « نيل الابتهاج »

الشيخ الفقيه القاضي العالم العابد المتفنن المحصل المجتهد الإمام أبو علي ، كان يسمى أبا حامد الصغير ، جمع بين العلم والعمل والورع .

له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة ، منها : « التذكرة في علم أصول الدين » كتاب حسن من أجل الموضوعات في فنه ، ومنها « النبراس في الرد على منكر القياس » كتاب حسن ما رُئي في الكتب الموضوعية في هذا الشأن مثله ، وكتاب في علم التذكير سماه « التفكير في ما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات » كتاب جليل سلك فيه مسلك إحياء الغزالي ، وكانت

الجن تقرأ عليه .

ولي قضاء بجاية ، ودخل عليه الموارقة ، وهو قاضيا فألجؤوه لبيعتهم وأكرهوه مع غيره عليها ، وكانوا يتلثمون ، ولا يبدون وجوههم ، فامتنع من البيعة ، وقال : لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أو امرأة ، فكشف له الميوروقي ، وهذا منتهى ما بلغ من توقفه ، وهو أمر كبير عند مطالبته بالبيعة لولا علو منصبه ، وتأخر عن القضاء وبقي على دراسة العلم والاشتغال ، واحتاج إليه الناس في أمر دينهم ، فאלوا إليه وعولوا في أمرهم عليه . وكان يقول إذا أشير إليه بالتفرد في العلم والتوحد في الفهم : أدركت ببجاية سبعين مفتياً ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي ، ومرض في زمن ولايته القضاء فاستتاب حفيده على الأحكام ، وكان له نُبُل فتحاكمت عنده يوماً امرأتان ، ادعت إحدهما على الأخرى أنها أعارتها حلياً ، وأنها لم تُعدهُ إليها ، وأنكرت الأخرى فشدد على المنكرة وأوهمها حتى اعترفت ، وأعادت الحلي . وكان من سيرة هذا الحفيد أنه إذا انفصل عن مجلس الحكم ، يدخل لجده الفقيه أبي علي ويعرض عليه ما يلقى من المسائل ، فدخل عليه فَرِحاً ، وعرض عليه هذه المسألة ، فاشتدَّ نكيرُ الفقيه رضي الله عنه ، وجعل يعيب على نفسه تقديمه ، وقال له : إنما قال النبي ﷺ : « البينة على المدعي واليمين على من أنكر » (١) ، واستدعى شاهدين وأشهد بتأخيرهِ ، وهذا من ورعه ووقوفه مع ظاهر الشرع ، وعلى هذا يجب أن يكون العمل ، وهو مذهب مالك وظاهر مذهب الشافعي تجويز مثل هذا ، فإنه يرى أن القصد إنما هو الوصول إلى حقيقة الأمر ، فأَيُّ شيء وصل إليه حصل القصد ، ولأجل هذا يجيزون قضاء الحكام بعلمهم ،

---

(١) أخرجه الشافعي ٢/٢٣٣ ، في الدعاوى والبيئات : باب البينة على المدعي واليمين على المدعي عليه . ومسلم (١٧١١) وذلك بلفظ « البينة على المدعي ، واليمين على المدعي عليه » وأخرجه الترمذي ٦٢٦/٣ في كتاب الأحكام (ش) .

والحق خلافه لحديث « فإنما أقضي له على نحو ما أسمع »<sup>(١)</sup> . وقريب من هذا ما يحكى أن والياً كان بالإسكندرية يسمى فراجة ، وكان عالماً رفيع القدر والهيأة ، معرضاً عن أبناء الدنيا ، لا يخاف في الله لومة لائم ، فاتفق أن عامل بها رجل يباعاً ، ودفع له درهماً فوضعه البياح في قبضه ، ثم لم تتم بينهما المعاملة ، فقال الرجل للبياح : أصرف علي درهمي ، فقال له البياح : لا أعرف الدرهم ، ولكن هذا مكانه ، فحلف الرجل بطلاق زوجته لا يأخذ إلا درهماً بعينه ، وكثرت بينهما المراجعة إلى أن ترافعا إلى هذا الوالي فراجة ، فوصفا له قصتهما فأطرق ساعة ، ثم قال للبائع ادفع للرجل جميع ما في قبضك من الدراهم ، ويدفع لك مكانها دراهم من عنده ، ليتحلل بذلك من يمينه ، وكانت فتوى مرضية صاحبها ذكاء ، فنهى المجلس بحاله إلى الفقيه أبي القاسم ابن جارة ، فاستحسن فتواه وصوبها ، ثم خاف أن يحمله العجب على أن يفتي في غيرها من المسائل بغير علم ولا موافقة شرعية ، فتوجه إلى الوالي حتى وصل إلى باب داره ، فقال له : أنت المفتي بين الرجلين في كذا ؟ فقال : نعم ، فقال له : مَنْ أباح لك التسوّر على فتاوى العلماء والدخول في أحكام الشرع ؟ إياك أن تتعرض لما لست له أهلاً ، فقال له : يا فقيه أنا تائب ، فقال : أما إذا تبت فانصرف ، واحتفل بالجد في ما كُلفت به ، ولا تتعرض لما ليس من

(١) أخرجه الشافعي (٦٢٦) بترتيب السندي ، ومالك في « الموطأ » ٧١٩/٢ في الأقضية : باب الترغيب في القضاء بالحق . والبخاري ٢١٢/٥ في الشهادات : باب من أقام البيعة بعد اليمين . وفي المظالم : باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه . وفي الحيل : باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت . ففرض بقيمة الجارية . ثم وجدها صاحبها فهي له . وفي الأحكام : باب موعظة الإمام للخصوم . وباب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه . وباب القضاء في كثير المال وقليله . وأخرجه مسلم (١٧١٣) في الأقضية : باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة . وأبو داود (٣٥٨٣) . والترمذي (١٣٣٩) . والنسائي ٢٣٣/٨ . وأحمد ٢٩٠/٦ . ٣٠٧ . ٣٠٨ . ٣٢٠ . وأخرجه أحمد أيضاً ٣٣٢/٢ من حديث أبي هريرة . ولفظه عند البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم تخصصون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجة من بعض ، فن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها » (ش) .

شأنك ، توفي ببجاية ودفن بباب انيسون اه .

### أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بِقُدُورَة « صفوة من انتشر »

الجزائري الدار ، التونسي النُّجار ، كان رحمه الله عالماً متفتناً زاهداً  
ورعاً موصوفاً بالصلاح ، ولي الفتوى بالجزائر ، فأحسن فيها .  
أخذ عن سعيد المقرئ .

وله حواشي على « الصُّغرى » وعلى « خطبة اللقاني » و« شرح الأخضري »  
وهو شهير .

وأخذ عنه الفقيه محمد بن إبراهيم الهشتوكي وغيره ، وتوفي عام ١٠٦٦ هـ .  
وفي « نشر المثاني » ما نصه : الشيخ العالم المحقق مفتي الإسلام وخطيب  
الأنام سيدي سعيد المعروف بقُدُورَة بفتح أوله وتشديد ثانيه ابن إبراهيم الجزائري  
الدار ، التونسي الأصل ، أجد أئمة المعقول ، صاحب « الشرح على السلم  
في المنطق » و« الحاشية على شرح صغرى » للشيخ السنوسي ، وبالغ رحمه الله  
في بسط العبارة في « شرح السلم » فكان ذلك مما انفرد به . أخذ رحمه الله  
عن سعيد المقرئ وغيره . وأخذ عنه ولده الشيخ أبو عبد الله ، وسيدي أبو مهدي  
عيسى التعالبي . توفي في شوال سنة ١٠٦٦ هـ .

عبدُ الحقِّ بنُ عليٍّ قاضي الجزائر  
« نيل الابتهاج »

الفقيه العالم المفتي ابن الشيخ الصالح أبي الحسن علي .  
كان في طبقة محمد بن العباس التلمساني ، ونقل عنه المازوني والونشريسي  
في كتابيهما ، ووقع اسمه في كتاب « العلوم الفاخرة » للثعالبي ، ووصفه  
بالفقيه القاضي ، ولم أقف على ترجمته اه .

عبدُ الرَّحْمَنِ الأَخْضَرِي  
« لم اطلع على ترجمته <sup>(١)</sup> »

عالم صالح زاهد ورع ، ذو قدم راسخ في المعقول والمنقول .  
له تأليف تلقاها المعلمون بالقبول ، والمتعلمون بالحفظ ، والاستفادة ،  
منها « الدرة البيضاء في الحساب والفرائض » و« الجواهر المكنون في الثلاثة  
فنون المعاني والبيان والبديع » و« السلم المروتنق في علم المنطق » و« المنظومة  
القدسية في طريق السنة » و« التحذير من البدع » وله شروح على مؤلفاته ،  
 ووضع العلماء عليها حواشي ، وانتفع الناس بالجميع .  
كان حياً أواسط القرن العاشر ، وضريحه مشهور مزار في زاوية بنطيطوس  
من قرى زاب بسكرة .

---

(١) انظر « الأعلام » ، ٣/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ للزركلي .

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف  
الثعالبي الجزائري  
« نيل الابتهاج »

الشيخ الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع ، ولي الله الناصح الصالح العارف بالله أبو زيد ، شُهر بالثعالبي ، صاحب التصانيف المفيدة ، كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها ، ومن خيار عباد الله الصالحين .

قال السخاوي : كان إماماً علامة مصنفاً اختصر « تفسير ابن عطية » في جزأين ، و« شرح ابن الحاجب الفرعي » في جزأين ، وعمل في الوعظ والرفائق وغيرها .

قال الشيخ زروق : شيخنا الفقيه الصالح ، والديانة عليه أغلب من العلم ، يتحرى في النقل أتمَّ التحرّي ، وكان لا يستوفيه في بعض المواضع .

قال ابن <sup>(١)</sup> سلامة البسكري : كان شيخنا الثعالبي رجلاً صالحاً زاهداً عالماً عارفاً ولياً من أكابر العلماء ، له تأليف جمّة أعطاني نسخة من « تفسير الجواهر » لا بشراء ولا عوض ، عاوضه الله بالجنة ، وقال غيره : « سيدنا ووسيلتنا لربنا الإمام الولي العارف بالله .

قلت : وهو ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته ، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح ، كالإمام الأبي ، والولي العراقي ، والإمام الحفيد ابن مرزوق ، وقد عرّف هو بنفسه في مواضع من كتبه فقال : رحلتُ في طلب العلم من ناحية الجزائر في آخر القرن الثامن ، فدخلت بجاية عام ٨٠٢ ، فلقيتُ بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع ، أصحاب الفقيه الزاهد

(١) سيدي عيسى بن سلامة .

الورع عبد الرحمن الوغليسي ، وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس متوافرين يومئذ أصحاب ورع ووقوف مع الحد ، لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم ، وسلك أتباعهم مسلكهم ، كشيخنا الإمام الحافظ أبي الحسن علي ابن عثمان المنكلاقي ، وشيخنا الولي الفقيه المحقق أبي الربيع سليمان بن الحسن ، وأبي الحسن علي بن محمد اليليتي ، وعلي بن موسى ، والإمام العلامة أبي العباس النقاسي ، حضرت مجالسهم وعمدتي على الأولين ، ثم دخلت تونس عام تسعة أو عشرة ، وأصحاب ابن عرفة متوافرون ، فأخذت عنهم كشيخنا واحد زمانه أبي مهدي عيسى الغبريني ، وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد الله الأبي ، وأبي القاسم البرزلي ، وأبي يوسف يعقوب الزغبي وغيرهم ، وأكثر عمدتي على الأبي ، ثم رحلت للمشرق ، وسمعت « البخاري » بمصر على البلالي ، وكثيراً من اختصار « الاحياء » له ، و حضرت مجلس شيخ المالكية بها أبي عبد الله البساطي ، و حضرت كثيراً عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي ، وأخذت عنه علوماً جمّة ، معظمها علم الحديث ، وفتح لي فتح عظيم وأجازني ، ثم رجعت لتونس فإذا في موضع الغبريني الشيخ أبو عبد الله القلشاني ، خلفه فيه عند موته فلازمته وأخذت « البخاري » إلا يسيراً عن البرزلي ، ولم يكن بتونس يومئذ من يفوقني في علم الحديث إذا تكلمت أنصتوا ، وقبلوا ما أرويه تواضعاً منهم ، وإنصافاً واعترافاً بالحق ، وكان بعض فضلاء المغاربة يقول لي لما قدمت من الشرق : أنت آية في علم الحديث ، و حضرت أيضاً شيخنا الأبي وأجازني ، ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام ٨١٩ فأقام بها نحو سنة ، فأخذت عنه كثيراً ، وسمعت عليه « الموطأ » بقراءة الفقيه أبي حفص عمر القلشاني ابن شيخنا أبي عبد الله وغير شيء ، وأجازني وأذن لي هو والأبي في الإقراء ، وأخذت عن غيرهم اه ملخصاً . قلت : ومن شيوخه المحدث عبد الواحد الغرياني ، وحافظ المغرب

أبو القاسم العبدوسي ، وابن قرشية .

وأما تآليفه فكثيرة كـ « تفسير الجواهر الحسان » في غاية الحسن ،  
اختصر فيه « ابن عطية » مع زوائد وفوائد كثيرة ، و« روضة الأنوار ونزهة  
الأخيار » وهو قدر « المدونة » ، فيه لباب من نحو ستين من أمهات الدواوين  
المعتمدة ، وهو خزانة كتب لمن حصله . قال : وجمعه سنين كثيرة ، فيه  
بساتين وروضات اهـ . وكتاب « الأنوار في معجزات النبي المختار » صلى الله عليه وسلم  
و« الأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة » في جزء و« رياض الصالحين »  
جزء ، وكتاب « التقاط الدرر » وكتاب « الدرر الفائق » في الأذكار والدعوات  
و« العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة » مجلد ضخمة و« شرح ابن الحاجب  
الفرعي » في سفرين جمع فيه نخب كلام ابن راشد وابن عبد السلام وابن  
هارون وخليل وغرر ابن عرفة مع جواهر « المدونة » و« عيون مسائلها في  
سفرين ، وفي آخره جامع كبير نحو عشرة كراريس من القالب الكبير فيه  
فوائد و« إرشاد السالك » جزء صغير و« الأربعون حديثاً مختارة » و« المختار  
من الجوامع في محاذات الدرر اللوامع » وكتاب « جامع الفوائد » وكتاب  
« جامع الأمهات في أحكام العبادات » وكتاب « النصائح » وكتاب « تحفة  
الإخوان في إعراب بعض آي من القرآن » و« الذهب الإبريز » في غرائب القرآن  
وكتاب « الإرشاد في مصالح العباد » ذكر جميعها في « فهرسته » .

ولد عام ٧٨٦<sup>(١)</sup> أو ٧٨٧ ، وتوفي كما ذكر الشيخ زروق سنة ٨٧٥ ،  
فعمره نحو ٩٠ سنة ، كما ذكره السخاوي ، وقال زروق : ٩٣ ، والأول  
أشبه لما تقدم من ولادته ، وقد ذكر هو عن نفسه أنه في عام ٨٤١ ابن ٥٥ أو ٥٦  
سنة فاعرفه .

---

(١) هي سنة وفاة سيدي عبد الرحمن الوغليسي البجائي المترجم بعده .

أخذ عنه جماعة كالشيخ العالم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ، والإمام السنوسي ، وأخيه لأمه عليّ التالوتي ، والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي . ومن فوائده ما ذكره في كثير من كتبه قال : ومما جربته من الخواص أن من أراد أن يستيقظ أي وقت شاء من الليل فليقرأ عند نومه عند غلبة النعاس ، بحيث لا تتجدد عقبها خواطر آية ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الخ (١) السورة فإنه يستيقظ في الوقت الذي نواه ، بلا شك وهو من العجائب المقطوع بها . قال : وفي الصحيح « إن في الليل ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه » (٢) فإذا أردت معرفة هذه الساعة فاقرأ عند نومك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (٣) إلى آخرها ، فإنك تستيقظ في الساعة بفضل الله تعالى ، وربما تكرر تيقظك لأمر أراده الله تعالى ، وهذا مما ألهمت ، وما كتبه إلا بعد استخارة ، وإياك أن تدعو فيه على مسلم وإن ظلاماً وإلا فالله حسيبك ، وأنا بين يديه خصيمك ، وهي فائدة عظيمة اهملها ملخصاً .

فائدة : ذكر صاحب الترجمة في ورقات جمعها عدة مرائي رأيتها في فضل تفسيره فيما قال فيها : حدثني والدي وعمي عن عمر بن مخلوف قال : بشرنا بك والدنا مخلوف ، وقال : يولد لولدي محمد ولد يكون من شأنه كذا وكذا من أوصاف الخير ، وكان جدي المذكور من أفراد الأولياء الراسخين ، وعباده المتقين بلغ في سلوك الطريق الغاية والنهاية ، وظهر له كرامات من أهل الرسوخ والتمكين ما يخبرني بشيء إلا كان كذلك ، كأنه ينظر اللوح المحفوظ ، وتأولت ذلك ما يسر الله لي من التصانيف ، لا سيما تفسير القرآن لانتفاع

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٢ .

(٢) أخرجه مسلم ٥٢١/١ في الصلاة : باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً ، إلا أعطاه إياه » (ش) .

(٣) سورة الكهف : الآية ١٠٧ .

المسلمين به ، ورأيتهُ ﷺ مراراً على نحو صفاته المذكورة في الكتب ، لم يختلف حاله عليّ قطُّ لا في خُلُقٍ ولا في خُلُقٍ ، وما رأيتُهُ إلا رأيت منه بشاشةً وخلقاً كريماً إلا مرة واحدة . فرأيتُهُ وأنا في تأليف هذا التفسير وقراءة « البخاري » ، وأنا في موضع عال مع أناس كثيرين ، وهو يُفرِّق طعاماً في يده الكريمة ، وطمعت في نيل شيء منه ، وخشيت نفاده قبل وصوله إليّ لكثرة الناس ، فما كمل خاطر إلا وهو ﷺ واقف مقبل عليّ مسرور ، فسألته أن يطعمني من الطعام ، فناولني من يده الكريمة ، وأكلت منه ونظر إليّ ﷺ ، قائلاً : أليس إذا أطعم النبي أحداً شيئاً يتقبَّوه ، فقلت له أفأتقبَّوه ؟ ، ونهَّيت للقي ، فقال لي ليس هذا أريد ، ففهمت أنه لم يرد القيء بظاهره ، وأولته بنشر العلم ، وبثته وفرحت ، ورأيتُهُ مرة أيضاً عام ٨٣٣ ، وهو يحض ﷺ على علم الطب قائلاً وواعداً من اشتغل بتحصيله أن يسأل الله تعالى أن يجعله في جواره أو قال في درجته ﷺ . وذكر الفقيه الصالح سعيد الهواري عن إنسان رأى رؤيا في فضل كتاب « الجواهر الحسان » كأن منادياً يُنادي ان الله تعالى قضى أنه لا يأتي بعده مثله ، وأنه تعالى جعل عليه القبول ، أو نحو ذلك ، ثم ذكر سعيد المذكور أنه رأى لهذا التفسير ثلاثة آلاف رؤيا تقتضي خيره اه ملخصاً وقد ذكر كثيراً من ذلك اه .

### عبد الرَّحْمَنِ الوغليسي « نيل الابتهاج »

الوغليسي البجائي عالمها ومفتيها ، الفقيه العالم الصالح أبو زيد قال ابن الخطيب القسنطيني : توفي سنة ٧٨٦ ببجاية .  
وله « المقدمة المشهورة » وفتاوى .

أخذ عنه جماعة ، كأبي الحسن علي بن عثمان ، وأبي القاسم بن محمد  
المشدالي فقيه بجاية وغيرها اهـ .

ومن خط صاحبنا الشيخ محمد السعيد ابن زكري الزواوي ما نصه :  
الفقيه الأصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد  
الوغيلسي ، شيخ الجماعة في بجاية ، تلامذته علماء أجلاء مشهورون ، وتأليفه  
كثيرة منها : « الجماعة » في الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك ، وتسمى  
« الوغيلسية » نسبة إلى بني وغيليس ، توفي في تربته المشهورة أواخر القرن  
الثامن . وعلى قبره قبة ظاهرة ، وبينه وبين سيدي عيش نحو ميل ، قال العارف  
سيدي عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره « الجواهر الحسان » عند قوله تعالى  
﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ <sup>(١)</sup> ما نصه : رحلت في طلب العلم أواخر القرن  
الثامن ، ودخلت بجاية أوائل القرن التاسع ، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم  
في العلم أصحاب سيدي عبد الرحمن الوغيلسي متوافرين ، فحضرت مجالسهم اهـ .

### علي الأنصاري « صفوة من انتشر »

الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري ،  
ينسب لسعد بن عبادة ، السلجماسي الجزائري ، ونشأ بسلجماسة ، ثم ارتحل  
لفاس ، فأخذ بها عن عبد الله بن طاهر الحسني ، وابن أبي بكر الدلائي ،  
قرأ عليه « البخاري » نحو إحدى وعشرين مرة و « الشفا » و « الموطأ » و « رسالة  
القشيري » و « التنوير » و « الحكم » ، وعن أبي العباس أحمد المقرئ قرأ عليه  
« الموطأ » و « الرسالة » و « مختصر خليل » و « ابن الحاجب » وغير ذلك ،  
ثم سافر للحجاز بعد الأربعين ، فأخذ عن الغنيمي والأجهوري ، ثم عاد

(١) الشورى : ٥٣ .

للجزائر ، واستقر بها لإفادة العلم ، إلى أن توفي شهيداً بالطاعون عام ١٠٥٤ .  
وله تأليف غالبها نظم و« شرح على الآجرومية » و« ابن عاصم » و« ابن  
بري » و« تفسير » لم يكمل ، و« منظومة في السير » وفي « اصطلاح الحديث »  
و« التصريف » و« الطب » و« التشريح » و« الأصول » وغير ذلك مما يطول .  
أخذ عنه جماعة اه .

وفي « خلاصة الأثر » : عليُّ بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله  
ابن يحيى بن أبي يحيى بن أحمد بن السراج أبو الحسن الأنصاري السلجماسي  
الجزائري . قال تلميذه الإمام العلامة عيسى أبو مهدي بن محمد الثعالبي نزيل  
مكة : رأيت بخطه نسبه مرفوعاً إلى سعد بن عبادة ، سيد الخزرج . وكان  
عالماً محدثاً أخبارياً أديباً . قال الفيومي والشلي : ولد بتافلاّت ، ونشأ بسلجماسه ،  
ثم رحل إلى فاس ، وأدرك بها جلة العلماء ، فأخذ عنهم بها عدة فنون ،  
وكان جلّ أخذه عن الأستاذ الكبير نخبة الشرف السيد أبي محمد عفيف الدين  
عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السلجماسي ، والعالم الوليّ بقية السلف أبي  
عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي الصنهاجي ، وحافظ العصر أبي العباس  
أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، وبلغ الغاية القصوى في الرواية والمحفوظات ،  
وكثرة القراءة ، وحكى بعض تلامذته أنه قرأ « الستة » على مشايخه دراية ، وقرأ  
« البخاري » سبع عشرة مرة بالدرس قراءة بحث وتدقيق ، ومرّ على « الكشف »  
من أوله إلى آخره ثلاثين مرة منها قراءة ، ومنها مطالعة ، ثم رحل بعد الأربعين  
من بلاده فحج ، ودخل مصر في سنة ١٠٤٣ ، وأخذ بها عن الشهابين أحمد  
الغنيمي ، وأحمد بن عبد الوارث البكري ، وعن النور علي الأجهوري المارّ  
ذكرهم ، وغيرهم . ولقيه الشيخ الإمام عبد القادر بن مصطفى الصفوري  
الدمشقي في مرتحله إلى القاهرة ، فأخذ عنه مع جمع ، ثم عاد إلى المغرب ،  
ووصل إلى فاس ، ثم صار مفتياً بالجليل الأخضر ، وبقي هناك .

وكان آية باهرة في جميع العلوم ، وجميع أحواله كلها مرضية ، وله مؤلفات كثيرة ، غالبها نظم منها « التفسير » بلغ فيه إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ <sup>(١)</sup> و « شرح التحفة » لابن عاصم ، ولم يخرج من « المسودة » ، و « تقييد على مختصر خليل » لم يكمل ، و « المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية » ومنها نظم السيرة النبوية ، سماه « الدرة المنيفة في السيرة الشريفة » افتتحها بقوله :  
**قال عليّ حامِلُ الأوزارِ \* هو ابنُ عبدِ الواحدِ الأنصاري**

ومنظومة « جامعة الأسرار في قواعد الإسلام الخمس » و « اليواقيت الثمينة » في العقائد و « الأشباه والنظائر » في فقه عالم المدينة وهو نظم ، و « عقد الجواهر في نظم النظائر » لم يتم ، و « السيرة الصغرى » نظم أيضاً ، والنظم المسمى بـ « مسالك الوصول إلى مدارك الأصول » ونظم « أصول الشريف التلمساني وشرحه » و « منظومة في وفيات الأعيان » وأخرى في « التفسير » وأخرى في « مصطلح الحديث » وأخرى في « الأصول » غير ما تقدم وأخرى في « النحو » وأخرى في « الصرف » وأخرى في « المعاني والبيان » وأخرى في « الجدل » وأخرى في « المنطق » وأخرى في « الفرائض » وأخرى في « التصوف » وأخرى في « الطب » وأخرى في « التشريع » و « شرح الآجرومية » و « الدرر اللوامع » لأبي الحسن ابن بري و « ديوان خطب » و « نظم في مسألة الأوتاد والأبدال » وغير ذلك .

وكانت وفاته في أواخر شعبان سنة ١٠٥٧ شهيداً بالطاعون في الجزائر من الديار المغربية اهـ .

وفي « نفع الطيب » ما نصه : ومن ذلك ما كتبه لي بعض الأصحاب ممن كان يقرأ علي بالمغرب ، وصورته : سيدنا وسيد أهل الإسلام ، حامل

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

راية علوم الأمة الأحمدية ، على صاحبها الصلاة والسلام ، آية الله في المعالي والمعالى ، وحسنه الأيام والليالي ، وواسطة عقود الجواهر والآلى ، إمام مذهب مالك والأشعري والبخاري والواقدي والخليل العلامة القدوة السيد الكبير الشهير الجليل ، ذو الأخلاق العذبة المذاق ، والشمائل المفصحة عن طيب الأصول والأعراق ، كبير زمانه دون منازع ، وعالم أوانه من غير منكر ولا مدافع ، شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبیب قلوبنا ، مولانا شيخ الشيوخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ المغربي التلمساني نزيل فاس ، ثم الديار المصرية حفظه الله ، في مواطن استقراره ، ورفع درجته بإشادة فخاره على مناره ، عن شوق يودُّ له الكاتب أن لو كان في طي كتابه ، وتوق إلى مشاهدتكم هو الغاية في بابه بعد إهداء السلام المحفوف بأنواع التحيات والكرامات والبركات ، الدائم ما دامت في الوجود السكنات والحركات لمقامكم الأكبر ومحفلكم الأشهر ، ومن تعلق بأذيالكم ، أو كان مستمطراً لنوالكم ، أو صُبَّت عليه شآبيبُ أفضالكم ، من أهل ومحب وصاحب وخديم ، هذا وإنه ينهي إلى الوداد القديم أن أهل المغرب الأدنى والأقصى حاضرة وبادية كلهم يتفكّهون بل يتقوتون بذكركم ، ويشتاقون لرؤية وجوهكم ، ويتلذذون بطيب أخباركم ، وإن كان المغرب الآن في تفاقم أحوال وتراكم أهوال ، في الغاية مدائن ، وبوادي سيما مدينة فاس فإنها في شر عظيم ، وأميرها مولاي عبد الملك مات في السنة السابعة والثلاثين بل في ذي الحجة قبلها ، وفي المحرم من سنة ٣٧ توفي ملك المغرب السلطان أبو المعالي زيدان ، وبويع من بعده ابنه مولاي عبد الملك ، وتقاتل مع أخويه الأميرين الوليد وأحمد وهزمهما ، وإلى الله عاقبة الأمور ، وأهل داركم بفاس بخير وعافية ونعم ضافية ، سوى ما أدركهم من طول الغيبة نسأل الله أن يملأ بقدمكم العيبة ، ومحجكم الأكبر ووليكم الأصغر سيد أهل المغرب اليوم ، وشيخ الطريقة والمربي في سلوك أهل الحقيقة

العارف بالله الشيخ الرباني ذو الكرامات والمقامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي يُحِبُّكُمْ ، ويعظم قدركم ، ولسانه لكم ذاكر ناشر شاكر ، وهو على خير ، وقد اجتمعت علي من بركتكم في مدينة سلا جماعة من طلاب العلم ، وفتح الله علي بتأليف عديدة منها « كفاية الطالب النبيل في حل ألفاظ مختصر خليل » ومنها شرح علي « المنهج المنتخب » للزقاق في قواعد مالك ، ومنظومة أكثر من ألف بيت في « السير والشمائل » ومنها في رجال البخاري ، ولا كنسج الكلاباذي ، ومنها خطب وغير ذلك ، والكل من بركتكم ، ونسبته إليكم في صحيفتكم ، والسلام من ولدكم المقر بفضلكم ، تراب نعالكم علي بن عبد الواحد الأنصاري عن قلق لطف الله به ، وحامله كبير كبراء قومه ممن يحبكم ويعرفكم ، واتفعلوا معه من خير فلن تكفروه والسلام اه .

### علي بن عثمان المنقلاتي « نيل الابتهاج »

الزواوي البجائي من علماء بجاية وفقهائها الجلة .

أخذ عن الشيخ عبد الرحمن الوغليسي وغيره ، وهو والد العلامة أبي علي منصور مفتي بجاية ، قال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في حقه : شيخنا أبو الحسن الإمام الحافظ ، وعليه كانت عمدة قراءتي ببجاية اه وله فتاوى نقل بعضها في « المازونية » و« المعيار » اه .

## عمران بن موسى المشدالي « نيل الابتهاج »

البجائي الأصل ، نزيل تلمسان ، أبو موسى صهر ناصر الدين المشدالي ، كان فقيهاً حافظاً علامة محققاً كبيراً ، أخذ عنه العلامة المقرئ وغيره .

قال المقرئ : رأيتُه إذا دخل المسجد بعد الغروب قبل الإقامة يثبث قائماً إلى أن تقام الصلاة ، وأنا لا أدري ذلك ، بل يركع الداخل لانتهاؤ وقت المنع بالغروب ، وما وقع في المذهب في ذلك فللمبادرة للصلاة ، وهو لم يفعل ، فإن كان ترك الركوع حسماً للذريعة فلا فرق بين قيامه وجلوسه ، ألا ترى أن داخل المسجد إذا تحدّث قائماً حتى انصرف ، أو بدأ في المسجد بغير صلاة ، ولم يجلس ما امتثل الأمر على ما مر ، والمراد بحديث « لا يجلسُ داخلُ المسجدِ حتّى يُصلِّي ركعتين »<sup>(١)</sup> افتتاحه بالصلاة ، وذكر الجلوس خرج مخرج الغالب لا مفهوم له ، فله صلاة التحية جالساً ، والجلوس إن لم يتمكن من الصلاة اه .

قال المقرئ : فر صاحب الترجمة من حصار بجاية إلى الجزائر ، فبعث إليه صاحب تلمسان وقرّبه ، وأحسن إليه ، فدرّس بها الحديث والفقه والأصليين والفرائض والمنطق والجدل ، وكان كثير الإتيان في الفقه والجدل ، مديد الباع في غيرهما ، مما ذكر . سألتُه عن قول ابن الحاجب في السهو : فإن اخل الإعراض فيبطل عمده . فقال : معناه : ان اخل غيره أنه معرض فحذف المفعول

(١) أخرجه مالك في « الموطأ » ١/١٦٢ من حديث أبي قتادة السلمي بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « وإذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » وأخرجه البخاري ٤٤٧/١ في الصلاة : باب إذا دخل المسجد فليركع ركعتين . ومسلم (٧١٤) في صلاة المسافرين : باب استحباب تحية المسجد بركعتين ، وأخرجه الترمذي (٣١٦) (ش) .

الأول وأقام المصدر مقام المفعولين ، كما يقوم مقامهما ما في معناه من نحو ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾<sup>(١)</sup> ، وأقوى من هذا كون المصدر هو المفعول الثاني ، وحذف الثالث اختصاراً للدلالة المعنى ، أي : إخال الإعراض كائناً كقولهم : خِلْتُ ذلك ، وقد أعربت الآية بالوجهين ، وهذا عندي أغرب ، ومنه قول القضاة : أعلم باستقلاله ، أي : أعلم الواقف عليه بأنه مستقل ، فحذفوا الأول ، وصاغوا المصدر مما بعده .

المقري : شهدتُ مجلسَ أبي تاشفين صاحب تلمسان ، ذكر فيه أبو زيد ابن الإمام أن ابنَ القاسم مقلدٌ لمالك . ونازعه أبو موسى عمران المذكور ، وادَّعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتج بمخالفته لمالك في كثير ، وذكر منه نظائر ، قال : فلو قلده لم يخالفه لغيره ، فاحتجَّ أبو زيد بنصر الشرف التلمساني أنه مثل مجتهد المذهب بابن القاسم في مذهب مالك ، وبالمزني في مذهب الثافعي ، ومحمد بن الحسن في مذهب أبي حنيفة ، فأجابه عمران بأنه مثال ، والمثال لا يلزم صحته ، فصاح عليه أبو موسى ابن الإمام وقال لأبي عبد الله بن عمر : تكلم ، فقال : لا أعرف ما قاله هذا الفقيه ، والذي ذكره أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل ، فقال أبو موسى للسلطان : هذا كلام أصولي محقق ، قال المقري : فقلتُ لهما وأنا يومئذ حديث السنن : ما أنصفتماه ، فإن المثل كما يؤخذ على جهة التحقيق ، يؤخذ أيضاً على جهة التقريب ، ومن ثم جاء ما قاله ابن أبي عمرو ، كيف لا وهذا سيئويه يقول : وهذا مثال . ولا يتكلم فيه ، فإذا صح أن المثال يكون تقريباً لا يلزم صحة المثال ، ولا فساد الممثل بفساده ، فالقولان من أصل واحد اهـ . ينقل ابن الخطيب في « الإحاطة » .

قلت : وبنحو ما استدل به عمران على اجتهاد ابن القاسم من مخالفته لمالك ، استدل ابن عبد السلام لذلك ، وتعقبه ابن عرفة بأنه مزجي البضاعة

(١) سورة العنكبوت : الآية ٢ .

في الحديث ، ونكت ابن غازي على تعقبه بأنه: كيف يُثبت الاجتهاد لشيوخه كابن عبد السلام وغيره ، وينفيه عن شيخ هداية المالكية بعبارة فظيعة . قلت : ولا ريب في إمامة ابن القاسم في الحديث ، وناهيك ببناء النسائي عليه فيه كما تقدم ، والعجب من الإمام ابن عرفة كيف يثبت الاجتهاد لابن دقيق العيد ونظرائه ، ثم يقول : وفي المازري نظر ، هل لحقه أم لا ، ومعلوم أن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد لا يبلغان درجة المازري في تفقهه وإمامته ، قال بعض شيوخ العصر : من الأدلة القطعية عندي أن ابن دقيق العيد والسبكي ما بلغوا رتبة الاجتهاد المطلق ، فأحرى الجلال السيوطي وأضرابه الذين ادّعوا هذه المرتبة ، وأين مرتبتهم من مرتبة الغزالي وإمام الحرمين في الفقه والإمامة ، وقوة الذهن ، تالله لا نسبة بينه وبينهما في شيء من ذلك اهـ .

قلت : الذي يظهر أن الاجتهاد المذهبي مرتبة متسعة ، تتفاوت بقوة التمكن وضعفه ، فبالانصاف بأدنى درجاتها يدعيها مدعيها ، ومع الاتساع في الحفظ ومعرفة الأحاديث ، بل والوقوف على الأحاديث ربّما يخيل لصاحبها مع ذلك وصول درجة الاجتهاد المطلق ، مع كون من فوقه في تمكن النظر ، وقوة التفقه ، ومعرفة المذهب وتداركه ، لا يدعي تلك الرتبة لعدم اتساعه في الحفظ ، ومعرفة الأحاديث ، فتأمل ذلك ، فهذا قاسم العقباني والمسنوي والبجائي من أهل المئة التاسعة يُصرّحون ببلوغ درجة الاجتهاد ، والإمام الشاطبي والحفيد ابن مرزوق ينفون ذلك عن أنفسهما ، ومعلوم أنهما أقوى علماً وأوسع باعاً من الذين ادّعوا . والله أعلم فتأمل ذلك .

مولد عمران المشدالي سنة سبعين وست مئة (٦٧٠) ، وتوفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة (٧٤٥) ، وله مقالة مفيدة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة ، نقل عنه في « المعيار » في مواضع اهـ .

**عَمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَمَادِ**  
**الأنصاري القسطنطيني عرف بالوزان**  
**« نيل الابتهاج »**

قال المنجور في « فهرسته » : هو الفقيه العالم الكبير المتفنن المحقق الراسخ الصالح أبو حفص ، كان آية يبهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول ، من عباد الله الصالحين ، رحل إليه شيخنا أبو زكرياء الزواوي ، وسمعه يقرر الفقه بنقل اللخمي وغيره ، ويقرئ الفنون ، فكان إذا ذكره يعجب ويعجب ، ويرجحه على كل علماء عصره . حدثني من أثقُ به من أهل بلده أنه يقرئ الجن . أخذ عنه شيخنا اليسيني « الأصولين » و« البيان » وغيرهما ، وقرأ عليه « معالم الفخر » قراءة بحث وتحقيق .

توفي بقرب الستين وتسع مئة (٩٦٠) . له تأليف منها « الرد على المرباط عرفة القيرواني وصحبه » كتاب جليل ختمه بالتصوف ومدَّ فيه النفس بما يعلم منه أنه من أهل التصوف ، ومنها تأليف على طريق الطوابع والمواقف سماه « البضاعة المزجاة » في غاية التحقيق والإيضاح لتلك الأغراض ، ومنها « فتاوى في الفقه والكلام » وغيرهما أبدع فيها ما شاء ، سألته عن بعضها الفقيه الكبير المحقق الصالح أبو زكرياء يحيى بن عمر الزواوي اهـ . قلت ومن تأليفه « تعليق على قول خليل وخصصت نية الحالف » و« حاشية على شرح الصغرى » للسنوسي .

أخذ عنه جماعة كعبد الكريم الفكون ، وأبي الطيب البسكري ، ويحيى ابن سليمان ، وأخبرني بعض أصحابنا أن وفاته سنة ٩٦٠ والله أعلم اهـ .

## أبو مهدي عيسى الثعالبي « نشر الثاني »

الشيخ الإمام ، نخبه الفضلاء ، وواسطة عقد النبلاء ، حسنة الليالي والأيام ،  
وواحد العلماء الأعلام ، سيدي أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري .  
بهذا وصفه أبو سالم في « فهرسته » وقال في « رحلته » : وأخبرني الشيخ  
الراوي أبو مهدي يعني صاحب الترجمة عن بعض أكابر مشايخه أنه كان  
يقول : إن للقصاصد خصوصاً إذا كانت عن حضور قلب أثراً عظيماً في  
تفريج الكُرَبات ، ونيل الرغبات ، أعظم من أثر الأوفاق والدعوات ،  
وترتيبها في الخلوات ، وقد جرَّب ذلك فظهر صدقه ، ولا يبعد أن يكون  
لترتيب الألفاظ على وزن مخصوص ، ينشرح معه الصدر للتضرع ، واللُّجأ  
إلى الله ، ويقوِّي معها الرجاء في حصول المطلوب ، قال : وأغرب من ذلك  
ما رأيته في بعض التقايد بعد قول الشاعر :

وكنْتُ إذا ما جئتُ سَعْدَى أزورها \* أرى الأرضَ تطوى لي ويدُنو بعيدُها  
من الخَفِرَاتِ البِيضِ ودَّ جليْسُها \* إذا ما انقضَّتْ أهدُوثةٌ لو تُعيدُها

قال ابن عريس رحمه الله : إن هذا الشعر ما قيل في طريق إلا سهلت ، ولا  
أمان مخيف إلا أَمِنَ فيه ، ولا مجاعة إلا وحصل الشَّبْع ، ولا معطشة إلا وحصل  
الرَّيُّ ، وذلك لخاصية في حروفه ، وهي مما سمع من كلام العرب ، قال : ومن  
هذا المهيج أن هذا الشعر الآتي ما قيل ثلاث مرات في ضيقة إلا فرَّج الله عن  
قائله وهو :

كَمْ حاصرتنِي شِدَّةٌ بجَيْشِها \* وضاقَ صَدْرِي من لِقَاها وانزعَجْ  
حتَّى إذا أيسَتْ مِنْ زَوَالِها \* جاءتْ لها الألفاظُ تسعى بالفرَجْ

قال : وما ذكر من الخاصية في ترتيب الحروف ، قد ذكر نحوه بعض أهل الطريق في كون بعض الأذكار يُعزى إليها من الخواص ما ليس لغيره ، مع اشتماله على ما فيه وزيادة ، والله أعلم . ثم قال وظفرتُ في بعض التقايد بسر من أسرار أسماء الله الحُسنى ، وذلك اسمه تعالى الكافي الغني الفتاح الرزاق ، ومن لازم ذكر هذه الأسماء وهو يتمنى شيئاً حصل له بفضل الله اه كلام أبي سالم في « رحلته » .

وقال أيضاً في « فهرسته » لقيته أعني صاحب الترجمة أول رحلتي وذاكرته ، ولم آخذ عنه شيئاً ، ثم لقيته بعد ذلك بأعوام في الوجهة الثانية بمصر ، وقرأت عليه واستفدت منه كثيراً ، وشاركته في كثير من مشايخه وسمعت منه بعض « مسند ابن حنبل » وأجاز لي بجميع مروياته عن جميع أشياخه ، وكتب لي بذلك بخطه ، ومن أشياخه سوى مَنْ شاركتُه فيه سيدي أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري ، دفين الجزائر ، ومنهم سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري ، وهو يروي عن سيدي سعيد المقرئ وغيره ، ومنهم الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن محمد الهواري ، وهو يروي عن الشيخ خالد المكي ، عن الشيخ سالم السنهوري ، ومنهم الشيخ عبد العزيز محمد بن عبد العزيز الزمزمي المكي ، وهو يروي عن ولده ، عن أبي زكرياء ، ومنهم الشيخ علي ابن الجمال الشافعي نزيل مكة المشرفة ، يروي عن العلامة محمد بن أحمد ابن عبد القادر القرشي الزبيري الشافعي إمام المحراب الشريف بالروضة المطهرة رضي الله عنهم ، وشيخنا أبو مهدي هذا مستوطن الآن أرض الحجاز ، يتردد بين الحرمين ، وله في قلوب أهلها محبة وإجلال ، نفعتنا الله به آمين اه كلامه في « فهرسته » .

توفي صاحب الترجمة رابع وعشرين من رجب عام ثمانين وألف (١٠٨٠) ، على ما في « فهرسة » الشيخ سيدي الطيب الفاسي اه .

وفي « الصفوة » : العالم الكبير والمحقق الشهير أبو مهدي عيسى بن محمد  
الثعالبي نسبة إلى وطن الثعالبة ، من عمالة الجزائر ، الجعفري نسبة لجعفر بن  
أبي طالب رضي الله عنه .

نشأ رحمه الله في وطنه المذكور ، وتاقت نفسه للرحلة في طلب العلم  
بعد أن حصل ما عند أهل وطنه ، فدخل الجزائر ، فأخذ بها عن أشياخها ،  
وصادف أيام دخوله الشيخ العلامة حافظ وقته أبي الحسن علي بن عبد الواحد  
الأنصاري المتقدم الذكر بها ، فاتصل به ولازمه ، وكان أبو الحسن لماً  
دخل الجزائر تصدّى لنشر العلم ، فهرع الناس إليه وحصلت له وجاهة عظيمة  
عند أرباب الدولة ، ولم يزل أبو مهدي في صحبة أبي الحسن إلى أن زوجه ابنته  
فبقي معها مدة إلى أن وقع له ما أوجب تطلقها بإشارة والدها أبي الحسن ، ولم  
ينقطع بذلك أبو مهدي عن ملازمته ، ولما مات أبو الحسن نادته العناية إلى  
الحرمين ، فجاور بهما سنين ، ودرّس العلم وحصل له إقبال عند أهلها لجودة  
فهمه ، وحسن تقريره ، وهنالك تجددت له رغبة في علم الحديث ، وكان  
فيه قبل ذلك من الزاهدين ، فأخذ عن شيوخ الحرمين كالقشاهلي ، والزين ،  
الطبري والزمزمي ، والبابلي ، وغيرهم ثم آص إلى مصر فأخذ بها عن الأجهوري  
والخفاجي والميموني وغيرهم ، وكان الشيخ البابلي يقول له : ما وصل إلينا  
من المغرب أحفظ من الشيخ المقرئ ولا أذكى منك ، وكان إذا دخل على  
الأجهوري يقول له : شئت الأسماع علماً منه أنه لا يأتي إلّا لسمع حديث  
أو رواية غريب ، وهكذا عادته ما دخل على أحد من المشايخ إلّا استفاد وأفاد ،  
قال أبو سالم : ولو قيل : إن شيوخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يفيدونه  
لم يبعد ، لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرواية ، وهم يستفيدون منه الدّراية ،  
وأخذ بالصعيد عن الشيخ الجامع بين علمي الظاهر والباطن أبي الحسن علي  
المصري ، ثم عاد للحجاز ، وألقى بالحرمين عصى التّسيار ، وبثّ هنالك

ما تحمّل عن أشياخه .

وبالجملة فهو نادرة الوقت ، ومسند الزمان ، وله فهرسة سماها « كثر الرواة » وسلك في ترتيبها مسلكاً غريباً ، وهو أنه رتبها على أسماء شيوخه ، فيبدأ بالتعريف بشيخه ، وذكر مؤلفاته ومقروءاته ، وأسماء شيوخه ، ثم يذكر كل كتاب قرأه عليه ، فيذكر سنده إلى مؤلف الكتاب ، فيعرف بهذا المؤلف ، ويذكر طرفاً من أول الكتاب ، وكان ينشد في عد أحاديث البخاري :  
وعدُّ أحاديث البخاري خالصاً \* من العودِ والتكرارِ ألفان مع نصف  
وزد عشرة من بعدها وثلاثة \* أضفها إليها تنجُ من شبه الخلف  
وكان يستحسن قول حسان في مدح مولانا إبراهيم بن النبي ﷺ :

مضى ابنك محمود العواقب لم يشب \* بعبٍ ولم يذم بقول ولا فعل  
رأى أنه إن عاش ساواك في العُلا \* فأثر أن تبقى وحيداً بلا مثل  
وينشد :

قَرابةُ السوءِ شرُّ داء \* فاحملْ إذا همّ تعيشَ حميدا  
ومَنْ لقي قَرْصَةً بفيهِ \* يصْبِرْ على مَصّه الصديدا

وفوائده رحمه الله كثيرة ، قال : وقد لقني الشيخ البكري الذكّر وهو استغفرُ الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوبُ إليه ثلاثاً ، ولا إله إلا الله ثلاثاً ، ويدي في يده ورداؤه من (١) اه . وتوفي سنة ثمانين وألف (١٠٨٠) .  
وفي « خلاصة الأثر » : عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر جار الله أبو مكتوم المغربي الجعفري الثعالبي الهاشمي ، نزيل المدينة المنورة ، ثم مكة المشرفة ، إمام الحرمين ، وعالم المغربين والمشرقين ، الإمام العالم العامل

(١) بياض بالأصل .

الورع الزاهد المتفنن في كل العلوم ، الكثير الإحاطة والتحقيق ، ولد بمدينة زواوة من أرض المغرب ، وبها نشأ ، وحفظ متوناً في العربية والفقه والمنطق والأصليين وغيرها ، وعرض محفوظاته على شيوخ بلده منهم : الشيخ عبد الصادق ، وعنه أخذ الفقه ، ثم رحل إلى الجزائر ، وأخذ بها عن المفتي الكبير الشهير الشيخ سعيد قدّورة ، وحضر دروسه ، وروى عنه الحديث المسلسل بالأولية والضيافة على الأسودين الماء والتمر ، وتلقين الذكر ، ولُبس الخرقه ، والمصافحة والمشابكة ، ولازم دروس الإمام الشهير والصدر الكبير أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي مدة تزيد على عشر سنين ، فشاركه بركته في فنون عديدة ، وأخذ عنه « صحيح البخاري » إلى نحو الربع منه ، على وجه من الدراية بديع ، التزم الكلام فيه على إسناده بتعريف رجاله ، من ذكر سيرهم ومناقبهم ومواليدهم ووفياتهم ، وما في الإسناد من اللطائف ، من كونه مكياً أو مدنياً ، وفيه رواية الأكابر عن الأصاغر ، والصحابي عن الصحابي ونحو ذلك ، وعلى متنه بتفسير غريبه ، وبيان محل الاستدلال منه ، ومطابقته للترجمة ، وما يحتاج إليه من إعراب وتصريف ، وما فيه من القواعد الأصولية ، وما يُبنى عليها من الفروع ، والإلماع بما فيه من الإشارات الصوفية ، وغير ذلك مما يبهّر العقول ، وسمع عليه جميع الصحيح غير مرة ، على طريق مختصر بين الدراية والرواية ، وسمع عليه طرفاً من « الشفا » تفقهاً فيه بمراجعة شروحه : التلمساني والدلجي والشمي وغيرهم . وأخذ عنه في علوم الحديث ألفية العراقي تفقهاً فيها ، وفي شرحها للمصنف ، وشيخ الإسلام ، وفي الفقه جميع « مختصر خليل » تفقهاً فيه بمطالعة شروحه : بهرام ، والتنتائي ، والمواق ، وابن غازي ، والحطاب ، وغيرهم ، و« الرسالة » إلى نحو النصف منها تفقهاً فيها كذلك بمراجعة : شروحها الجزولي ، وأبي الحسن ، وغيرهما ، ونبذة من « تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام »

لابن عاصم ، وفي أصول الفقه جميع « جمع الجوامع » للسُّبكي مرتين قراءة  
 بحث ، وطرفاً من « أصول ابن الحاجب » مع نبذة من شرحه للعقباني ،  
 وشرحه للقاضي عَضُدُ الدين ، و« حاشية المحقق التفتراني » عليه ، وفي أصول  
 الدين « أم البراهين » بشرحها للسُّنوسي من قوله : ويجمع معاني هذه العقائد  
 كلّها قولُ لا إله إلا الله إلى آخره ، وجميع المقدمات بشرحها له ، وطرفاً  
 من « الكبرى » له ، وطرفاً من « اختصار الطوالع » للبيضاوي ، وفي النحو  
 « الألفية » لابن مالك سماعاً من لفظه من أولها إلى ترجمة الكلام . وما يتألف  
 منه ، مع الإلماع بلطائف ونكت ، و« اللامية » من أولها إلى باب أبنية الفعل  
 المجرد وتصاريفه ، وفي فن البلاغة جميع « تلخيص المفتاح » بشرحه « المختصر »  
 وفي المنطق جميع « الجمل » للخونجي مرتين ، بمراجعة شروحه : التلمساني ،  
 وابن مرزوق الحفيد ، وابن الخطيب القسنطيني ، وجميع « مختصر السنوسي »  
 ومن « ايساغوجي » من القياس الخ . ومن « البردة » من أولها إلى قوله :  
 نبينا الأمر الناهي . وكان يأتي فيها بالعجائب والغرائب ، وربما يمر عليه الأيام  
 في البيت الواحد منها بمراجعة شرحها لابن مرزوق الحفيد ، وغيره . وفي  
 التصوف « المباحث الأصلية » نظم ابن البنا في « آداب السلوك » وغير ذلك مما  
 لا يُحصى في فنون شتى ، كالرسم والضبط والبدیع والعروض والقوافي  
 والتفسير ، وأجازه مرات ، بل أنابه عنه في مباشرة وظيفة تدريس له ،  
 وزوجه ابنته واختص به ، ولم يفارقه حتى مات ، وماتت زوجته ، فرحل  
 عن الجزائر ، وتبعه للقراءة عليه في المنطق شيخنا العلامة المحقق المدقق يحيى  
 ابن محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن أبي البركات الشهير بالشاوي ،  
 وقال : إنه سارمعه نحو ثمانين مراحل حتى أكمل قراءته عليه ، ودخل تونس  
 وأخذ عَمَّنْ بها من أجلائها ، كالشيخ زين العابدين وغيره ، ولما دخل إلى  
 قسنطينة أخذ بها عن الشيخ المعمر عبد الكريم اللفكوني ، ولم يزل على ذلك ،

كلما اجتمع بأحد من العلماء استفاد منه ، وأفاده حتى وصل إلى مكة المشرقة وحجَّ في سنة اثنتين وستين وألف (١٠٦٢) ، وجاور بها سنة ثلاثٍ وستين ، وسكن بخلوة في رباط الداودية ، وأخذ عنه إذ ذاك الشيخ علي باحاج ، وقرأ عليه « الصحيحين » و« الموطأ » ثم رحل إلى مصر ، وأخذ بها عن أكابر علمائها ، كالنور علي الأجهوري والقاضي الشَّهاب أحمد الخفاجي ، والشمس محمد الشوبري ، وأخيه الشَّهاب ، والبرهان المأموني ، والشيخ سلطان المزاحي ، والنور الشبراملسي ، وغيرهم ممن يطول ذكر أسمائهم ، وأجازوه بمروياتهم ، وأثنوا عليه بما هو أهله ، بل اتفق له مع شيخ الشافعية محمد الشوبري وأخيه شيخ الحنفية أحمد أنه اجتمع بهما في وليمة عند بعض الكبراء ، فقدم إليهما استدعاء بخطه ، فلما رآه الكبير منهما وهو الشمس محمد قال معتذراً عن كتابة الإجازة : قد جاء في الحديث « ان الله كتب الإحسانَ على كلِّ شيء » <sup>(١)</sup> الخ وإني لا أحسن كتابة إجازة تناسب الاستدعاء الحسن ، فطلب من أخيه الكتابة عليه ، فقال : أنا على مذهب الأخ ، وكتب له البرهان المأموني في إجازته أنه ما رأى منذ زمان من يُماثلُه ، بل من يقاربه ، ورحل إلى منية ابن الخصيب ، وأخذ بها عن الشيخ علي المصري ، وهو الشيخ العارف بالله تعالى الورع الزاهد ، المشهور بالولاية ، العظيم القدر ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، صاحب التصانيف ، منها « تحفة الأكياس في حسن الظَّنِّ بالناس » و« رسالة الأنوار في بيان فضل الورع من السنة وكلام الأخيار » وغير ذلك ، ثم رحل إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، وأخذ بها عن أجلائها كالقاضي تاج الدين المالكي والإمام زين العابدين الطبري ، والشيخ عبد العزيز الزمزمي ، والشيخ علي ابن الجمال المكيين ، وأجازوه بمروياتهم ، ولازم بها خاتمة المحدثين الشمس

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥) عن أبي يعلى شداد بن أوسن رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (ش) .

البابلي ، وخرج له فهرسة بمقروءاته ، واشتغل بالتدريس في المسجد الحرام في فنون كثيرة ، وكان يزور النبي ﷺ في أثناء كل سنة ، ويتردد على الأستاذ الصفي أحمد القشاشي ، ويأخذ عنه ، وكان يقول : ما رأيتُ مثل سيدي الشيخ أحمد يكتب ما أراد من غير احتياج إلى تفكير ، قال : وكان شيخنا علي بن عبد الواحد يقول : ما دام القلم في يدي ، ومُدَّتْهُ فيه ، كتبت به ، فإذا جف احتجت إلى التأمل والاستحضار ، وأما سيدي الشيخ أحمد فلا يقف وارده عند جفاف قلمه . ومكث بمكة سنين عزباً ، ثم ابتنى له داراً ، واشترى جارية رومية ، واستولدها وحصلَ كتباً كثيرة ، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، حتى إن العارف بالله السيد محمد باعلوي كان يقول في شأنه : إنه زروق زمانه ، وكان السيد عمر باحسن باعلوي يقول : من أراد أن ينظر إلى شخص لا يُشَكُّ في ولايته فليُنظر إليه ، وكفى بذلك فخراً له ، من شهد له خزيمة فحسب ، وقد شوهدت له كرامات ، وكانت سائر أوقاته معمورة بأنواع العبادة .

وانتفع به جماعة من العلماء الكبار، منهم الأستاذ الكبير إبراهيم بن حسن الكوراني ، وشيخنا الحسن بن علي العجيمي ، وشيخنا أحمد بن محمد النخلي فسح الله تعالى في أجلهما ، والسيد محمد الشلي باعلوي ، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان ، والسيد محمد بن شيخنا عمر شيخان ، والشيخ عبد الله الطاهر العباسي ، وغيرهم .

وله مؤلفات منها « مقاليد الأسانيد » ذكر فيه شيوخه المالكيين ، وأسماء رواة الإمام أبي حنيفة ، و« فهرست البابلي » .

وكانت وفاته يوم الأربعاء ، لِسِتِّ بَقَيْنِ من رجب سنة ثمانين بعد الألف ، ودفن بالحجون عند قبر الأستاذ المشهور الشيخ محمد بن عراق .

قاسمُ بنُ سعيد بن مُحَمَّد العقباني التلمساني

« نيل الابتهاج »

الإمام أبو الفضل وأبو القاسم شيخ الإسلام ، ومفتي الأنام ، الفرد العَلَّامة الحافظ القدوة العارف المجتهد المعتمَر ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، القدوة الرحلة الحاج .

أخذ عن والده الإمام أبي عثمان وغيره ، وحصل العلوم حتى وصل درجة الاجتهاد ، وله اختيارات خارجة عن المذهب ، نازعه في كثير منها عصره الإمام ابن مرزوق الحفيد .

قال في حقه تلميذه محمد بن العباس : شيخنا مفتي الأمة عَلامَة المحققين وصدر الأفاضل المبرزين آخر الأئمة اهـ . وقال يحيى المازوني : شيخنا شيخ الإسلام ، علم الأعلام ، العارف بالقواعد والمباني ، أبو الفضل العقباني . وقال الحافظ التنسي : شيخنا الإمام العَلَّامة وحيدُ دهره وفريد عصره . وقال القلصادي في « رحلته » : شيخنا وبركتنا الفقيه الإمام المعتمَر ملحق الأصاغر بالأكابر ، العديم النظير والأقران ، مرتقي ذروة الاجتهاد بالدليل والبرهان ، أبو الفضل ، كان ذا أبهة وبهاء وجودة مملوءة من علم ، خالية من الازدهاء ، وخلقة سمت في مطالع الحسن إلى أنهى كمال ، وأكمل انتهاء ، انفرد بفني المعقول والمنقول ، واتحد في علمي اللسان والبيان ، وهو في ما عداه من الفنون يفوق الصدور ، ويفيض على مزاحمه البحور ، ولي خطة القضاء بتلمسان في صغره ، ورأى أمله من ذريته في كبره ، وأحرز في العلوم قصب السبق ، وحازه وقطع فيها صدر العمر ، واستقبل أعجازه . عكف على تعليم العلوم ، وعلى تدريس المعدوم منها والمعلوم ، فأفاد الأفراد ، وأمتع جهابذة النقاد ،

وأسمع كل الأسماع ما اشتهى وأراد ، لازمته بعد وفاة أحمد بن زاغو ، حتى رحلت من تلمسان ، ولما عدت إليها وجدته حياً ، وقرأت عليه بعض « مختصر المدونة » لابن أبي زيد ، و« مختصر خليل » و« حكم ابن عطاء الله » مع شرح ابن عباد والحوافي بطريق الصحيح ، والمكسور والمناسخات من شرح والده ، و« مختصره في أصول الدين » وغيرهما . وحضرته في كتب عديدة في فنون شتى وكانت خلقته حسنة مرضية قل أن يرى مثلاً . توفي في ذي القعدة عام ٨٥٤ ، وصلي عليه في الجامع الأعظم ، وحضر جنازته السلطان فن دونه ، ودفن قرب الشيخ ابن مرزوق اهـ . ملخصاً ، وتوفي عن سن عالية ، رحل للحج سنة ٨٣٠ ، وحضر بمصر إملاء ابن حجر ، واستجاز ابن حجر فأجازه ، وحضر أيضاً درس العلامة البساطي <sup>(١)</sup> ، وله تعليق على « ابن الحاجب الفرعي » و« أرجوزة » تتعلق بالصوفية في اجتماعهم على الذكر وغيره .

أخذ عنه جماعة منهم أبو البركات النابلي ، وولده أبو سالم العقباني ، وحفيده محمد بن أحمد ، والعلامة ابن زكري ، والكفيف ابن مرزوق ، وأبو العباس والونشريسي ، ومن تقدم ذكره في خلق اهـ .

---

(١) في نيل الابتهاج : ولد البساطي بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٧٦٠ ، وقيل في بساط أواخر محرم ، واشتهر أمره في الأقطار بالعلم الأصلي والفرعي ، النقل والعقل ، وعاش دهرأ في بؤس بنام على قشر القصب ، ثم تحرى له الحظ وجاور بمكة ، وولي قضاء مصر ٢٠ سنة ، ولما رجع من المجاورة لمكة قال :

ولم أنسَ ذاك الأنسَ والقومُ هُجَّعَ \* ونحنُ ضيوفُ والقرى تتنوعُ  
وعشاقُ ليلى بين بالكِ وصارخِ \* وأحسنُ مصروعٍ بوصلي يُمتنعُ  
وأخبر في السرِّ الإلهي مُتَبِّعُ \* تفوصُ به الأملُ أج حيناً وترفعُ  
وتوفي ليلة الجمعة ١٣ رمضان سنة ٨٣٢ ، ورثاه الشهاب ابن أبي مسعود المنوفي بقوله :

مات قاضي القضاة يا علم فاهجج \* واطو من بعده بساط البساط  
وابلك شمساً أغارها القبرُ وافرش \* للشرى وجنتيك بعد البساطي

أقول : وهو ثاني العقبايين العلماء الخمسة ، وأولهم أبوه سعيد ، والثالث والرابع ولده أحمد وإبراهيم ، والخامس حفيده القاضي محمد ، وفي « نفع الطيب » عند ذكر أمة العزيز ، قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتاب « المطرب من أشعار المغرب » : أنشدني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها :

الحاظنا تجرحكم في الحشا \* ولحظكم يجرحنا في الخدود  
جرحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بدا \* فما الذي أوجب جرَحَ الصُّدودِ

قلت ( المقرئ ) : هذا السؤال يحتاج إلى جواب ، وقد رأيت لبلدينا القاضي أبي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه ، والغالب أنه من نظمه وهو قوله :

أوجه مني ياسيــــــــــــــدي \* جرحٌ بخدٍ ليس فيه الجُحودُ  
وأنتَ فيما قتلته مُدْعٍ \* فأينَ ما قلتَ ؟ وأينَ الشُّهُودُ ؟

قاسمُ بنُ عيسى بن ناجي  
من « البستان في علماء تلمسان »

أبو الفضل وأبو القاسم شارح « المدونة » و « الرسالة » و « الجلاب » الشيخ العالم الفقيه العلم الحافظ البارع الزاهد الورع القاضي .

أخذ بالقيروان عن أبي محمد الشيبسي وعن ابن عرفة ، وكثير من أصحابه ، وغيرهم كأبي مهدي الغبريني ، والحافظ البرزلي والعلامة الأبي ، والقاضي يعقوب الزغبى ، وقاضي الجماعة قاسم القسنطيني ، وأبي القاسم السلأوي ، والفقيه المدرس أبي عبد الله محمد الوانوشي ، وعن القاضي أبي عبد الله بن قليل الهم ، والفقيه العدل عمر المسراقي القيرواني ، وأبي علي الشنواني ، وأبي

عبد الله محمد بن بندار المرادي القيرواني والقاضي ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الفاسي القيرواني ، وغيرهم . ولي القضاء بمواضع كباحة وجربة والقيروان ، وكان معه تفقه عظيم ، وقيام تام على « المدونة » ، واستحضر للفروع .

له شرح حسن على « الرسالة » مفيد ويذكر أن المغيلي بالغ في الثناء على هذا الشرح ويقول له : المذهب <sup>(١)</sup> ، وشرحان على « المدونة » الشتوي في أربعة أسفار ، والصيني في سفرين أخذ عنه غير واحد كالشيخ حلولو ، وغيره . توفي سنة ٨٣٧ قاله النشريسي في و « فياته » اه . ومثله في « نيل الابتهاج » ، زاد في « البستان » فائدة قد كتب في زمن قاضي الجماعة بتونس يعقوب الزغي مسألة ، وهي أن رجلاً أوصى لأول ولد يولد عند ابنته ، فولدت ولداً ميتاً ، فاختلفت فتاويهم يومئذ ، وبقيت المسألة إلى أن تولى صاحب الترجمة القضاء ، فحكم فيها بأن المراد أول ولد يولد حياً ، لأن القصد الانتفاع ، ولا ينتفع بها إلا من كان حياً اه . قلت : وقد ذكر هذا الفرع الشيخ حلولو في « شرح المختصر » فانظره . اه .

محمد بن إبراهيم بن أحمد  
العبدري التلمساني عُرف بالابلي  
من « نيل الابتهاج » ومثله في « البستان »

الإمام العلامة ، المجمع على إمامته ، أعلم خلق الله بفنون المعقول .

قال تلميذه الإمام المقرئ : هذا الإمام نسيج وحده ، ورحلة وقته ، في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره ، قال ابن خلدون : أصله من الأندلس من أهل إبله من بلاد الجوف ، انتقل منها أبوه وعمه ، فخدما

---

(١) في نيل الابتهاج « المذهب » .

يغمراسن صاحب تلمسان ، وتزوج أبوه بنت القاضي محمد بن غلبون ، فولدت له شيخنا هذا ، ونشأ في كفاة جده القاضي بتلمسان ، فانتحل العلم فسبق لذهنه محبة التعاليم ، فبرع فيها ، وعكف الناس عليه في تعلمها ، فلما أخذ يوسف بن يعقوب تلمسان ، استخدمه ، فكَرِهَ ذلك . وسار إلى الحج ، قال : فلما ركبُ البحر من تونس للاسكندرية اشتدت عليَّ الغلظة في البحر ، واستحييت من كثرة الغسل ، فأشير عليَّ بشرب الكافور ، فشربت منه غرفة فاختلطت ، فقدمت الديار المصرية وبها ابن دقيق العيد ، وابن الرفعة ، والصفي الهندي ، والتبريزي ، وغيرهم من فرسان المعقول ، فلم يكن قصاري إلا تمييز أشخاصهم ، فحججت ورجعت لتلمسان ، وقد أفقت من اختلاطي ، فقرأت المنطق والأصولين على أبي موسى ابن الإمام . ثم أراد أبو حمو صاحب تلمسان إكراهه على العمل ، فقرَّر لفاس واختفى هناك عند خلوف اليهودي <sup>(١)</sup> شيخ التعاليم ، فأخذ فنونها ، وحذق ، ثم دخل مراکش في حدود عشرة وسبع مئة ، ونزل على شيخ المعقول والمنقول المبرز في التصوف علماً وحالاً ابن البنَّا ، فلازمه وتصلع عليه في المعقول والتعاليم والحكمة ، ثم صعد على الجبل عند علي بن محمد شيخ الهاكرة ، فقرأ عليه ، واجتمع عليه طلبة العلم ، فكثرت إفادته واستفادته ، ثم رجع لفاس فاثال عليه طلبة العلم من كل ناحية ، فانتشر علمه واشتهر ذِكْرُهُ ، ولما لقيَ السلطان أبو الحسن عند فتح تلمسان أبا موسى ابن الإمام أثنى عليه <sup>(٢)</sup> ووصفه بتقدمه في العلوم ، وكان يعتني بجمع العلماء في مجلسه ، فاستدعاه من فاس فنظمه في طبقة ، فعكف على التدريس والتعليم ، ولازمه وحضر معه وقعة طريف والقيروان .

قال ابن خلدون : لازمته وأخذتُ عنه فنوناً ، ثم طلبه أبو عنان بتلمسان ،

(١) المغيلي هـ « بستان » .

(٢) يعني اثني أبو موسى على المترجم .

فنظمه في طبقة علماء أشياخه ، وكان يقرأ عليه حتى مات بفاس سنة سبع وخمسين وسبع مئة (٧٥٧) ، وأخبرني أن مولده سنة إحدى وثمانين وست مئة (٦٨١) هـ .

قال تلميذه المقرئ : أخذ بتلمسان عن أبي الحسن التنسي ، وابن الإمام ، ورحل في آخر السابعة للشرق ، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ، ثم رجع لتلمسان ثم للغرب ، فأخذ عن ابن البناء ، وسأل كثيراً من علمائه قال له ، قلت لأبي الحسن الصغير : ما قولك في المهدي ؟ فقال : عالم سلطان ، ولقيته بعد فتح تلمسان ، وأخذت عنه اهـ .

قال المقرئ : ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي فاساً رسولاً عن صاحب بجاية ، زاره الطلبة فحدثهم أنهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في « تفسير الفخر » في سورة الفاتحة ، ويستشكله الشيخ معهم وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصل ، وإن الجنس أقوى من الفصل ، فلما رجعوا إلى الشيخ الإيلي أخبروه بذلك ، فاستشكله ثم تأمله فقال : فهمته وهو كلام مصحّف ، وأصله : إن المركّب قبل البسيط في الحسّ ، والبسيط قبل المركّب في العقل ، وإن الحسّ أقوى من العقل ، فرجعوا إلى المسفر فأخبروه فلجّ ، فقال لهم الشيخ : اطلبوا النسخ ، فوجدوا في بعضها كما قال الشيخ اهـ بنقل ابن الخطيب في « الإحاطة » .

قال المقرئ : وحدثني الإيلي أن عبد الله بن إبراهيم الزموري أخبره أنه سمع من ابن تيمية ينشد لنفسه :

مُحَصِّلٌ فِي أَصُولِ الدِّينِ حَاصِلُهُ \* مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِهِ عِلْمٌ بِلَا دِينِ  
أَصْلُ الضَّلَالَةِ وَالْإِفْكَ الْمُبِينِ فَمَا \* فِيهِ فَأَكْثَرُهُ وَحْيُ الشَّيَاطِينِ

قال : وبیده قضیب ، فقال : والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب ، كذا  
ثم رفعه ووضعه اهـ .

قال المقرئ وسمعتہ يقول : ما في الأمة المحمدية أشعر من ابن الفارض  
قال : وقال طالب يوماً : مفهوم اللقب صحيح ، فقال له الشيخ : قل : زيد  
موجود ، فقال : زيد موجود ، فقال له الشيخ : أما أنا فلا أقول شيئاً ، فعرف  
الطالب ما وقع فيه فحجل ، قال : وقال لي كنتُ عند القاسم بن محمد الصنهاجي  
إذ وردت عليه رقعة من القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها « خيرات ما  
ما تحتويه مبدولة ومطلبي فيها تصحيف مقلوبها » فقال لي : ما مطلبه ؟ فقلت  
له : نارنج اهـ أي فإن مقلوبه تاريخ ، وتصحيفه نارنج ، قال أيضاً : وسمعتہ  
يقول : إنما أفسد العلم كثرة التأليف ، وأذهبه بنیان المدارس ، وكان ينتصف  
من المؤلفين والباينين ، وإنه لكما قال ، بيد أن في شرحه طولاً وذلك أن التأليف  
نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم ، فكان الرجل ينفق فيها مالاً كثيراً ،  
وقد لا يحصل له من العلم إلا نزر يسير ، لأن غايته على قدر مشقته في طلبه ،  
ثم يشتري أكبر ديوان بأخمس ثمن ، فلا يقع منه أكثر من موقع عوضه ،  
فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر ، وأفضى الأمر إلى ما يسخر  
منه الساهر ، وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة لما فيه من مرتب الجرايات ، فيقبل  
بهم على ما يعينه أهل الرئاسة للإجراء والإقراء منهم ، أو من يرضى لنفسه  
دخوله في حكمهم ، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة ، الذين لا يدعون إلى  
ذلك ، وإن دعوا لم يجيبوا ، وإن أجابوا لم يؤفوا لهم بما يطلبون من غيرهم اهـ .

قلت : ولعمري لقد صدق في ذلك وبر ، فلقد أدَّى ذلك لذهاب العلم  
بهذه المدن الغربية ، التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان كفاس ، وغيرها  
حتى صار يتعاطى الإقراء على كراسيها من لا يعرف « الرسالة » أصلاً فضلاً  
عن غيرها ، بل من لم يفتح كتاباً للقراءة قط ، فصار ذلك ضحكة ، وسبب

ذلك أنها صارت بالتوراث والرياسات أعاذنا الله ، حتى خلت هذه الساعة ممن يعتمد عليه في علمه ، مصداق قوله ما ورد في ذلك .

قال المقرئ : ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها ، ونسبوا ظواهرها فيها لأمهاتها ، وقد نبه عبد الحق في « التعقيب » على منع ذلك لو كان من يسمع ، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ، ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف ، وانقطعت سلسلة الاتصال ، فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يُدرى ما زيد فيها مما نقص منها ، لعدم تصحيحها وقلة الكشف . كان أهل المئة السادسة وصدر السابعة لا يُسوِّغون الفتيا من « تبصرة اللّخمي » لأنها لم تصحح على مؤلفها ، ولم تُؤخذ عنه ، وأكثرها يعتمد اليوم هذا النمط ، ثم انضاف إلى ذلك عدم اعتبار الناقلين ، فصار يُؤخذ من كتب المسخوطين ، كالأخذ من المرضيين ، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ، ولم يكن هذا فيمن قبلنا ، حتى تركوا كتب البراذعي على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير « التهذيب » وهو « المدونة » اليوم لشهرة مسائله ، وموافقته في أكثر ما خالف فيه « المدونة » لأبي محمد ، ثم كلُّ أهل هذه المئة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، وشق الشروح ، والأصول الكبار ، فاقصروا على حفظ ما قلَّ لفظه ونزر حظه ، وأفنوا عمرهم في حل لغوزه ، وفهم رموزه ، ولم يصلوا الرد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح فضلاً عن معرفة الضعيف والصحيح ، بل حل مقفل ، وفهم أمر مجمل ، ومطالعة تقييدات . زعموا أنها تستنهضُ النفوس ، فبينما نحن نستكثر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ أُتيحت لنا تقييدات للجهلة ، بل مسودات المسوخ ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . فهذه جملة تهديك إلى أصل العلم ، وتريك ما غفل الناس عنه اهـ

قال المقرئ : وسمعت العلامة الإيلي أيضاً يقول : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل ، لأننا أتينا أكثر مما أتوا ، يشير إلى

افتراق هذه الأمة على أكثر مما افتترقت عليه بنو إسرائيل ، واشتهار بأسهم بينهم إلى يوم القيامة ، حتى ضُفِعُوا بذلك عن عدوهم ، وتعدّد ملوكهم لاتساع أقطارهم ، واختلاف أنسابهم وعوائدهم ، حتى غلبوا بذلك على الخلافة ، فترّعت من أيديهم ، وساروا في الملك بسير من قبلهم ، مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى ، لكننا آخر الأمم أطلعنا الله من غيرنا على أقلّ مما ستر منا ، وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ، ولا يرفع جميل ستره عنا ، فمن أشدّ ذلك إتلافاً لغرضنا تحريف الكَلِم عن مواضعه الصحيحة ، إذ ذاك لم يكن بتبديل اللفظ ، إذ لا يمكن ذلك في مشهورات كتب العلماء المستعملة ، فكيف في الكتب الإلهية ، وإنما ذلك بالتأويل ، كما قال ابن عباس وغيره . وأنت تنظر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف ، وما حملت الآي والأخبار عليه من ضعاف التأويلات . قيل للمالك : لِمَ اختلفَ الناس في تفسير القرآن ؟ فقال : قالوا بآرائهم فاختلفوا . أين هذا من قول الصديق : أيُّ سماءٍ تُظَلُّني وأيُّ أرضٍ تُقَلُّني إذا قُلتُ في كتابه عزّ وجلّ برأيي . كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل ، وأقرب ما يحمل عليه معظم خلافهم كون بعضهم علم ، فقصد إلى تحقيق نزول الآية بسبب أو حكم أو غيرهما ، وبعضهم لم يعلموا ذلك تعييناً ، فلما طال بحثهم ، وظنوا عجزهم ، صوّروا المسألة بما يسكن النفوس إلى فهمها في الجملة ، ليخرجوا عن حد الإبهام المطلق ، فذكروا ما ذكروه تمثيلاً لا قطعاً بالتعيين ، بل منه ما لا يعلم أنه أريد لا عموماً ولا خصوصاً ، لكنه يجوز أن يكون المراد أو قريباً منه ، وما يعلم أنه مراد بحسب الشراكة والخصوصية ، ثم اختلط الأمران . والحق أن تفسير القرآن من أصعب الأمور ، فالإقدام عليه جرأة ، وقد قال الحسن لابن سيرين : تُعبّر الرؤيا كأنك من آل يعقوب . فقال له : تُفسّر القرآن كأنك شهدت التنزيل . وقد صح أنه عليه السلام لم يفسر من القرآن إلا آيات معدودة ، وكذا أصحابه

والتابعون بعدهم ، وتكلم أهل النقل في صحة ما نسب لابن عباس من التفسير إلى غير ذلك ، ولا رخصة في تعيين الأسباب ، والناسخ والمنسوخ ، إلا بتوقيف صحيح أو برهان صريح ، وإنما الرخصة في تفهيم ما تعرفه العرب بطبائعها من لغة وإعراب وبلاغة ، لبيان إعجاز ونحوها اه<sup>(١)</sup> .

قلتُ : وأخذ عن صاحب الترجمة من لا يُعد كثرةً من الأئمة : كابن الصباغ المكناسي ، والشريف التلمساني ، والشرف الرهوني ، وابن مرزوق الجدي ، وأبي عثمان العقباني ، وابن عرفة ، والوليّ ابن عباد ، وابن خلدون في خلق أجيال . اهـ .

وفي « الجذوة » ما نصه : محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدي التلمساني الشهير بالإيلي ، الإمام العلامة ، أعلم أهل عصره بالفنون المعقولة ، قال ابن خلدون : أصله من الأندلس من إبله من بلاد الجوف ، منها انتقل أبوه وعمه فاستخدمهم يغمراسن بن زيان ، صاحب تلمسان ، وأصهر إبراهيم إلى القاضي محمد بن غلبون في ابنته فولدت له محمداً ، ونشأ بتلمسان في كفالة جده القاضي فقال إلى محبة التعاليم ، فبرع وعكف الناس عليه في تعلمها ، وقصد إلى الحج فلقى بالديار المصرية ابن دقيق العيد ، والصفي الهندي ، والتبريزي ، وغيرهم . وقرأ المنطق والأصولين على أبي موسى ابن الإمام بعد رجوعه لتلمسان ، ثم أراد أبو حمو إكراهه على العمل ، ففرّ إلى مدينة فاس ، واختفى بها عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي ، فأخذ فنونها ومهر فيها ، ولحق بمراكش في حدود عشر وسبع مئة ، ونزل على الإمام ابن البنا ، فلازمه وتصلّع عنه في علم العقول والتعاليم والحكمة ، ثم رجع إلى مدينة فاس فانتال عليه طلبه العلم ، فانتشر علمه واشتهر ذكره ، ثم إن أبا موسى ابن الإمام مدحه للسلطان أبي الحسن

(١) زاد في « البستان » هنا ما نصه : والظاهر أن أول هذا الكلام للإيلي صاحب الترجمة ، وما بعده من كلام المقرئ ، فتأمل مع الكلام السابق والله أعلم . اهـ

المريني ، فاستدعاه من فاس ، ونَظَّمه في طبقات العلماء ، فعكف على التدريس والتعليم ، ولازم أبا الحسن ، وحضر معه وقعة طريف ، وكان أبو عنان يقرأ عليه إلى أن هلك بفاس ، أخذ عن أبي الحسن التنسي بتلمسان ، وتوفي بفاس سنة (٧٥٧) هـ .

وفي « بغية الرواد »<sup>(١)</sup> ما نصه : شيخنا العالم الأعلى الشيخ أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم الإيلي المعلم الأصغر من بيت نباهة في الجند ، أخذ ببلده عن الشيخين العالمين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وبمراكش عن أبي العباس أحمد ابن البناء وارتحل إلى العراق في زِيَّ الفقراء السفارة ، فلقي به وبغيره من بلاد المشرق العلماء ، وأخذ عنهم ، وعاد فاستخدمه السلطان أبو حمو ابن السلطان أبي سعيد في قيادة بني راشد من كور بلده ، ففرَّ لذلك عنه ، واستقر ببجبال المسكرة عند علي بن محمد بن تاروميت ، وكان طالباً للعلم جماعاً لكتبه ، فعكف عنده على النظر إلى أن فاق أهل زمانه في العلوم العقلية بأسرها ، حتى إني لا أعرف بالمغرب وإفريقية فقيهاً كبيراً ألا وله عليه مشيخة ، توفي رحمة الله عليه ورضوانه بفاس في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وسبع مئة (٧٥٧) هـ .

وقد رأيت في « نفح الطيب » ما لا ينبغي إغفاله من الكلام على العبدري التلمساني وعلى عبدريين آخرين ، رفعاً للإيهام والالتباس ، وإفادة لبعض الناس ونصه : ولنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما بقيد الحياة : أحدهما عالم الدنيا ، والآخر نادرتهما ، أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن أحمد العبدري الإيلي التلمساني ، سمع جده لأمه أبا الحسين ابن

(١) « بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد » تأليف الشيخ الفقيه العلامة أبي زكرياء يحيى بن خلدون أخي العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ الكبير الشهير ، الأول مات قتيلاً في تلمسان سنة ٧٨٠ ، وعمره نحو ٣٥ سنة ، والثاني مات سنة ٨٠٨ عن ٧٦ سنة غير أشهر ، وكانت ولادته قبل أخيه المذكور بعامين .

غلبون المرسى القاضي بتلمسان ، وأخذ عن فقهاها أبي الحسين التنسي وابني الإمام ، ورحل في آخر المئة السابعة ، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ، ثم قفل إلى المغرب ، فأقام بتلمسان مدة ، ثم فرَّ أيام أبي حم موسى بن عثمان إلى المغرب ، حدثني أنه لقي أبا العباس أحمد بن إبراهيم الخياط شقيق شيخنا أبي عثمان المتقدم ذكره ، فشكا له ما يتوقعه من شرِّ أبي حم ، فقال له : عليك بالجليل ، فلم يدر ما قال ، حتى تعرَّض له رجل من غماره ، فعرض عليه الهروب به قال : فخفت أن يكون أبو حم قد دسَّ علي ، فتكرت له ، فقال لي : إنما أسير بك على الجبل ، فتذكرت قول أبي إسحاق ، فواطأته ، وكان خلاصي على يده ، قال : ولقد وجدت العطش في بعض مسيري به حتى غلظ لساني ، واضطربت ركبتي ، فقال لي : إن جلست قتلُك لثلا افتضح بك ، فكنت أقوى نفسي فر على بالي في تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس ، وتوسله به ، فوالله ما قُلت شيئاً حتى وقع لي غدير ماء ، فأريته إياه فشربنا ونهضنا ، ولما دخل المغرب أدرك أبا العباس بن البناء فأخذ عنه ، وشافه كثيراً من علمائه ، قال لي : قلت لأبي الحسن الصغير : ما قولك في المهدي؟ فقال : عالم سلطان ، فقلت له : قد أبنت عن مرادي ، ثم سكن جبال الموحدنين ، ثم رجع إلى فاس ، فلما افتتحت تلمسان لقيته بها فأخذت عنه ، فقال لي الإيلي : كنت يوماً مع القاسم بن محمد الصنهاجي فوردت عليه طومارة<sup>(١)</sup> من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيراتُ ما تحويه مبدولةٌ \* ومطلبي تصحيفُ مقلوبها

فقال لي : ما مطلبه ؟ قلت : نارنج .

دخل على الإيلي وأنا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدبَّاغ المالقي المتطبب ،

(١) رقعة .

فأخبرنا أن أديباً استجدى وزيراً بهذا الشطر « ثم حبيب قلماً ينصف » فأخذته فكتبته ثم قلبته وصحفته ، فإذا هو : قصبتا ملف شحمي \* ومرت الدباغ علينا يوماً بفاس فدعاه الشيخ فلَبَّاه فقال : حدثنا بحديث اللطافة ، فقال : نعم ، حدثني أبو زكريا بن السراج الكاتب بسجلماسة أن أبا إسحاق التلمساني وصهره مالك بن المرحل ، وكان ابن السراج قد أتاهما اصطحباً في مسير ، فأواهما الليل إلى مجشّر<sup>(١)</sup> ، فسألا عن طالبه<sup>(٢)</sup> قَدْلاً ، فاستضافاه فأضافهما ، فبسط قطيفة بيضاء ثم عطف عليهما بخبز ولبن ، وقال لهما : استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر عشاؤكما ، وانصرف فتحاورا في اسم اللطافة لأي شيء هو منهما ، حتى ناما فلم يزعج أبا إسحاق إلا مالك يوقظه ويقول : قد وجدت اللطافة ، قال : كيف ؟ قال : ابعدت في طلبها حتى وقعت بما لم يمر قطُّ على مسمع هذا البدوي ، فضلاً عن أن يراه ، ثم رجعت القهقري حتى وقعت على قول النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ \* عَنَّمْ يَكَاذُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

فسنح لبالي أنه وجد اللطافة ، وعليها مكتوب بالخط الرقيق اللين ، فجعل إحدى النقطتين للطاء فصارت اللطافةُ اللَّطَافَةُ واللَّيْنُ اللَّيْنُ ، وإن كان قد صحَّفَ عنم بغنم ، وظن أن يعقد جبن فقد قوي عنده الوهم ، فقال أبو إسحاق : ما خرجت عن صوبه . فلما جاء سألناه فأخبر أنها اللين ، واستشهد بالبيت ، كما قال مالك ، ولا تعجب من مالك ، فقد ورد فاساً شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر رسولاً عن صاحب بجاية ، فزاره الطلبة فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاماً وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ، ويستشكله الشيخ معهم ، وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في

(١) مدشر يعني قرية أو دشرة .

(٢) عالمه .

الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصل وأن الجنس أقوى من الفصل .  
فرجعوا به إلى الشيخ الإيلي فتأملوه ، ثم قال : هذا كلام مصحَّف ، وأصله : إن  
المركب قبل البسيط في الحسن ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وإن الحسَّ  
أقوى من العقل . فأخبروا ابن المسفر فليحَّ فقال لهم الشيخ : التمسوا النُّسخَ  
فوجدوه في بعضها كما قال الشيخ ، والله يُؤتي فضله من يشاء .

قال لي الإيلي : لما نزلت تازى بتُّ مع أبي الحسن بن بري وأبي عبد الله  
الزرجالي ، فاحتجت إلى النوم ، وكرهت قطعهما عن الكلام ، فاستكشفتها  
عن معنى هذا البيت<sup>(١)</sup> للمعرِّي :

أَقُولُ لَعَبْدِ اللَّهِ لَمَّا سَقَاؤُنَا \* وَنَحْنُ بُوَادِي عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ<sup>(٢)</sup>

فجعلنا يفكران فيه ، فمتت حتى أصبحنا ، ولم يجداه ، فسألاني عنه ، فقلت  
معناه : أقول لعبد الله لَمَّا وهى سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس ، شِمُّ لنا برقاً .  
قلت : وفي جواز مثل هذا نظر .

سمعت الإيلي يقول : دخل قطب الدين الشيرازي والدنيران على أفضل  
الدين الخونجي ببلده ، وقد تزيبا بزَيِّ القونوية ، فسأله أحدهما عن مسألة  
فأجابه ، فتعايا عن الفهم ، وقرب التقرير فتعايا ، فقال الخونجي متمثلاً :  
عَلَيَّ نَحْتُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَادِنِهَا \* وَمَا عَلَيَّ لَكُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ

---

(١) البيت لتميم بن رافع المخزومي ، انظر شرح شواهد المعني الشاهد رقم (٤٥٧) .

(٢) هذا البيت امتحنني به شيخنا سيدي محمد المكي ابن عزوز في حدود سنة ١٢٩٣ ، ونحن مسافرون  
من بسكرة إلى الديس ، قرية أولاد سيدي إبراهيم لزيارة جدة والدي سيدي الشيخ ابن أبي القاسم ،  
ثم لزيارة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الهاملي ، ولما ألقاها عليّ وأنا حديث السن لم أجد إلى  
حلها سبيلاً فأفادني رضي الله عنه ، كما أفادني بكثير غيرها من الألقاز ، وكنا إذ ذاك بوادي الأبيض  
في معاطفة المسماة سبع كديات ، وبتنا في أخيره وتلك أول سفرة معه ، وأول زيارته قرى أبي  
سعادة أطال الله عمره ، وجمعنا به آمين .

فقال له : ضُمَّ التاء يا مولانا ، فعرّفهما فحملهما إلى بيته . قلت : سمعت الشيخ شمس الدين الأصبهاني بخنقاه قوصون بمصر يقول : إن شيخه القطب توفي عام أحد عشر وسبع مئة (٧١١) ، وله سبع وسبعون سنة ، وهذا يضعف هذه الحكاية عندي . سمعت الإيلي يقول : إن الخونجي ولي قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام ، فقدم شاهداً كان عز الدين أخره فعذله في ذلك ، فقال : إن مولانا لم يذكر السبب الذي رفع يده من أجله ، وهو الآن غير متمكن من ذكره . سمعت الشيخ الإيلي يحدث عن قطب الدين القسطلاني أنه ظهر في المئة السابعة من المفاسد العظام ثلاث : مذهب ابن سبعين ، وتملك التتر للعراق ، واستعمال الحشيشة . سمعت الإيلي يقول : قال أبو المطرف بن عميرة :

فَضْلُ الْجَمَالِ عَلَى الْكَمَالِ بِوَجْهِهِ \* فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ وَسَطَهُ  
وَبَطْرِفِهِ سَقَمٌ وَسَحَرٌ قَدْ أَتَى \* مُسْتَظْهِراً بِهِمَا عَلَى مَا اسْتَبْطَهُ  
عَجَباً لَهُ بَرَاهِنُهُ بِشَرْوِطِهِ \* مَعَهُ فَمَا مَقْصُودُهُ بِالسَّقْطَةِ

قال : فأجابه أبو القاسم بن الشاط فقال :

عِلْمُ التَّابِينَ فِي النُّفُوسِ وَإِنَّهَا \* مِنْهَا مُغْلَطَةٌ وَغَيْرُ مُغْلَطَةٍ  
فَنَّةٌ رَأَتْ وَجْهَ الدَّلِيلِ وَفَرْقَةً \* أَصَغَتْ إِلَى الشُّبُهَاتِ فِيهِ مُورَّطَةً  
فَارَادَ جَمْعَهُمَا مَعاً فِي مُلْكِهِ \* هَذَا بِمُتَجَةٍ وَذِي بِمُغْلَطَةٍ

يعني قولهم في التام : هو ما تحمل فيه البرهان الفصل . وأخبار الإيلي وأسمعي منه تحتل كتاباً ، فلنقف على هذا القدر منها .

وأما النادرة فأبو عبد الله محمد بن أحمد بن شاطر الجُمحي المراكشي ، صاحب أبا زيد الهزيمري كثيراً ، وأبا عبد الله بن تيجان ، وأبا العباس بن البناء ، وأضرابه من المراكشين ، ومن جاورهم ، ورزق بصحبة الصالحين حلاوة

القبول ، فلا تكاد تجد من يستقله ، وربما سُئِلَ عن نفسه فيقول : وليّ مفسود . قلت له يوماً : كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح ، وقال : الليل والنهار حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض ، وقد أخذنا بمجامع الخلق يجرّأْنهم إلى القيامة ، وإن مردّنا إلى الله تعالى .

وسمعتة يقول : المؤذنون يدعون أولياء الله إلى بيته لعبادته ، فلا يصدّهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين ، ويصرفونهم عن الاشتغال بما لم يُبين لهم ، فيخرجونهم ويغلقون الأبواب دونهم . ووجدته ذات يوم في المسجد ذاكرًا ، فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : ( فَهْمٌ فِي رَوْضَةٍ يُخْبِرُونَ ) <sup>(١)</sup> فهمتُ بالانصراف ، فقال : أين تذهب من روضة من رياض الجنة ، يقام بها على رأسك بهذا التاج ، وأشار إلى المنار مملوءاً الله أكبر . مرّ ابنُ شاطر يوماً على أبي العباس أحمد بن شعيب الكاتب ، وهو جالس في جامع الجزيرة ، طهره الله تعالى ، وقد ذهب به الكفرة فصاح به ، فلما رفع رأسه إليه قال له : انظر إلى مركب عزرائيل ، وأشار إلى نعش هنالك قد رُفِعَ شراعه ، ونُودي عليه الطلوع يا غزي . وأكل يوماً مع أبي القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا فقال له أبو القاسم : إن في هذا الجلجلان لضرباً من طعم اللوز ، فقال ابن شاطر : وهل الجلجلان إلا لوزة دقت ؟ وسُئِلَ عن العلة في نضارة الحداثة فقال : قُرب عهدها بالله ، فقليل له : فمم تغير الشيوخ ؟ فقال : من بعد العهد من الله ، وطول الصحبة مع الشياطين ، فقليل له : فبَخْرُ أفواههم ؟ فقال : من كثرة ما تفل الشياطين فيها . وكان يُسمي الصغيرَ فار المصطكى . قال لي ابن شاطر : لقيتُ عمي ميموناً المعروف ببدير لقرب موته ، وقد اصفرَّ وجهه ، وتغيرت حالته ، فقلت له : ما بالك ؟ وكان قد خدم الصالحين ، ورزق بذلك القبول ، فقال : انسَدَّتْ الزربطانة فطلع ، يعني العذرة يشير

(١) سورة الروم : الآية ١٥ .

إلى الاحتقان للطبيعة . أنشدني ابن شاطر قال : أنشدني أبو العباس بن البناء نفسه : قصدت إلى الوجازة في كلامي الأبيات . وأخبار ابن شاطر عندي تحتمل كراسة فلنقتنع منها بهذا القدر .

فصل ولما دخلتُ تلمسان على بني عبد الواد ، تهياً لي السفر منها ، فرحلت إلى بجاية ، فلقيت بها أعلاماً درجوا ، فأمست بعدهم خلاءً بلقاعاً . فمنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر ، باحثه واستفدت منه ، وسألني عن اسم كتاب الجوهرى فقلت له : من الناس من يقول « الصَّحاح » بالكسر ، ومنهم من يفتح ، فقال : إنما هو بالفتح بمعنى الصحيح ، كما ذكره في باب : صح . قلت : يحتمل أن يكون مصدر صح كحنان . وكتب إلي بعض أصحابه بجواب رسالة صدره بهذين البيتين :

وَصَلَتْ صَحِيفَتُكُمْ فَهَزَّتْ مِعْطَنِي \* فَكَأَنَّمَا أَهَدْتُ كُؤُوسَ الْقَرْفِ  
وَكَأَنَّهَا لَيْلُ الْأَمَانِ الْخَائِثِ \* أَوْ وَصَلُ مُجُوبٍ لَصَبٍ مُذْنَفٍ

ومنهم قاضيا أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي ، فقيه ابن فقيه ، كان يقول : من عرف ابن الحاجب أقرأ به « المدونة » قال : وأنا أقرأ به « المدونة » . ومنهم أبو علي حسين بن حسين إمام المعقولات بعد ناصر الدين . ومنهم خطيبها أبو العباس أحمد بن عمران ، وكان قد ورد تلمسان ، وأورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم : صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض الخاصة إلا أن يزداد في الحد : « لمن قامت به » لأنها إنما توجب فيه تمييزاً لا تمييزاً ، وهذا حسن . ومنهم الشيخان أبو عزيز وأبو موسى بن فرحان ، وغيرهم من أهل عصرهم .

العبدري التونسي : قال في « الإكليل » في ترجمة أبي عبد الله محمد ابن علي بن عمر العبدري التونسي الشاطبي الأصل ما نصه : غَذِيَّ نِعْمَةً هَامِيَةً ،

وَمَرِيعُ رُتْبَةٍ سَامِيَةٍ ، صرفت إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق من إفريقية إلا من يخافه ويرجوه ، وبلغ هو مدة ذلك الشرف الغاية من الترف ، ثم قلب الدهر له ظهر المجن ، واشتد به الخمار عند فراغ الدن ، ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوط مبيرة وشدة كبيرة ، فامتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات به ما لم ينله في أوطانه واكتسب الشمائل العذاب ، وكان كابن الجهم بُعث إلى الرصافة ليرقّ فذاب ، ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر ، وألمّ بهذه البلاد إلمام الخيال الزائر ، فاغتنمت صفقة وُدّه لحين وروده ، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده ، فحصلت منه على دُرّة تُقتنى ، وحديقة طيبة الجنى ، أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببرّه فقال :

لِكُلِّ أَنَاسٍ مَذْهَبٌ وَسَجِيَّةٌ \* وَمَذْهَبُ أَوْلَادِ النَّظَامِ الْمَكَارِمُ  
إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ ثَاوِيًا كُنْتَ سَيِّدًا \* وَإِنْ غَبْتَ عَنْهُمْ لَمْ تَنْلِكَ الْمَظَالِمُ  
أُولَئِكَ صَحْبِي لَا عَدِمْتُ حَيَاتَهُمْ \* وَلَا عَدِمُوا السَّعْدَ الَّذِي هُوَ دَائِمُ  
أَغْنِي بِذِكْرِهِمْ وَطِيبِ حَدِيثَهُمْ \* كَمَا غَرَّدَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ الْحَمَامُ  
وقال :

أَحْبَبْنَا بِمَصْرِ لَوْ رَأَيْتُمُ \* بَكَائِي عِنْدَ أَطْرَافِ النَّهَارِ  
لَكُنْتُمْ تُشْفِقُونَ لِفَرْطِ وَجْدِي \* وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ بُعْدِ الدِّيَارِ

**العبدري الغرناطي :** وقال لسان الدين رحمه الله في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري الغرناطي ما صورته : معلم مدرب ، ومسهل مقرب ، له في صنعة العربية باع مديد ، وفي هدفها سهم سديد ، ومشاركة في الأدب لا يفارقها تسديد ، لخاص للمنازع مختصرها ، مرتب الأحوال مقررها ، تميز أول وقته بالتجارة في الكتب ، فسلطت منه عليها أرضة آكلة ، وسهم أصاب من رميتها الشاكلة ، أترب بسببها وأثرى ،

وأغنى جهة وأفقر أخرى ، وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى مسقط رأسه  
ومنت غراسه ، وجرت عليه جرّاية من أحباسها ، ووقع عليه قبول من ناسها ،  
وبها تلاحق به الحمام ، فكان من ترابها البداية ، وإليها التمام .

وله شعر لم يقصر فيه عن المدى ، وأدب توشّح بالإجادة وارتدى ، أنشدني  
بسبته تاسع جمادى الأولى عام اثنين وخمسين وسبع مئة (٧٥٢) يحجب عن بيتي  
ابن العفيف التلمساني :

يا ساكناً قلبي المعنّى \* وليس فيه سواك ثاني  
لأي معنى كسرت قلبي \* وما التقى فيه ساكنان  
نحلتني طائعا فؤاداً \* فصار إذ حزته مكاني  
لا غرو إذ كان لي مضافاً \* إنّي على الكسر فيه باني

وقال يخاطب الشريف أبا العباس وأهدى أقلاماً :

أناملك الغرّ التي سبب جودها \* يفيض كفيض المزن بالصيب القطر  
أتني منها تحفة مثل عدها \* إذا انتضيت كانت كمرهفة السمر  
هي الصقر لكن تعلم البيض أنها \* محكمة فيها على النفع والضر  
مهذبة الأوصال ممشوقة كما \* تصوغ سهام الرمي من خالص التبر  
فقبلتها عشراً ومثلت أنسي \* ظفرت بلثم في أناملك العشر

وقال في ترتيب حروف الصّحاح :

أساجعة بالوادين تبوئني \* ثماراً جتتها حاليات خواضب  
دعي ذكر روض زاره سقي شربه \* صباح ضحى طير طماء عواصب  
غرام فؤادي قاذف كل ليلة \* متى ما نأى وهنا هواه يُراقب

مولده في حدود ثمانين وست مئة (٦٨٠) ، وتوفي بغرناطة في رجب عام

ثلاث وخمسين وسبع مئة (٧٥٣) هـ. قلت : رأيت بخط الجلال السيوطي على هامش جوابه عن بيتي ابن العفيف التلمساني ما صورته : قلت : في هذا البيت تصريح بأن المضاف إلى الياء مبني على الكسر ، وهو رأي مرجوح عند النحاة ، ذهب إليه الجرجاني ، والصحيح أنه معرب ، على أن ذاك لا يحتاج إلى جواب ، كما يظهر بالتأمل ، قاله عبد الرحمن السيوطي . انتهى ويعني بذلك أن الساكنين إنما يُكسر أحدهما لا محلهما . والله سبحانه أعلم هـ .

### مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَشْدَالِي من « نيل الابتهاج »

محمدُ بنُ أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي ، وبه عرف البجائي علامتها وفقهها وإمامها وخطيبها ومفتيها وصالحها ومحققها الفقيه العلامة المحقق الناظر الورع الزاهد البركة ، شُهر بالمشدالي بفتح الميم المعرفة وشدَّ الدال نسبة لقبيلة من زواوة .

أخذ عن أبيه بل ترقَّى معه في بعض شيوخه ، وكان إماماً كبيراً مقدماً على أهل عصره في الفقه وغيره ، ذو وجهة عند صاحب تونس ، كمل « تعلية الوانوغي على البراذعي » واستدرك ما صرح فيه ابن عرفة في « مختصره » بعدم وجوده ، وتتبع ما في « البيان والتحصيل » بغير مظانه وحوله لهما ، وحاذى به ابن الحاجب ، وخطب بالجامع الأعظم ببجاية ، وتصدَّر فيه وفي غيره بالتدريس ، وتخرج به ابنه وأئمة ، وكان يُضرب به المثل حتى يقال : أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي ، رأيت من أرَّخه بسنة بضع وستين وثمان مئة هـ . من السخاوي ، يعني أرَّخ وفاته .

قلت : وفي « وفيات الونشريسي » ما نصه : وفي سنة ست وستين وثمان

مئة توفي ببجاية مفتيها وخطيب جامعها الأعظم أبو عبد الله المشدالي اهـ . والله أعلم .  
وأما تأليفه فمنها « تكملة حاشية أبي مهدي عيسى الوانوغي على المدونة »  
في غاية الحسن والتحقيق ، تدل على إمامته في العلوم في مجلد ذكر في آخره  
أنه فرغ منه عام ستة وثلاثين ، وهي مراد السخاوي بقوله : كَمَّلَ تعليقه إلى  
آخره ومنها « مختصر البيان » لابن رشد رتبته على مسائل ابن الحاجب ، وجعله  
شرحاً له ، أسقط التكرار منه ، ورد كل مسألة إلى موضعها من الإحالات ،  
فجاءت في غاية الاتقان والتيسير ، وترك من المسائل ما لا تعلق له أصلاً بكلام ابن  
الحاجب ، ولا يقرب إليه بوجه ، فجاء في أربعة أسفار في مقدار تسعين  
كُراساً ، وقفت على ما عدا الثاني منها ، فله الحمد وإياه . أراد السخاوي  
بقوله : تنبع ما في البيان إلى آخره ، ومنها اختصار أبحاث ابن عرفة في « مختصره  
المتعلقة بكلام ابن شاس ، وابن الحاجب » وشرحه مع زيادة شيء يسير في  
بعض المواضع ، مما لم يطلع عليه ابن عرفة ، وهو الذي أراد السخاوي بقوله :  
واستدرك ما صرح به ابن عرفة إلى آخره ، وهو في مجلد نحو سبعة عشر كراساً  
من القالب الكبير .

وأخذ عنه جماعة من الأئمة كالإمام أبي الربيع الحسناوي ، وأبي مهدي ،  
وعيسى بن الشَّاطِط ، والعالم محمد بن مرزوق الكفيف ، وولديه الآتين  
قريباً ، وغيرهم ، وله فتاوى نقلها في « المازونية » « والمعار » اهـ .

### الشَّريفُ التَّلْمَساني

#### « نبيل الابتهاج »

مُحمَّدُ بنُ أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود  
ابن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن  
الحسن بن علي بن أبي طالب . هكذا وجدته بخط ولده عفا الله عنه الشريف

أبو عبد الله التلمساني .

قال ابن خلدون : يُعرف بالعلوني نسبة لقرية من أعمال تلمسان ، تسمى العلونيين ، ونسبة بيته لا يدافع فيه ، وربما غمَصَ فيه بعض الفجرة ممن لا يزعه دينه ، ولا معرفته بالأنساب فيعدُّ من اللغواه . ويُعرف أيضاً بالشريف التلمساني علامة تلمسان ، بل إمام المغرب قاطبة ، قال الإمام ابن مرزوق الحفيد : شيخ شيوخوا أعلم أهل عصره بإجماع اه .

وقال السراج في « فهرسته » : شيخنا الفقيه الإمام العالم العلامة الشهير الكبير الصدر القدوة ، الشريف نسباً ، العظيم قدراً ومنصباً ، أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الجليل الوجيه العاقل العدل المُبرِّز أبي العباس ، كان أحد رجال الكمال علماً وذاتاً وخلقاً وخلقاً عالماً بعلوم جمّة من المنقول والمعقول ، بلغ رتبة الاجتهاد أو كاد ، بل هو أحد العلماء الراسخين ، وآخر الأئمة المجتهدين .

نشأ بتلمسان ، وقرأ القرآن على الشيخ أبي زيد بن يعقوب ، وأخذ عن الإمامين ابني الإمام ، والقاضي أبي عبد الله بن هدية القرشي ، والولي الصالح عبد الله المجاصي ، والقاضي التميمي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد البروني ، وعمران المَشْدَّالي ، والقاضي ابن عبد النور ، والقاضي أبي العباس بن الحسن ، والقاضي علي ابن الرماح ، وابن النجَّار ، ولزم الإمام الإيلي كثيراً ، وانتفع به ، وأخذ أيضاً عن ابن عبد السلام التونسي ، والعالم السطحي بمدينة فاس ، وغيره ، حضر عليه « الأحكام الصغرى » لعبد الحق « والتهذيب » وبعض « الموطأ » و« الصحيحين » لما قدِمَ رسولاً لفاس عام سبعة وستين وسبع مئة (٧٦٧) هـ .

قلت : ومن صرَّح ببلوغه درجة الاجتهاد عصره الإمام الخطيب ابن مرزوق الجد في رسالته التي رد فيها على أبي القاسم الغبريني ، وأثنى عليه كثيراً .

قال ابنُ خلدون : أخذ العلم بتلمسان عن مشيختها ، واختص بابني الإمام ، وتفقه عليهما في الأصول والكلام ، ثم لزم شيخنا الإيلي ، وتصلع من معارفه ، واستبحر وتفجّرت ينابيع العلوم من مداركه ، ثم رحل لتونس سنة أربعين ، فلقني شيخنا ابن عبد السلام ، وأفاد منه ، واستعظم رتبته في العلم ، وكان ابن عبد السلام يصغي إليه ويؤثر محله ، ويعرف حقه ، حتى زعموا أن ابن عبد السلام يخلو به في بيته فيقرأ عليه ، أي : على الشريف فصل التصوف من إشارات ابن سينا ، لأن الشريف قد أحكم الكتاب على الإيلي ، وقرأ عليه ابن عبد السلام أيضاً فصل التصوف من « شفاء » ابن سينا ، ومن تلاخيص أرسطو لابن رشد ، ومن الحساب والهندسة والحياة والفرائض ، علاوة على ما كان الشريف يحمله من الفقه والعربية ، وسائر علوم الشريعة ، وله اليد الطولى في الخلافات ، وقدم عالية ، فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله ، وأوجب حقه ، فرجع لتلمسان وانتصب للتدريس وبث العلم ، فملأ المغرب معارف وتلاميذ ، إلى أن اضطرب المغرب بعد واقعة القيروان ، ثم ملك أبو عنان تلمسان بعد مهلك أبيه سنة ثلاث وخمسين ، فاختر الشريف لمجلسه العلمي مع من اختار من المشيخة ، ورحل به لفاس فتبرّم الشريف من الغربة واشتكى ، فغضب السلطان لذلك ، ثم بلغه أن عثمان بن عبد الرحمن سلطان تلمسان أوصاه على ولده وأودع مالا له عند بعض الأعيان من التلمسانيين ، وأن الشريف عالم بذلك ، فسخط على الشريف واعتقله ثم سرحه عام أول ست وخمسين ، وأقصاه ثم أعتبه بعد فتح قسنطينة ، فردّه لمجلسه ، ثم هلك أبو عنان ، وملك أبو حمو بن عبد الرحمن تلمسان ، فاستدعى الشريف من فاس ، فسرحه الوزير القائم بالأمر عمر بن عبد الله ، فرجع لتلمسان ف تلقاه أبو حمو براحته ، وأصهر له في بنته فزوجها له وبنى له مدرسته ، فقام يدرس ، حتى هلك سنة إحدى وسبعين . وأخبرني أن مولده عام سبع مئة وعشرة (٧١٠) هـ .

قال الونشريسي : هذا هو الصحيح في ولادته ، وأما وفاته فرباع ذي الحجة مُتِمُّ عام أحد وسبعين وسبع مئة ( ٧٧١ ) ، وكان شيخاً حبراً إماماً محققاً نظاراً شرح « جمل الخونجي » وألف كتاب « المفتاح » في أصول الفقه اهـ .

ومن أخذ عنه ولده أبو محمد ، والإمام الشاطبي ، وابن زمرك ، وإبراهيم الثغري ، وأبو عبد الله القيسي ، وابن خلدون ، وابن عباد ، وابن السكاك ، والفقيه ابن محمد بن علي الميورقي ، والولي إبراهيم المصمودي ، وغيرهم . وذكر أبو زكرياء السراج والمسيلى أن مولده عام ستة عشر ، وما تقدم أصح .

وبعد أن كتبتُ ما تقدم ، وقفت على جزء لبعض التلمسانيين عرف صاحبه بالشريف وولديه ، فلخصته في جزء سميته « القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف » فلنذكر هنا بعض ما تيسر منه .

قال صاحب الجزء المذكور : وكان آخر الأئمة المجتهدين ، ولد عام عشرة وسبع مئة ( ٧١٠ ) ، فنشأ عفيفاً صيناً ، فتعلم العلم في صغره بأخلاق مرضية ، نسيج وحده وفريد عصره ، انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب ، وضربت إليه آباط الإبل شرقاً وغرباً ، فهو علم علمائها ، ورافع لوائها ، أحيا السنة ، وأمات البدعة ، وأظهر من العلم ما بهر العقول ، نجب في القرآن على ابن يعقوب ، فلما ظهرت نجاته أحبه خاله عبد الكريم ، فكان يلازمه في مجالس العلم صغيراً ، حضر يوماً مجلس أبي زيد ابن الإمام في تفسير القرآن ، فذكر نعيم الجنة فقال له الشريف وهو صبي : هل يُقرأ فيها العلم ؟ قال له : نعم فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين ، فقال له : لو قلت : لا ، قلت لك : لا لذة فيها ، فعجب منه الشيخ ، ودعا له ، ثم قيَّض الله له الإيلي بما عنده من العلوم الجزيلة والتحقيق التام ، فانتفع به انتفاعاً عظيماً ، واعتمد عليه ، ثم استفرغ وسعه في طلب العلم حتى حدث بعضهم أنه لازمه

أربعة أشهر فلم يره نزع ثوبه ولا عمامته ، لشغله بالنظر والبحث ، فإذا غلبه النوم نام نوماً خفيفاً فإذا أفاق لم يرجع إليه أصلاً ، ويقول أخذت النفس حقها ، فيتوضأ ، والوضوء من أخف الأشياء عليه ، ثم رجع للنظر . ابتدأ الإقراء وهو ابن أحد عشر عاماً أخذ عن ابني الإمام ، وكانا من أجلّة العلماء ، لم يكن في زمانهما أعظم منهما ، ولا أعلى قدراً ولا أوقع عند الملوك نبياً وأمراً ، فتصلّع وأخذ عن غيرهما . فذكر من تقدم ، وشهد له شيوخه كلهم بوفور العقل وحضور الذهن ، فانتسح في العلم باعه ، وعظم قدره ، فأقرأ العلوم في زمن شيوخه ، وأقبل عليه الخلق مع سلامة العقل جارية على نهج السلف ، عالماً بأيام الله ، ماثلاً للنظر والحجة ، أصولياً متكلماً جامعاً للعلوم العقلية القديمة والحديثة .

لقي بتونس ابن عبد السلام فلازمه وانتفع به ، وذكر ولده أبو محمد عبد الله أنه لما حضر مجلس ابن عبد السلام ، جلس حيث انتهى به المجلس ، فتكلم الشيخ في الذكر هل هو حقيقة في ذكر اللسان ؟ فقال له أبو عبد الله : يا سيدي الذكر ضد النسيان ، ومحل النسيان القلب لا اللسان ، وتقرر أن الضدين يجب اتحاد محلهما ، فعارضه ابن عبد السلام بأن الذكر ضد الصمت ، والصمت محله اللسان ، فيجب كون اللسان محل ضده الذي هو الذكر ، فيكون حقيقة فيه . قال أبو عبد الله : فسكت عن مراجعته تأدباً معه ، وقد علمت أن الصمت إنما ضده النطق لا الذكر ، فلما جاء في الغد جلس في موضعه ، فقام نقيب الدولة فأجلسه يجنب ابن عبد السلام بأمره بذلك ، فلما فرغ من القراءة قال : أنت أبو عبد الله الشريف ؟ قال : نعم ، فأكرمه ، فكان يجلس بجانبه ، وكان يقرأ على الشيخ في داره ، ولقي أكابر التونسيين بمجلسه فتعجبوا منه ، فكل يوم يزداد عندهم جلالة ، ثم رجع لبلده فدرّس العلوم وأحيا الشريعة ، فكان من أحسن الناس وجهاً وقدراً مهيباً ، ذا نفس

كريمة ، وهمة تزيهه ، رفيع الملبس بلا تصنع ، سري الهمة بلا تكبر ، حليماً  
 متوسطاً في أموره ، قوي النفس مؤيداً بطهارة ، ثقة عدلاً ثباتاً ، سلم له الأكابر  
 بلا منازع ، أصدق الناس لهجة ، وأحفظهم مروءة ، مشفقاً على الناس رحيماً  
 بهم ، يتلطف في هدايتهم ، ويعينهم بجهده ، حسن اللقاء كريم النفس ، طويل  
 اليد يعطي نفقات عديدة ، ذا كرم واسع ، وكنف لين ، وصفاء قلب . دخل  
 عليه طالب فصيح فأعطاه وقرأ ، ثم دخل عليه مرة بفاس فسأله عن حاله ،  
 فذكر له أنه قرأ القرآن بالقرويين ، فما أعطاه أحد شيئاً ، فتأسف الشيخ لحاله ،  
 ففي الغد بعث أربعة من طلبته بأربعة قراطيس دراهم ، وقال لهم احضروا  
 مجلسه فإذا قرأ فارموا القراطيس بين يديه ، ففعلوا فأخذها الطالب  
 ودعا لهم ، فعرف الناس حالته ، فاثالث عليه العطايا ، وسأله السلطان  
 يوماً عن مسألة من ابن الحاجب الأصلي ، فقال له : إنما يفهم هذه المسألة  
 الطالب الفلاني ، وكان محتاجاً ، فطلبه السلطان ، فقيل إنه بسجلماسة ،  
 فوجه لعاملها أن يعطيه نفقة وكسوة ويوجهه ، فوصل في أسرع وقت ، فبين  
 المسألة بين يدي السلطان ، فسئل عمن استفادها فقال عن سيدي أبي عبد الله  
 الشريف ، وكان الطلبة في وقته أعز الناس وأكثرهم عدداً وأوسعهم رزقاً ،  
 فنشروا العلم ، واستعانوا بحسن لقائه وسهولة فيضه وحلاوته ، مع بشاشة  
 لا يؤثر عن الطلبة غيرهم ، يحملهم على الصدق ، ويثبت لهم الحقائق ، يرتب  
 كلًّا في منزله ، ويحمل كلامهم على أحسن وجوهه ، يبرزه في أحسن صورة ،  
 يترك كل أحد وما يميل إليه من العلوم ، ويرى الكل من أبواب السعادة ،  
 ويقول : من رزق في باب فليلازمه ، مع كرم أخلاق ، قائماً بالعدل ، لا  
 يغيظ وإذا غضب قام وتوضأ ، جميل العشرة بساماً منصفاً ، يقضي الحوائج  
 سمحاً متورعاً ، يوسع في نفقة أهله ، ويصل رحمه لله ، ويواسيهم بحرايات  
 كثيرة من ماله ، يكرم ضيفه ، ويقرب له ما حضر ، ويطعم الطلبة طيب

الأطعمة ، وبينه مجتمع العلماء والصلحاء ، كان أشياخه يجلبونه حتى قال ابن عبد السلام : ما أظن أن في المغرب مثل هذا ، وكان الإيلي يقول : هو أوفر من قرأ عليّ عقلاً وأكثرهم تحصيلاً ، وقال أيضاً : قرأ عليّ كثير شرقاً وغرباً ، فما رأيت فيهم أنجب من أربعة : أبو عبد الله الشريف ، أنجحهم عقلاً وأكثرهم تحصيلاً ، وإذا أشكلت مسألة على الطلبة عند الإيلي ، أو ظهر بحث دقيق يقول : انتظروا أبا عبد الله الشريف ، قال له الشيخ ابن عرفة : غايتك في العلم لا تدرك ، ولما سمع بموته قال : لقد ماتت بموته العلوم العقلية ، وحضر بفاس في بدايته مجلس عبد المؤمن الجاناني ، فاتفق بحث فأبدى فيه وجهاً بديعاً ، فنظر إليه الشيخ عبد المؤمن ، فقال : ما ذكرته من عندك أو من نقل ؟ فقال : من عندي ، فسأله عن بلده ونسبه ، ولأي شيء جاء ، فقال : جئت للقراءة على الأيلي ، فقال له : الحمد لله الذي وفقك ، ودعا له وبحث يوماً مع أبي زيد ابن الإمام في حديث ، وتجادبا فيه الكلام جواباً واعتراضاً ، حتى ظهر فأنشده الشيخ :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ \* فَلَمَّا اشْتَدَّ <sup>(١)</sup> سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال الشيخ أبو يحيى المطغري : لما اجتمع العلماء عند أبي عنان أمر الفقيه العالم المقرئ بإقراء التفسير فامتنع منه ، وقال : الشريف أبو عبد الله أولى مني بذلك ، فقال له السلطان : تعلم أنت علوم القرآن وأهل تفسيره فأقرئه ، قال له : إن أبا عبد الله أعلم بذلك مني ، فلا يسعني الإقراء بحضرته ، فعجبوا من إنصافه ، ففسر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السلطان ،

(١) في « حاشية المحقق الصبان على الأشموني » أنه بالسين المهملة ، أي قَوِي ، كما في شيخ الإسلام وبعده :

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقِسْوَافِي \* فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي  
قال : وهما لمن بن أوس في ابن أخته اهـ .

ونزل عن سرير ملكه ، وجلس معهم على الحصر ، فأتى بما أدهش الحاضرين ، حتى قال السلطان عند فراغه : إني لأرى العلم من منابت شعره ، وجاء إليه القاضي الفشتالي بعد خروجهم ، فطلب منه تقييد ما صدر منه ذلك اليوم ، فقال : إنه من كتاب كذا وكذا ، وذكر كتباً معروفة عندهم ، فعلم القاضي أن الحسن للشنب وأن الأمر غير مكتسب .

قال الخطيب ابن مرزوق : لما سافر أبو عبد الله لتونس كرهت مفارقتها ، ولكن حمدت الله على رؤية أهل إفريقية مثله من المغرب ، وكان الفقيه الكبير الصالح موسى العبدوسي كبير فقهاء فاس يبحث عما يصدر من أبي عبد الله من تقييد أو فتوى فيكتبه ، وهو أسنُّ من أبي عبد الله ، وكان الفقيه المحدث القاضي أبو علي منصور بن هدية القرشي يقول : كل فقيه قرأ في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم إلا أبا عبد الله الشريف فإن اجتهاده يزيد ، والله أعلم حيث ينتهي أمره . وسمعت أبا يحيى المطغري يقول : حضرت مجلس كثير من كبار العلماء فما رأيت مثل أبي عبد الله وولديه اهـ .

ووصل في التفتن في العلوم إلى الغاية ، جمع بين الحق والحقيقة ، لا يُشَقُّ غباره ، بل حظُّ العلماء السماع منه ، فسر القرآن خمساً وعشرين سنة بحضرة أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة ، لا يتخلف منهم أحد ، عالماً بقراءته ورواياته وفنون علومه من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها ، مع إمامته في الحديث وفقهه وغريبه ومتونه ورجاله ، وأنواع فنونه إلى الإمامة في أصول الدين ، قائماً بالحق ، صحيح النظر ، كثير الذبُّ عن السنة ، وإزاحة الإشكال متدرجاً في تعليم غوامضها ، حسن البسط في التأليف ، ألف كتاباً في « القضاء والقدر » ، وحقق فيه مقدار الحق بأحسن تعبير عن تلك العلوم الغامضة ، وإليه يفرغ علماء المغرب في حل المشكلات .

وجه العالم المحقق يحيى الرهوني من بلاد توزر أسئلة ، فأوضح مشكلها ، وكان من أئمة المالكية ومجتهديهم ، فقيه النفس قائماً على الفروع والأصول ثبناً وتحصيلاً ، عالماً بالأحكام واستنباطها ، قوي التوجيه سريع النظر ، متورعاً في الفتوى متحريراً في مسائل الطلاق ، يدفعها عن نفسه ما استطاع ، يدرس الفقه في كثير أوقاته ، وغالبها يقرأ « المدونة » بعد التفسير حتى مات . لم ينتفع الطلبة بأحد في مصر من الأمصار ما انتفعوا به في زمانه ، وذكر بعض فقهاء فاس للسلطان أبي عنان أنه غير متبحر في الفقه حسداً ، فبعث السلطان حينئذ للفقهاء فحضروا ، وأمره بإقراء حديث « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم »<sup>(١)</sup> يختبر به حاله في الفقه ، فأخذ فيها من غير نظر ، فأول ما قال : في هذا الحديث خمس وعشرون فرقة فسردها ، ثم تكلم على أخذها من الحديث ، وترجيح ما رجح كأنه يُملئها من كتاب ، فلما رأى السلطان ذلك أقبل على الطاعنين ، وقال لهم : هذا الذي قُلتم إنه قاصر في الفقه ، وكان لكلامه حلاوة ورونق وطلاوة ، قوة علمه فيه ظاهرة ، وأنواره باهرة ، ألف في أصول الفقه « مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول » طبق فيه مسائل الفقه مع الأصول ، من أعلم الناس بالعربية وعلوم الأدب نحواً وبياناً ، حافظاً للغة والغريب والشعر والأمثال ، وأخبار الناس ، ومذاهبهم ، وأيام العرب وسيرها وحروبها ، وأخبار الصالحين وسيرهم ، وإشارات الصوفية ومذاهبهم ، حسن المجلس كثير الحكايات ، ممتع المحضر ، عذب الكلام ، منصفاً في البحث والمناظرة ، كثير البسط بلا عار ولا سرف ، خبيراً بأخبار النفس وتركيتها وتطهيرها ، مذكلاً صعب الأمور ، إماماً في العلوم العقلية كلها منطقاً وحساباً وفرائض وتنجيماً وهندسة وموسيقى

(١) حديث صحيح ، أخرجه مسلم (٢٧٨) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن أو أخراهن بتراب » وهو في مسند الشافعي ٢١/١ (ش) .

وتشريعاً وفلاحة ، وكثيراً من العلوم القديمة . « شرح جمل الخونجي » من أجل كُتب الفن .

انتفع به العلماء قراءة ونسخاً وتأليفاً في المعاضات ، وكان قليل التأليف ، أكثر اعتناؤه بالإقراء ، فتخرج به من صدور العلماء وأعيان الفضلاء ونجباء الأولياء من لا يُحصى ، وكان مهيباً محبباً جعل الله محبته في القلوب ، من من رآه أحبه وإن لم يعرفه ، يجله الملوك ويقدمونه في مجالسهم ، يلاطفهم تارة ويفصح بالحق تارة ، وينصر المظلوم ويقضي الحوائج ، وقال لبعض الملوك ، وقد أمر بضرب فقيه : إن كان عندك صغيراً فهو عند الناس كبير ، وإنه من أهل العلم فنجا الفقيه وسرّح مُكرّماً ، ودخل بعض المرابطين على السلطان أبي حمو في أول أمره ، فلم يقبل يده ولا بايعه بل سلم وانصرف ، فاشتد عليه غضبه ، فقال : ما له لا يبايعني وهم بشر ، فقال له أبو عبد الله : هذه عادته مع من تقدم من الملوك ، وهو من أهل الله فانكسر غضبه ، وأكرم المرابط وولاه قبيلة كلها ، وكان يجلسه الملوك في أرفع المجالس ، ينصتون له فيقيم الحق ، لا يخدمهم بدينه ولا يسألهم حوائج نفسه ، ولا يخاطبهم إلا بما يسوغ شرعاً يعظم أهل الحق في قلوبهم ، ولا ينتصر لنفسه ، ويدفع حاسده بالتّي هي أحسن ، يلتمس لأولى الفضل في عثرتهم أحسن الوجوه ، ويتغافل عن غيره مع ما له من جميل الذكر ، وبعد الصيت وعلو المنصب ، لا يُماري العلماء في مجالس الملوك ، ولا يرد على أحد ولا يُخطئ المفسرين ، ولا ينصر العامة ولا يجزئهم على المعاصي ، بل يعظم منصب العلم .

مجلسه مجلس نزاهة ودراية وتحقيق ، إذا تكلم في مسألة أوضحها ، نهاره كله بين إقراء ومطالعة وتلاوة ، يقسم الوقت على الطلبة بالرملية ، ينام ثلث الليل ، وينظر ثلثه ، ويصلي ثلثه ، يقرأ كل ليلة ثمانية أحزاب في صلاته ،

ومثله في أول النهار ، ويواظب قراءة الحزب دائماً ، ويقرئ في التفسير نحو ربع حزب كل يوم مع البحث ، وإذا طال بحث الطلبة أمرهم بالتقييد في المسألة ثم يفصل بينهم ، يطالع كتباً كثيرة ، حدثني بعضهم : أنه وجد بين يديه سبعين كتاباً . قويّ اليقين ، بعيد النفس عن الطمع ، لا يشغله أمر الرزق ، ارتاض نفسه للطلب حتى سهل عليه ، فنال خيرات الدنيا والآخرة ، وكان علماء الأندلس أعرف الناس بقدرة ، وأكثرهم تعظيماً له ، حتى إن العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة والتأليف البديعة إذا ألّف تأليفاً بعثه إليه ، وعرضه عليه ، وطلب منه أن يكتب عليه بخطه ، وكان الشيخ الإمام الصدر المفتي أبو سعيد ابن لبّ شيخ علماء الأندلس كلما أشكل عليه شيء كاتبه ليبين له ما أشكل ، فأقرّ له بالفضل ، وأما زهده ومروءته ودينه فمعلوم .

كان غني النفس بربه ، ساكن الجأش ، كثير النفقة ، لا يهتم في أمرها حتى ذكر ولده عبد الله أنه بقي في بعض الأزمنة ستة أشهر مشغلاً بالعلم ، لم ير فيها أولاده ، لأنه يقوم صباحاً وهم نائمون ، ويأتي ليلاً وهم نائمون ، وذكر أنه لم يأخذ مرتباً في مدرسته ولا غيرها في زمن طلبه ، وإنما ينفق من مال أبيه ، وربما وضع له طيب الطعام ليفطر به في رمضان وغيره ، فيشتغل عنه بالنظر حتى بسحوره فيتركهما حتى يصبح ، ويواصل الصوم بالنظر مصون العرض منزهاً عن الرتب ، اتفق العدو والصديق على نزاهته ، وصدق لهجته ، وتساوى في محبته البرّ والفاجر ، مواظباً على الفكرة واقفاً مع الحدود ، مسلماً للعبودية ، كثير الجد في الأمر والنهي لا تعدل الدنيا عنده شيئاً ، يتباعد عن الملوك مع إقبالهم عليه وحرصهم على قربه ورفعته ، ما تولى أمراً من أمور الدنيا بل يقف مع العلم حيث وقف مع تمكنه ، وكان السلطان أبو سعيد يحبه حباً عظيماً ويخاطبه بسيدي ، فلما انحل ملكه عرض عليه مالاً ودبعة فامتنع

بالكلية ، فأودعه عند غيره وأشهد ثم رفع الأمر لأبي عنان بعد ملكه ، وأخبر به فوجه فيه وعاتبه شديداً حين لم يرفع الأمر إليه ، وامتن عليه بتقريبه ورفعته على العلماء فأجابه وقال : إنما عندي شهادة لا يجب علي رفعها بل سترها ، وأما تقريبك إياي فقد ضرني أكثر مما ينفعني ، ونقص به ديني وعلمي ، وشدد القول عليه أي على السلطان ، فغضب لذلك وسجنه ، ثم ورد إثر ذلك يعقوب ابن علي شيخ أعراب إفريقية على السلطان ، فسأله عما يقول الناس فيه بإفريقية ، فقال : خيراً غير أنهم سمعوا بسجنك عالماً شريفاً كبير القدر فلامك فيه الخاصة والعامة ، فأمر بإطلاقه والإحسان إليه بلا تسبب منه ولا معرفة ، وهي أعظم محنة امتحن بها . وما زال السلطان يعتذر له عنها حتى مات ، وكان أميناً مأموناً حافظاً لسره مالكاً لنفسه مقبلاً على شأنه ، يركن إليه أهل الدين والدنيا من القريب والبعيد ، وكان قاضي قسطنطينة حسن بن باديس وضع عنده أمانة في قرطاس ، فوضعها في بيته فلما طلبه صاحبه أخرجها فوجد مكتوباً على ظاهر القرطاس مئة ذهب فحلّه وعدها فإذا خمس وسبعون ذهباً فزاد فيها خمسة وعشرين ، فأعطاه له فمكث عنده يومين فرجع إليه وقال : يا سيدي وجدت في الأمانة زيادة خمسة وعشرين ، فقال : إنما لم أعدها عند أخذها منك فلما وقع بصري على الخط اخترتها فلم أجد العدد فكملتها طائناً ضياعها عندي ، فقال : يا سيدي لم أعط إلا خمسة وسبعين فرد الزيادة وشكره ، وحمد الله على وجود مثله ، وكان متمسكاً في أموره بالسنة ، راکناً لأهلها كثير الاتباع شديداً على أهل البدع ، ذا باس وقوة في نصر الحق ، لا تشاهد في قطره بدعة ، ولا يضع أسرار الشريعة في غير محلها ، ولا يشوش على أحد ويزجر من أخذ فوق قدره . سأله بعضهم عن تفضيل ابي بكر على عمر فزجره ، وكان يحضر مجلسه كبير وزراء الدولة ، فطال يوماً على بعض الأئمة ، فنظر إليه نظرة غضب وعنفه فسكت الوزير ، ولم يقطع المجلس ، وقرأ

عليه بعض الطلبة كتب الغزالي على وجه التجميل بها ، فرأى الشيخ في المنام كأنه يضع كتبه في موضع قدر فتركه ولم يعد لتعليمه ، وكان كثير التدبر للآيات والنظر في الملكوت بعبرة وفكرة .

له كرامات كثيرة منها : أنه اشتد الغلاء بقسطنطينة في محلة أبي عنان حتى بلغ الفول ثمانية بدرهم ، وعظم الحال فكانت تصله الكتب وفي عنوانها تدفع لسيدي أبي عبد الله ، فإذا فتحها وجد بيضاً فيها ذهب لا يعرف من أين هي ، فيستعين بها على شأنه حتى خلصه الله ، ومنها أنهم أتوا في واد حامل لا يجوزه إلا الفرسان ، وكانت معه حمارة يحمل عليها ، فجازت مع الفرسان سالمة ، فترلت المحلة قرب الوادي فاتفق ضرب خبائه بموضع مرتفع هناك ، ففي نصف الليل جاء سيل عمّ المحلة وطلع في أخبيتهم وانهدت أبنية السلطان ، فباتوا في أسوأ حال ، وهو في منزله لم يصله الماء فكان السلطان ينظر إليه في تلك الحال ، ويقول : كيف علم بما يتفق الليلة ولم يعلمنا به .

ولما وصل في تفسيره الأخير إلى قوله تعالى : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (١) مرض ثمانية عشر يوماً ثم مات ليلة الأحد رابع ذي الحجة متمم عام أحد وسبعين ، وحدث الخطيب الصالح علي بن مزية ، والفقيه راشد وغيرهما ، أنهم رأوا حين موته كأنه يُجلس من يدخل عليه ، فكانوا يظنونونه الملائكة ، وذكر ولده أبو يحيى أنه في مرضه قبل المصحف ومسح به وجهه وقال : اللهم كما عززتي به في الدنيا فاعززي به في الآخرة ، ورآه بعض الصلحاء بعد موته فقال له : أين أنت ؟ فقال : ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٢) وتأسف لموته السلطان ، وقال لولده عبد الله : ما مات من خلقت ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧١ .

(٢) سورة القمر : الآية ٥٥ .

وإنما مات أبوك لي لأني أباهي به الملوك ، ثم أعطاه المدرسة ورتَّب له جميع مرتبه اه ملخصاً من الجزء المذكور .

فائدة : سئل رحمه الله من غرناطة عن قول الإمام المرجوع عنه ، وما ينقله أهل المذهب عنه في مسألة واحدة قولين مختلفين وثلاثة ، يقولون : وقع له في « المدونة » كذا ، وفي « الموازية » كذا ، ويعتقدونها خلافاً فيفتون بها من غير تعيين للمتأخر منها الذي يجب الأخذ به ، من المتقدم الذي يترك مع التقليد لصاحبها وهو واحد ، مع اتفاق أهل الأصول على أنه إذا صدر القولان عن عالم لم يعلم المتأخر منهما لا يؤخذ بواحد منهما ، لاحتمال كون المأخوذ المرجوع عنه فصاراً كدليلين ، نُسخ أحدهما فلم يعلم بعينه ، لا يعمل بمقتضى واحد منهما ، وأما المجتهد فيأخذ برأيه من حيث اجتهاده ، وقد وقعت هذه عندنا وتردد النظر فيها أياماً فلم يوفق إلا أن الضرورة داعية إلى ذلك ، وإلا ذهب معظم فقه مالك ، ومستند الأخذ مع الضرورة أن مالكا لم يقل بالأول إلا بدليل وإن رجع عنه فنأخذ به من حيث الدليل ، وأيضاً غالب أقواله قال بها أصحابه فيعمل بها من حيث اجتهادهم ، وأيضاً فجميع المصنفين سطوراً هذه الأقوال واقتدوا بها من غير تعرض لهذا الإشكال ، فبعد اجتماعهم على الخطأ ، هذا ما ظهر لنا ، وقد أجاب القرافي عن هذا الأخير في « شرح التنقيح » بما في علمهم . فأجاب رحمه الله : اعلموا أنَّ المجتهد إما مطلق ، وهو من اطلع على قواعد الشيخ وأحاط بمداركها ووجوه النظر فيها ، فهو يبحث عن حكم نازلة بنظره في دلالتها على المطلوب ، فينظر في معارض السند والتخصيص والتقييد والترجيح وغيرها ، إن لم يعلم المتأخر فيعمل بالراجح أو الناسخ حيث ظهر ، ويصير المتقدم لغواً كأنه لم يذكر البتة ، هذا نظره ، وإما مجتهد في مذهب معين وهو من اطلع على قواعد إمامه وأحاط بأصوله ومآخذه ، وعرف وجوه النظر فيها ، ونسبته إليها كالمجتهد المطلق في قواعد الشريعة كابن

القاسم وأشهب في المذهب ، والمزني وابن شريح في مذهب الشافعي ، وقد كان ابن القاسم وأشهب والشافعي قرؤوا على مالك ، فأما الشافعي فترقى للاجتهاد المطلق ، فكان ينظر في الأدلة مطلقاً بما أداه إليه اجتهاده ، وأما ابن القاسم فيقول : سمعت مالكا يقول كذا أو بلغني عنه هذا ، وقال في كذا كذا ، ومسألتك مثلها ، فهذه رتبة الاجتهاد المذهبي ، وقد قال في غصب « المدونة » في الغاصب والسارق يركبان المغصوبة أو المسروقة ، بعد حكايته قول مالك : ولولا ما قاله مالك لجعلت على الغاصب والسارق كراء ركوبه الخ . فأنت ترى شدة اتباعه لمالك وتقليده له ، وأما مخالفته له في بعض المسائل كقوله : يتعين ثلاث بنات لبون في مئة وإحدى وعشرين من الإبل كقول ابن شهاب ، ومالك يخبره في ذلك ، أو حقتين وفيمن قال لعبده أنت حر ابتلاً عليك مئة دينار ، وقال مالك : هو حر ويتبع بها ، وابن القاسم لا يتبع بشيء كقول ابن المسيب ، وفي الغرماء يدعون على الوصي التقاضي يحلفهم مالك في القليل ، وتوقف في الكثير ، ويحلفهم ابن القاسم مطلقاً كقول ابن هرمرز وغيرها ، فيُحتمل أنه رأى أن ما قاله هو في هذه المسائل هو الجاري على قواعد مالك ، فلذا اختاره فلم يخرج عن تقليده فيها ، ويُحتمل أنه اجتهد فيها مطلقاً بناء على جواز تحري الاجتهاد ، ، وأما أصبغ فقال : أخطأ أبو القاسم ، لما رآه خالف فيها مالكا ، إما لأنه رآه خارجاً عن أصوله وصريح قوله ، وأما أشهب فالمحققون على أنه مقلد لمالك غير مجتهد ، وقوله في مسألة : من حلف بعتق أمته أن لا يفعل كذا ، فولدت بعد اليمين وقبل الحنث لا يعتقدون معها ، فقليل له إن مالكا قال يعتقدون معها ، قال وإن قاله مالك فلسنا له بماليك ، يقتضي اجتهاده كما قال ابن رشد خلاف ما قاله الجمهور أنه مقلد له ، فإذا تقرر هذا فالقولان لمالك ، والذي لم يعلم المتأخر منهما ينظر مجتهد المذهب أيهما أجرى على قواعد إمامه ، ويجتهد له أصوله فيرجحه ويفتي به ، وإذا علم المتأخر من قولي الإمام فلا

ينبغي اعتقاد أنهما كأقوال الشارع ، بحيث يلغى الأول البتة ، لأن الشارع واضح ورافع لا تابع ، فإذا نُسخ الأول رفع اعتباره أصلاً وإمام المذهب لا واضح ولا رافع بل هو في اجتهاده طالب حكم الشرع متبعٌ لدليله في اعتقاده ، وفي اعتقاده ثانياً أنه غلط في اجتهاده الأول ويجوز على نفسه في اجتهاده الثاني من الغلط ما اعتقده في اجتهاده الأول ، ما لم يرجع لنص قاطع ، وكذلك مقلدوه يُجوزون عليه في كلا اعتقاده ما جوزه هو على نفسه من غلط ونسيان ، فلذلك كان لمقلده اختيار أول قوله إذا رآه أجرى على قواعده إن كان مجتهداً في مذهبه ، وإن كان مقلداً صرفاً تعين عليه العمل بآخر قوله لأغلبية إصابته على الظن .

فهذا سرُّ الفرق بين صنفَي الاجتهاد ، وفصل القضية فيهما وحاصله أن أقوال الشارع إنشاء ، وأقوال المجتهد إخبار ، وبهذا يظهر غلط من اعتقد من الأصوليين أن حكم القول الثاني من المجتهد حكم الناسخ من قولي الشارع ، ويظهر صحة ما ذكره ابن أبي جمرة في « إقليد التقليد » أن المجتهد إذا رجع عن قول أوشك فليس رجوعه عنه مما يبطله ما لم يرجع لقاطع ، قال : لأنه رجع من اجتهاد لاجتهاد عند عدم النص ، فترجح اصطحابه ، فيأخذ بعضهم بالأول ، قال : وفي « المدونة » من ذلك مسائل ، هذا كلامه . ولم أرَ من اعترض عليه بأن من أخذ بالقول المرجوع عنه فإن ذلك لقوة مداركه عنده لا أنه قلد مالكا فيها ، كما أشير إليه في السؤال ، وإنما لم يصب لأن نظر من أخذ بالقول الأول من أصحابه نظرٌ مقيد بقواعده ، لا نظر مطلق كالمجتهد ، فلذا كان مقلداً له لتمسكه بأصول مذهبه وقواعده ، وإن خالف نص إمامه ففي العتبية في سماع عيسى فيمن قال لامرأته : أنت طالق إن كلمتي حتى تقولي أُحبك ، فقالت : غفر الله لك إني أُحبك ، فقال : حانت لقولها غفر الله لك قبل قولها أُحبك ، ولقد اختصمت أنا وابن كنانة لمالك فيمن قال : إن كلمتك حتى تفعلي

كذا فأنت طالق ، ثم قال لها نسقاً : فاذهي الآن ، فقلت : حانث ، وقال أبو كنانة : لا يحنث ، فقضى لي مالك عليه ، فمسألتك أبين من هذا .

وصوب أصبغ قول ابن كنانة ، ولما تكلم ابن رشد على هذه المسائل ، وشبهها اختار قول ابن كنانة ، ثم قال : يوجد في المذهب مسائل ليست على أصوله تنحو للمذهب أهل العراق ، فأنت ترى ابن رشد اختار خلاف قول ابن القاسم ، كما اختاره أصبغ جرياً على أصل المذهب ، ولم يبالوا بقضاء مالك لابن القاسم لما رأوه خارجاً عن أصول مذهبه ، حتى قال ابن رشد : إن في المذهب مسائل ليست على أصوله ، أترى من خالف في تلك المسائل جرياً منه على قواعد المذهب ومداركه يعد شاقاً لإمام المذهب ، كلاً بل هو أولى بالاتفاق وأحق بالتقليد ، وقولكم اتفق أهل الأصول على عدم العمل بمقتضى القولين المتضادين اللذين لا يُعلم المتأخر منهما فلا أعرف في كتبهم إلا في المقلد تفرعاً على أن أحدهما مرجوع عنه ، قالوا لا يعمل بواحد حتى يظهر المتأخر ، وقد قدمنا أن مجتهد المذهب ينظر في ترجيح أحدهما ، فيعمل بما يوافق المذهب كفعل المجتهد في أقوال الشارع ، وبيئنا أن قولي الإمام ليسا كنسبة الناسخ والمنسوخ بما لا مزيد عليه ، وقولكم : إن الضرورة داعية إلى العمل بمثل ذلك وإلاً بطل معظم الفقه ، قلنا : كان ماذا ؟ وأين هذه الضرورة من وجوب التوقف في أقوال الشارع إذا لم يُعلم المتأخر إذ لا يعمل بواحد منهما قبل التبين ، وقولكم في مستند الأخذ بها إن مالكا لم يقل بكل إلا بدليل ، فلنأخذ به من حيث ذلك الدليل ، قلنا : لا يصح هذا المستند عند من يقول : إن القولين كدليلين نسخ أحدهما الآخر ، ولم يعلم الناسخ ، وأي اعتبار للدليل مع نسخه ، نعم إنما يتم ذلك المستند على ما أصلناه من أن الشارع رافع وواضع ، والإمام بان على دليله وتابع ، وقولكم : إن غالب أقوال مالك أخذ بها أصحابه فتعمل بها من حيث اجتهدهم فأين هذا من قولكم أولاً : إنهم يعملون بها مع تقليد

صاحبها ، اللهم إلا أن يحقق بما ذكرنا من عمل أصحابه بأول أقواله بناء على اعتقادهم جريه على قواعده وأصوله ، فلم يزلوا في درك التقليد وإن اجتهدوا في المذهب ، وأما إن عملوا به بناء على الاجتهاد المطلق فقد بطلت وحدة الإمام ولزم الخروج عن مذهبه ، وقولكم : إن المصنفين سَطَّروا الأقوال إلى قولكم : بعيداً أن يجمعوا على الخطأ فهو ردُّ إجمالي ما تبين فيه نكته مستندها الإجماع السكوتي ، وهي ما أشرنا إليه ، وأما جوانب القرافي فضعيف عند التأمل ، والله أعلم .

انتهت فتواه ملخصة فتأملها مع ما فيها من التحقيق ، فبعض الشيء يُؤذن بكُلِّهِ وربُّك الفتَّاح العليم اهـ .

وفي « سلوة الأنفاس » : أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد المعروف بالشريف التلمساني العلامة الشهير والقدوة الكبير أحد راسخي العلماء وآخر الأئمة المجتهدين العظماء ، إمام أهل المغرب قاطبة ، وأعلم أهل عصره بإجماع ، وأوحد رجال الكمال علماً وذاتاً وخُلُقاً وخلَقاً ، أفرد بعضهم ترجمته في جزء في عدة كراريس ، وترجمه أيضاً في « كفاية المحتاج » وأطال في ترجمته ، وبالغ في الثناء عليه ، ووصفه ببلوغ رتبة الاجتهاد ، توفي رحمه الله بتلمسان في ذي الحجة متم سنة إحدى وسبعين وسبع مئة (٧٧١) .

### مُحمَّد الجلاب التلمساني

#### « نيل الابتهاج »

محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الجلاب التلمساني الفقيه العلامة .

أخذ عن شيوخ الونشريسي ، والإمام السنوسي ، وكان السنوسي يقول عنه : إنه حافظ لمسائل الفقه ، قال الملاي : ختم عليه السنوسي « المدونة » مرتين اهـ .

وله فتاوى في « المازونية » و « المعيار » ووصفه المازوني بصاحبنا الفقيه ،  
قال الونشريسي في « وفياته » : شيخنا الفقيه المحصل الحافظ توفي سنة ٨٧٥ هـ .

### مُحمَّد بنُ مرزوق الحفيد « نيل الابتهاج »

محمد بنُ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق  
الحفيد العجيسي التلمساني الإمام المشهور العلامة الحجَّة الحافظ المحقق  
الكبير الثقة الثبت المطلع النظار المصنِّف التقي الصالح الزاهد الورع البركة  
الخاشي لله الخاشع الأواب القدوة النبيه الفقيه المجتهد الأبرع الأصولي  
المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الأستاذ المقرئ المجود النحوي المقرئ  
البياني العروضي الصوفي المسلك ، المتخلق الولي الصالح العارف بالله ،  
الآخذ من كل فن بأوفر نصيب ، الرَّاعي في كل علم مرعاه الخصيب ، حجة  
الله على خلقه ، المفتي الشهير السُّني السُّني الرحلة الحاج فارس الكراسي ، والمنابر  
سليل أفاضل الأكابر ، سيد العلماء الجلة ، وصفي أئمة الملة ، وآخر السادات  
الأعلام ، ذوي الرسوخ الكرام ، بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول  
والحقيقة والشرعية بأوفر محصول ، شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول ،  
صاحب التحقيقات البديعة ، والاختراعات الأنيقة ، والأبحاث الغريبة ،  
والفوائد الغزيرة ، المتفق على علمه وصلاحه وهديه ، السيد الزكي الفهامة  
القدوة الذي قل سماح الزمان بمثله أبداً ، أحد الأفراد العلية في جميع الفنون  
الشرعية ، ذو المناقب العديدة والأحوال الصالحة العتيدة ، شيخ الإسلام  
وإمام المسلمين ومفتي المسلمين ومفتي الأنام ، ذو القدم الراسخ في كل مزلق  
ضيق ، والرحب الواسع في حل كل مشكل مقفل ؛ صاحب الكرامات

والاستقامات ، حامل لواء السنة وداحض شبه البدعة ، سيف الله المسلول على أهل البدع والأهواء الذائعة ، الذي أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ، ورفع بين البرية محله ودرجته ، ووسع على خليفته به نحلته . معدن العلم ، وزناد الفهم ، وكيمياء السعادة ، وكثر الإفادة ابن الشيخ الفقيه العالم أبي العباس أحمد بن الإمام العلامة الرحلة المحدث الكبير الخطيب الشهير محمد شمس الدين ابن الشيخ العالم الولي الصالح المجاور أبي العباس أحمد ابن الفقيه الولي الصالح الخاشع محمد ابن الولي الكبير ذي الأحوال الصالحة والكرامات محمد بن أبي بكر بن مرزوق .

كان رحمه الله آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المُفْرَط على النقول ، والقيام الأكمل على الفنون بأسرها ، أما الفقه فهو فيه مالك ولأزمنة فروعهِ حائز ومالك ، فلو رآه الإمام لقال له : تقدم فلك العهد والولاية ، وتكلم فمنك يُسمع فقهي لا محالة ، أو ابن القاسم لقرّ به عيناً ، وقال له : طالما دفعت عن المذهب عيباً وشيناً ، أو أدرك الإمام المازري لكان من أقرانه الذي معه يجارى ، أو الحافظ ابن رشد لقال له : هلمّ يا حافظ الرشد أو اللخمي لأبصر منه محاسن التبصرة ، أو القرافي لاستفاد منه قواعد المقررة إلى ما انضم لذلك من معرفة التفسير ودُرره والاطلاع بحقائق التأويل وغرره ، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد ، أو لاقاه مقاتل لقال : تقدّم أيها المقاتل ، أو الزمخشري لعلم أنه كشف النكت على الحقيقة ، وقال لكتابه تنحّ لهذا الحبر عن سلوك تلك الطريقة ، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية ، أو أبو حيان لاخفى عنه أن أمكنه في نهره ، ولم يسئل له نقطة من بحره ، إلى الإحاطة بالحديث وفنونه ، وحفظ رواياته ومعرفته متونه ، ونظم أنواعه ورصف فنونه ، فإليه الرحلة في رواياته ودراياته ، وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته ، وأما الأصول فالعضد ينقطع عند

مناظرته ساعده ، والسيف يكلُّ عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ، ويساعده  
والبرهان لا يهتدي معه لحجة ، والمقترح لا يقترح عنده بحجة ، وأما  
النحو فلو رآه الزمخشري لتلجلج في قراءة المفصل ، واستقل ما عنده من  
القدر المحصَّل ، أو الرُّمائي لاشتاق لمفاكهته وارتاح واستجدى من ثمار  
فوائده وامتاح ، أو الرُّجَّاج لعلم أنَّ زجاجة لا يقوِّم بجواهره ، وأنه لا يجري  
معه في الفن إلا في ظواهره ، بل لو رآه الخليل لأثنى عليه بكل جميل ، وقال  
لفرسان النحو : مالكم إلى لحوقه من سبيل ، وأما البيان فالمصباح لا يظهر  
له ضوء مع هذا الصبح ، وصاحب « المفتاح » لا يهتدي عنده للفتح ، وأما  
فهمه فعنه تنحط الشهب الثواقب ، وبمطالعة تحقيقاته يتحير الناظر ، فيقول  
كم لله تعالى من مواهب لا تسعها المكاسب ، إلى غيرها من علوم عديدة وفضائل  
مأثورة عتيدة ، وأما زهده وصلاحه فقد سارت به الركبان ، واتفق على تفضيله  
وخيرته الثقلان ، هو فاروق وقته في القيام بالحق ، ومدافعة أهل البدع  
بالصدق ، هو البحر بل دون علمه البحر ، هو البدر بل دون فلقه البدر ،  
هو الدرُّ بل دون منطقته الدرُّ ، وبالجمله فالوصف يتقاصر عن مزاياه ،  
ويعجز عن وصفه ويتجافاه ، فهو شيخ العلماء في أوانه ، وقطب الأئمة  
والزهاد في زمانه ، شهد بنشر علومه العاكف والبادي وارتوى من بحر  
تحقيقاته الظمآن والصادي :

حلف الزمانُ ليأتيَنَ بِمِثْلِهِ \* حَيْثُ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفَّرِ

وربك الفتاح العليم ، غير أنه كما قيل : يا له من عالم وإمام جمع العلوم  
بأسرها ولكن بخسته الدار ، فالله تعالى يرحمه ويرضى عنه وينفعنا به آمين .

وما قلناه من أوصافه فمما عُلِمَ من حاله فلا يحتاج لنقله عن معين ، ومتى  
احتاجت شمس الضحى للدليل ، على أنا نذكر بعض ما قيل فيه شاهداً لما قلنا .

قال تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني شيخنا الإمام  
العالم العَلَم ، جامع أشات العلوم الشرعية والعقلية ، حفظاً وفهماً وتحقيقاً ،

راسخ القدم ، رافع لواء الإمامة بين الأمم ، ناصر الدين بلسانه وبنانه وبالعلم ، محيي السنة بفعاله ومقاله وبالشيم ، قطب الوقت في الحال والمقام والنهج التواضع والسبيل الأقوم ، مستمر الإرشاد والهداية والتبليغ والإفادة . ذو الرواية والدراية والعناية ، ملازم للكتاب والسنة على نهج الأئمة المحفوظين في زمن من لا عاصم فيه لأمر الله إلا من رحم ، ذو همة عليّة ورتبة سنيّة ، وخلق رضية ، وفضل وكرم ، إمام الأئمة وعالم الأمة ، الناظر للحكمة ومير الظلمة ، سليل الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين ، نتيجة مقدمات البنين ، حجة الله على العلم والعالم ، جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة ، متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه ، الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد ابن أحمد ، اتصلت به فأويت منه إلى ربوة ذات قرار ومعين ، فقصرْتُ توجُّهي عليه ومثلتُ بين يديه ، فأنزّلني أعلى الله قدره منزلة ولده ، رعاية للذمم وحفظاً على الود الموروث من القدم ، فأفادني من بحر علمه ما تقصّرُ عنه العبارة ، ويكلّ دونه القلم ، فقرأتُ عليه جملة من التفسير ، ومن الحديث « الصحيحين » والترمذي ، وأبي داود ، بقراءتي و « الموطأ » سماعاً وتفقهاً و « العمدة » وأرجوزته « الحديقة في علم الحديث » وبعض أرجوزته « الروضة » فيه تفقهاً ، ومن العربية نصف « المغرب » وجميع « كتاب سيبويه » تفقهاً ، و « ألفية ابن مالك » وأوائل « شرح الإيضاح » لابن أبي الربيع ، وبعض « مغني ابن هشام » ، وفي الفقه « التهذيب » كله تفقهاً « وابن الحاجب » وبعض « مختصر خليل » و « التلقين » وثلاثي « الجلاب » وجملة من « المتبطين » و « البيان » لابن رشد ، و « الرسالة » تفقهاً ، وتفقهت عليه في كتب الشافعية في « تنبيه الشيرازي » و « وجيز الغزالي » من أوله إلى كتاب الإقرار ، ومن كتب الحنفية « مختصر القدوري » تفقهاً ، ومن كتب الحنابلة « مختصر الحوفي » تفقهاً ، ومن الأصول « المحصول » و « مختصر ابن الحاجب » و « التنقيح » وكتاب

« المفتاح » لجدي و « قواعد عز الدين » وكتاب « المصالح والمفاسد » له و « قواعد القرافي » وجملة من « الأشباه والنظائر » للعلائي ، و « إرشاد العميري » ، وفي أصول الدين « المحصل » و « الإرشاد » تفقهاً ، وفي القراءات « الشاطبية » تفقها و « ابن بري » ، وفي البيان « التلخيص » و « الإيضاح » و « المصباح » كلها تفقهاً ، وفي التصوف « إحياء الغزالي » إلا الربع الأخير منه ، وألسني خرقه التصوف كما ألبسه أبوهما وعمه ، وهما ألبسهما أبوه جده اه ملخصاً .

وكتب الإمام صاحب الترجمة تحته صدق السيد أبو الفرج بن السدي فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبر ، وقد أجزته في ذلك كله فهو حقيق بها مع الانصاف وصدق النظر ، جعلني الله وإياه ممن علم وعمل لآخرته واعتبر ، قاله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق اه .

وقال تلميذه الإمام الثعالبي وقدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله ابن مرزوق فأقام بها وأخذت عنه كثيراً ، وسمعت عليه جميع « الموطأ » بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني ، وختمت عليه « أربعينيات النووي » قراءة عليه في منزله قراءة تفهم ، فكان كلما قرأت عليه حديثاً يعلوه خشوع وخضوع ، ثم يأخذ في البكاء ، فلم أزل أقرأ وهو يبكي حتى ختمت الكتاب ، وهو من أولياء الله تعالى الذين إذا رؤوا ، ذُكرَ الله ، وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية ، واشتهر فضله في البلاد ، فكان بذكره تطرز المجالس ، جعل الله حبه في قلوب العامة والخاصة ، فلا يذكر في مجلس إلا والنفوس متشوقة لما يُحكى عنه ، وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية ، لا أعلم له نظيراً في ذلك في وقته فيما علمت ، ثم ذكر كثيراً جداً مما سمعه عليه من الكتب ، وأطال فيه .

وقال أيضاً في موضع آخر : هو سيدي الشيخ الإمام العبر الهمام حجة أهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم ، ورحلة النقاد وخلاصتهم ، ورئيس المحققين وقادتهم ، السيد الكبير والذهب الإبريز ، والعلم الذي نصبه التمييز . ابن البيت الكبير والفلك الأثير ، ومعدن الفضل الكثير ، سيدي أبو عبد الله محمد بن الإمام الجليل الأوحـد الأصـيل ، جميل الفضلاء ، سليل الأولياء ، أبي العباس أحمد ابن العالم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبي عبد الله ابن مرزوق .

وقال أيضاً في موضع آخر شيخنا الإمام العَلم الصدر الكبير المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين ، وإمام الحفظة الأقدمين والمحدثين ، سيد وقته وإمام عصره وورع زمانه ، وفاضل أقرانه ، أعجوبة وقته وفاروق أوانه ، ذو الأخلاق المرضية ، والأحوال الصالحة السنية ، والأعمال الفاضلة الزكية ، أبو عبد الله بن سيدنا الفقيه الإمام أبي العباس أحمد بن مرزوق اهـ .

وقال المازوني : في أول « نوازله » شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ، ذو التآليف العجيبة والفوائد الغريبة ، مستوفي المطالب والحقوق اهـ .

وقال تلميذه الحافظ التنسي بعد ذكره قضية مالك في أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين لا أدري ما نصه : لم نرَ فيما أدرَكنا من شيوخنا من تمرَّن على هذه الخصلة الشريفة ، وكثر استعمالها غير شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق اهـ .

وقال تلميذه أبو الحسن الفلصادي في « رحلته » : أدركت بتلمسان كثيراً من العلماء والزهاد والعباد والصلحاء ، وأولاهم بالذكر والتقديم الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا أبو عبد الله بن مرزوق العجيسي رضي الله عنه ، حل كنف العلم والعُلا ، وجلَّ قدره في العجلة الفضلا ،

قطع الليالي ساهراً ، واقتطف من العلم أزاهراً ، فائمه وأورق وغرب وشرق ، حتى توغل في فنون العلم واستغرق ، إلى أن طلع للأبصار هلالاً ، لأن المغرب مطلع له وسما في النفوس موضعه ، فلا ترى أحسن من لقائه ، ولا أسهل من إلقائه ، لقي الشيوخ الجلة الأكابر ، وبقي حمده مغترفاً من بطون الكتب والسنة الأعلام ، وأفواه المحابر . كان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة وأوقاته كلها معمورة بالطاعة ليلاً ونهاراً ، من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفقها وتصنيف ، وله أوراد معلومة ، وأوقات مشهودة ، وكانت له بالعلم عناية تكشف بها العماية ، ودراية تعضدها الرواية ، ونباهة تكسب التزاهة . قرأت عليه بعض كتابه في « الفرائض » وأواخر « إيضاح الفارسي » وشيئاً من « شرح التسهيل » ، وحضرت عليه إعراب القرآن ، و « صحيح البخاري » و « الشاطبيتين » و « فرعي ابن الحاجب » و « التلقين » و « تسهيل ابن مالك » و « الألفية » و « الكافية » و « ابن الصلاح في علم الحديث » و « منهاج الغزالي » و « الرسالة » وغيرها . توفي يوم الخميس عصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمان مئة ( ٨٤٢ ) ، وصلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة ، حضر جنازته السلطان فمن دونه ، لم أر مثله قبل ، وأسف الناس بفقده وآخر بيت سمع منه عند موته :

إِنْ كَانَ سَفَكَ دَمِي أَقْصَى مَرَادِكُمْ \* فَمَا غَلَتْ نَظْرَةُ مَنْكُمْ بِسَفَكِ دَمِي

اهملخصاً .

وفي « فهرسة ابن غازي » في ترجمة شيخه أبي محمد الورياجلي ما نصه : أنه لقي بتلمسان الإمام العلامة العلم الصدر الأوحده المحقق النظارة الحجة العالم الرباني أبا عبد الله بن مرزوق ، وأنه حدثه بكثير من مناقبه وصفة إقراءه ، وقوة اجتهداه ، وتواضعه لطلبة العلم ، وشدة على أهل البدع ، وما اتفق

له مع بعضهم ، إلى غيره من شيمه الكريمة ، ومحاسنه العظيمة اه .

وقال غيره : كان يسير سيرة سلفه في العلم والعمل ، والشفقة والحلم ، وحب المساكين ، آية الله في الفهم والذكاء والصدق والعدالة والنزاهة ، واتباع السنة في الأقوال والأفعال ، ومحبة أهلها في جميع الأحوال ، مبعضاً لأهل البدع ومحباً لسد الذرائع اه .

أخذ العلم عن جماعة كالسيد الشريف العلامة أبي محمد عبد الله ابن الإمام العالم الشريف التلمساني ، والإمام عالم المغرب سعيد العقباني ، والولي الصالح أبي إسحاق المصمودي ، أفرد ترجمته بتأليف ، والعلامة أبي الحسن الأشهب الغماري ، وعن أبيه وعمه ابني الخطيب بن مرزوق ، وبتونس عن الإمام ابن عرفة ، وأبي العباس القصّار ، وبفاس عن الأستاذ النحوي ابن حيّاتي الإمام ، والشيخ الصالح أبي زيد المكودي ، والحافظ محمد بن مسعود الصنهاجي الفيلاّلي في جماعة ، وبمصر عن الأئمة السراج البلقيني ، والحافظ أبي الفضل الحراقي ، والسراج ابن الملقّن ، والشمس الغماري ، والمجد الفيروز آبادي صاحب القاموس ، والإمام محب الدين بن هشام ولد صاحب المغني ، والنور النويري ، والولي ابن خلدون ، والقاضي العلامة ناصر الدين التنسي وغيرهم . وأجازه من الأندلس الأئمة كابن الخشاب ، وأبي عبد الله القيّجاطي ، والمحدث الحفار ، والحافظ ابن علاّق ، وأبي محمد بن جزّي ، وغيرهم .

وأخذ عنه جماعة من السادات كالشيخ الثعالبي ، وقاضي الجماعة عمر القلشاني ، والإمام محمد بن العباس ، والعلامة نصر الزواوي ، وولي الله الحسن أبركان ، وأبي البركات الغماري ، والعلامة أبي الفضل المشدالي ، والسيد الشريف قاضي الجماعة بغرناطة أبي العباس ابن أبي يحيى الشريف ، وأخيه أبي الفرج ، وإبراهيم بن فايد الزواوي ، وأبي العباس أحمد بن

عبد الرحمن الندرومي ، والعلامة المؤلف علي بن ثابت ، والشهاب بن كحيل التجاني ، وولده العلم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ، والعلامة أحمد بن يونس القسطنطيني ، والعلم يحيى بن يدير ، وأبي الحسن القلصادي ، والشيخ عيسى بن سلامة البسكري ، والعالم يحيى المازوني ، والحافظ التنسي ، والإمام ابن زكري في خلق كثيرين من الأجلة .

وقال الحافظ السخاوي : هو أبو عبد الله حفيد ابن مرزوق ، وقد يختص بابن مرزوق ، ويقال له أيضاً : ابن مرزوق تلا بنافع على عثمان الزروالي ، وانتفع في الفقه بابن عرفة ، وأجاز له ابن الخشاب والحفار والقيجاطي ، وحج قديماً سنة تسعين وسبع مئة (٧٩٠) رقيقاً لابن عرفة ، وسمع من البهاء الدماميني ، والنور العقيلي بمكة ، وقرأ بها البخاري على ابن صديق . لازم المحب ابن هشام في العربية ، ثم حج عام تسعة عشر وثمان مئة ، ولقيه رضوان الزيني بمكة ، وكذا لقيه ابن حجر اه .

وأما تأليفه فكثيرة منها : شروحه الثلاثة على البردة ، الأكبر المسمى « إظهار صدق المودة في شرح البردة » استوفى فيه غاية الاستيفاء ، ضمنه سبعة فنون في كل بيت ، والأوسط والأصغر المسمى « بالاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب » و « المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية » و « المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية » ، ورجزان في علوم الحديث الكبير سمّاه « الروضة » جمع فيه بين ألفتي ابن ليون والعراقي ومختصره « الحديث » اختصر فيه ألفية العراقي ، وأرجوزة في الميقات سماه « المقنع الشافي » في ألف وسبع مئة بيت ، و « أرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية » وأرجوزة « نظم تلخيص المفتاح » وأرجوزة « نظم تلخيص ابن البناء » ، و « أرجوزة نظم جمل الخونجي » وأرجوزة في « اختصار ألفية ابن مالك » و « نهاية الأمل في شرح جمل الخونجي » و « اغتنام الفرصة في محادثة عالم

قفصة» ، وهو أجوبة على مسائل في الفقه والتفسير وغيرهما ، وردت عليه من عالم قفصة أبي يحيى ابن عقيبة الأتي ، فأجابه عنها « والمعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج » أجاب فيه العالم قاضي الجماعة بغرناطة ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية و« نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين » تأليف ألفه في شأن البدلاء ، تكلم فيه على حديث في أول الحلية و« الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي » و« النصح الخالص في الرد على مدّعي رتبة الكامل للناقص » في سبعة كراريس ألفه في الرد على عصره وبلديه الإمام قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية في أشياء صوب العقباني صنيعهم فيها فخالفه ابن مرزوق ، و« مختصر الحاوي في الفتاوي » لابن عبد النور التونسي و« الروض البهيح في مسألة الخليج » في أوراق نصف كراس ، و« أنوار الدراري في مكررات البخاري » ، وتأليف في « مناقب شيخه الزاهد الولي إبراهيم المصمودي » في مقدار كراس و« تفسير سورة الإخلاص » على طريقة الحكماء ، وهذه كلها تامة .

وأما ما لم يكمل من تأليفه ف« المتجر الربيع والسعي الرجيع » و« الرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح » صحيح البخاري و« روضة الأريب في شرح التهذيب » و« المتزع النبيل في شرح مختصر خليل » شرح منه الطهارة في مجلدين ، ومن الأقضية لآخره في سفرين في غاية الإتيقان والتحرير ، والاستيفاء والتنزل لألفاظ الكتاب والنقول لا نظير له أصلاً لخصه العلامة الراعي كما يأتي ، و« إيضاح المسالك في ألفية ابن مالك » انتهى إلى اسم الإشارة أو الموصول مجلد في غاية الإتيقان ، ومجلد في « شرح شواهد شراحها » إلى باب كان وأخواتها ، وله خطب عجيبة .

وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المتنوعة فقد سارت بها الركبان شرقاً وغرباً بدأً وحضراً ، ذكر المازوني والونشريسي منها جملة وافرة في كتابيهما ،

وله أيضاً عقيدته المسماة « عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد » وعلى منحاه بنى السنوسي « عقيدته الصغرى » و « الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات » و « الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم » و « أسماء الصُّمِّ في إثبات الشرف من قبل الأم » وذكر السخاوي أن من تأليفه « شرح فرعي ابن الحاجب » و « شرح التسهيل » والله أعلم .

ومولده كما ذكره هو في « شرحه على البردة » ليلة الاثنين رابع عشر ربيع الأول عام ستة وستين وسبع مئة (٧٦٦) قال : وحدثني أمي عائشة بنت الفقيه الصالح القاضي أحمد بن الحسن المديوني - وكانت صالحة ألفت مجموعاً في أدعية اختارتها ، ولها قوة في تعبير الرؤيا ، اكتسبتها من كثرة مطالعة كتب الفن - أنه أصابني مرض شديد أشرفت منه على الموت ، ومن شأنها وأبيها أنهما لا يعيش لهما ولد إلا نادراً ، وسموني أبا الفضل أول الأمر ، فدخل عليها أبوها أحمد المذكور ، فلما رأى مرضي وما بلغ بي غضب وقال : ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل ! ما الذي رأيتموه له من الفضل حتى تسموه أبا الفضل ، سموه محمداً لا أسمع أحداً يناديه بغيره إلاّ فعلت به وفعلت ، يتوعد بالأدب ، قالت : فسميناك محمداً ، ففرّج الله عنك اهـ ملخصاً .

وتوفي كما قاله القلصادي وزروق والسخاوي وغيرهم يوم الخميس رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمان مئة (٨٤٢) ، ولم يخلف بعده مثله في فنونه في المغرب ، وصُلِّي عليه يوم الجمعة بالجامع الأعظم من تلمسان رحمه الله تعالى ، وسيأتي ترجمة ولده الكفيف وحفيده ابن ابنته محمد بن مرزوق الخطيب ابن حفصة إن شاء الله تعالى .

فائدة : قال صاحب الترجمة : حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة ، رحمه الله ، أول مجلس حضرته فقراً : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ

الرَّحْمَنِ ﴿١﴾ فجرى بيننا مذاكرة راثقة ، وأبحاث حسنة فائقة ، منها أنه قال قرئ يعشو بالرفع ونقيض بالجزم ، ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته ، وذكر في النسخة خلاً وذكر بعض ذلك الكلام ، فاهتديت إلى تمامه ، فقلت : يا سيدي معنى ما ذكر أن جزم نقيض بمن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنتها من معنى الشرط ، وإذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك ، فما يشبه لفظه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة فوافق رحمه الله وفرح ، كما أن الإنصاف كان طبعه ، وعند ذلك أنكر علي جماعة من أهل المجلس وطالبوني بإثبات معاملة الموصول معاملة الشرط ، فقلت : نصهم على دخول الفاء في خبر الموصول في نحو : الذي يأتيني فله درهم من ذلك ، فنازعوني في ذلك ، وكنت حديث عهد بحفظ « التسهيل » فقلت : قال ابن مالك فيما يشبه المسألة وقد يجرمه متسبب عن صلة الذي تشبيهاً بجواب الشرط ، وأنشدت من شواهد المسألة قول الشاعر :

كذلك الذي ينبغي على الناس ظالماً \* تُصبه على رُغمٍ عواقب ما صنعَ

فجاء الشاهد موافقاً للحال اه من « اغتنام الفرصة » .

وقد ذكر الشيخ ابن غازي الحكاية في « فهرسته » في ترجمة شيخه النيجي الشهير بالصغير ، وفيها بعض مخالفة لما تقدم ، فلنسقه ، قال : حدثني أنه بلغه عن ابن عرفة أنه كان يدرس من صلاة الغداة للزوال يقرئ فنوناً يبتدئ بالتفسير ، وأن الإمام ابن مرزوق أول ما دخل عليه وجده يفسر آية ﴿ وَمَنْ يَعِشْ ﴾ فكان أول ما فاتحه أن قال : هل يصحُّ كون « مَنْ » هنا موصولة ؟ فقال ابن عرفة : كيف وقد جزمت ، فقال له : تشبيهاً لها بالشرط ، فقال ابن عرفة : إنما يقدم على هذا بنص من إمام أو شاهد من كلام العرب ، فقال :

(١) الزخرف : ٣٦ .

أما النص فقول « التسهيل » كذا ، وأما الشاهد فقول الشاعر :

فلا تحفرن بئراً تريدُ بها أخاً \* فَإِنَّكَ فِيهَا أَنْتَ مِنْ دُونِهِ تَقَعُ  
كَذَاكَ الَّذِي يَبْغِي عَلَى النَّاسِ ظَالِماً \* تُصِيبُهُ عَلَى رُغْمٍ عَوَاقِبُ مَا صَنَعَ

فقال ابن عرفة : فأنت ابن مرزوق ، قال : نعم فرحب به اه . وهو خلاف ما تقدم ، ورأيت في بعض المجاميع زيادة وهي أن ابن عرفة اشتغل بضيافته لما انفصل المجلس اه .

فائدة أخرى: ذكر الشيخ ابن غازي أن الإمام ابن مرزوق صاحب الترجمة كان يصرف لفظ أبا هريرة ، وأن الأشياخ الفاسيين بلغهم ذلك فخالفوه فيه ، قال : ومال لمذهبهم شيخي النيجي والقوري لوجوه طال بحثي معه فيها ، ليس هذا موضعه اه .

وفي ترجمة يعقوب<sup>(١)</sup> الزغبى التونسي قاضي الجماعة أبو يوسف الإمام العلامة المحقق الفقيه القاضي المقتي ما نصه : ويقال : إنه يعني الزغبى اجتمع في وليمة مع الإمام ابن مرزوق الحفيد ، فسئلا عن رأى مصحفاً في نجاسة وهو غير طاهر فهل يأخذه فوراً أو يتيمم ، فقال صاحب الترجمة : يحري على محتلم انتبه . وهو في المسجد فليل : يجب خروجه فوراً ، وقيل : يتيمم ، فرد عليه ابن مرزوق بأن هذه الصورة أشد فيجب عليه خلاصه من المفسدة فوراً ، لأنه إن تركه اختياراً كان ردة ، بخلاف بقاءه في المسجد فلا يعد ردة ، وهو ظاهر نقله الرصاع اه من « نيل الابتهاج » .

---

(١) بعد وصفه بأنه من أكابر أصحاب ابن عرفة وتوليت قضاء القبروان ، ثم قضاء الجماعة بطنس ، وراء أبي مهدي الغبريني ، وتوفي عن قضائها ، وأنه أخذ عنه أبو القاسم القسنطيني وابن ناجي ، وأكثر النقل عنه في « شرح المدونة » وأبو زيد الغرياني والثعالبي وغيرهم . وقال : رأيت لعصريه أحمد الشماخ الثناء عليه ، ولم أقف على وفاته اه من « نيل الابتهاج » .

## ابن مرزوق الخطيبُ جدُّ الحفيد

وفي « نيل الابتهاج » ما نصه : محمدُ بنُ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ، ابن مرزوق الخطيب شمس الدين ، شُهر بالخطيب ، وبالجد ابن مرزوق ، شارح « العمدة » في الحديث و « الشفا » ذكره ابن فرحون في الأصل أي في « الديباج » وأثنى عليه ، وذكر شيوخه ولُذيلُه هنا بما لم يذكره .

قال ابن خلدون : صاحبنا الخطيب أبو عبد الله التلمساني كان سلفه نزلاء أبي مدين بالعباد متوارثين تربته من زمن جدهم خادمه في حياته ، وجده الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروف بالولاية فيهم ، ووُلد صاحب الترجمة على ما أخبرني عام عشرة وسبع مئة ، ورحل مع والده للشرق سنة ثمانى عشرة ، وسمع ببجاية على ناصر الدين ، ولما جاور أبوه بالحرمين رجع هو للقاهرة ، فأقام وقرأ على البرهان الصفاقسي وأخيه ، وبرع في الطلب والرواية ، وكان يجيد الخطين ، ورجع سنة ثلاث وثلاثين للمغرب ، ولقي السلطان أبا الحسن محاصراً لتلمسان ، وقد بنى مسجداً عظيماً بالعباد ، وكان عمه محمد بن مرزوق خطيباً به على عادتهم ، وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه ، وسمعتُه يُشيد بذكره في خطبته ويثني عليه فقربه ، وهو مع ذلك يلزم ابني الإمام ، ويلقى أكابر الفضلاء ، ويأخذ عنهم ، وحضر معه وقعة طريف ، وأرسله للأندلس وقشتالة في الصلح وفكَّ ولده المأسور ، ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى وافدين على أبي عنان بفاس مع أمه حظية أبي الحسن ، ثم رجع لتلمسان وأقام بالعباد ، وبها يومئذ أبو سعيد عثمان وأخوه أبو ثابت ، والسلطان أبو الحسن بالجزائر ، وقد حشد هناك فأرسل أبو سعيد بن مرزوق إليه سراً في الصلح فلما اطلع أبو

ثابت على الخبر أنكره على أخيه ، فبعثوا من حبس ابن مرزوق ، ثم أجازوه البحر للأندلس فترل على أبي الحجاج سلطان غرناطة ، فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فبقي عليها حتى استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها ، فنظمه في أكابر أهل مجلسه ، ثم بعثه لتونس عام ثمان ليخطب له بنت السلطان أبي يحيى ، فردت الخطبة واختفت بتونس ، ووشى لأبي عنان أنه مطلع على مكانها ، وسخطه وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته ، ولما تولى أبو سالم إثره وجعل الأمور بيده فوطئ الناس أعتابه وغشي أشراف الدولة بابه ، وصرفوا إليه الوجوه ، فلما وثب الوزير عمر بن عبد الله بالسلطان آخر اثنين وستين حبس ابن مرزوق ، ثم أطلقه بعد طلب كثير من أهل الدولة قتله ، فمنعه منهم ، ولحق بتونس سنة أربع وستين ، ونزل على السلطان أبي إسحاق وصاحب دولته أبي محمد بن تافراكين ، فأكرموه وولّوه خطابة جامع الموحدين ، وأقام بها حتى هلك أبو يحيى سنة سبع ، وولي ابنه خالد ، ثم لما تولى أبو العباس الأمر بعد قتله خالداً وبينه وبين ابن مرزوق شيء لميله مع ابن عمه محمد صاحب بجاية ، عزله عن الخطبة بها فأجمع الرحلة للشرق ، وسرّحه السلطان فركب السفينة للاسكندرية ، ثم للقاهرة ، ولقي أهل العلم وأمراء الدولة ، فنفقت بضائعه عندهم ، وأوصلوه للسلطان الأشرف فولاه الوظائف العملية ، موفّر المرتبة معروف الفضيلة ، مرشحاً للقضاء ملازماً للتدريس ، حتى هلك سنة إحدى وثمانين اهـ ملخصاً .

وقال في « الإحاطة » : كان من طرف دهره طرفاً وخصوصية ولطفاً ، مليح التوسل حسن اللقاء ، مبذول البشر كثير التودد ، نظيف البزة لطيف التأنى ، خير السميت طلق الوجه ، حلو اللسان طيب الحديث ، مقدّر الألفاظ عارفاً بالأبواب ، درباً بصحبة الملوك والأشراف ، ممزوج الدعابة بالوقار ،

والفكاهة بالنسك ، والحشمة بالبسط ، عظيم المشاركة لأهل وُدّه ، والتعصب لإخوانه ، ألقاً مألوفاً ، كثير الاتباع ، غاصّ المنزل بالطلبة ، متقاداً للدعوة ، بارع الخط أنيقه ، عذب التلاوة متسع الرواية ، مشاركاً في فنون من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف ، فلا يعدو السداد في ذلك ، فارس منبر غير جزوع ولا هيّابه ، رحل للشرق في كنف وحشمة مع والده فحج وجاور ، ولقي جلّة ثم فارقه ، وقد عرف حقه بالشرق ورجع للمغرب فاشتمل عليه أبو الحسن ، وجعله مفضي سرّه وإمام جمعه وخطيب منبره وأمير وأمين رسالته ، وقدم الأندلس وسط عام اثنين وخمسين فقلده سلطانها خطبة مسجده ، وأقعدته للإقراء بمدرسته ، ثم صرف عنه جفن سرّه من أسلوب طماح ودالة ، فأغشم الفترة ، وانتهاز الفرصة ، فانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب في شعبان عام أربعة وخمسين ، فاستقر عند أبي عنان في محل تجلّة ، وبساط قرية ، مشترك الجاه ، مجرى التوسط . انتهى ملخصاً .

قال الحافظ ابن حجر : ولما وصل تونس أكرم إكراماً عظيماً ، فخطب ودرس في أكثر المدارس ، ثم قدم القاهرة فأكرمه الأشرف شعبان ، ودرس بالشيخونية والضرعتشية والنجمية ، وكان حسن الشكل جليل القدر ، مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين اهـ .

قال ابن الخطيب القسنطيني : شيخنا الفقيه الجليل الخطيب توفي بالقاهرة ، ودفن بين ابن القاسم وأشهب ، له طريق واضح في الحديث ، ولقي أعلاماً سمعنا منه « البخاري » وغيره في مجالس ، ولمجلسه لباقة وجمال ، وله شرح جليل على « العمدة » في الحديث اهـ .

وقلت : وقرأت بخط العالم أبي عبد الله ابن الإمام ابن العباس التلمساني ما ملخصه : كتب بعض السادات للإمام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق أنه وجد بخط

جده الخطيب ابن مرزوق لما تفقه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب ما نصه : الحمد لله على كل حال ، خرَّج الطبري في منسكه ، وأبو حفص العلابي في سيرته ، عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو قالا : وقف رسولُ الله ﷺ على الثنية التي بأعلى مكة ، وليس بها يومئذ مقبور ، فقال : « يبعثُ الله من هاهنا سبعين ألفاً يدخلون الجنةَ بغيرِ حساب ، يشفعُ كلُّ واحدٍ منهم في سبعين ألفاً ، يدخلون الجنةَ بغيرِ حساب ولا عقاب ، ووجوهُهم كالقمر ليلة البدر » ، فقال أبو بكر : مَنْ هم يا رسولَ الله ؟ فقال : هم الغرباء من أمتي الذين يُدفنون هاهنا « ففي الموضع دفن والذي رحمه الله بعد سماعه الحديث بسبعة أيام ، أفتراه لا يشفع فيمن أقال عثرة ولده ؟ أمَّا يشترى هذا بأموال الأرض ؟ أفلا يراعى لي ثمانية وأربعين منبراً في الإسلام شرقاً وغرباً وأندلساً ؟ أفلا يراعى لي أنه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح قراءة وسماعاً من باب اسكندرية إلى البرين والأندلس غيري ؟ وقرأت عن نحو مئتين وخمسين شيخاً والله ما أعلمه لكني حرمني الله منه فنبذت الاشتغال به وآثرت اتباع الهوى والدنيا فهويت ، اللهم غُفرانك أفلا يراعى لي مجاورة نحو اثني عشر عاماً ، وختم القرآن في داخل الكعبة ، والإحياء في محراب النبي ﷺ والإقراء بمكة ولا أعلم من له هذه الوسيلة غيري ؟ أفلا يراعى لي الصلاة بمكة ستاً وعشرين سنة وغُرُبتِي بينكم ومحتتي في بلدي على محبتكم وخدمتكم من ذا الذي خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه استغفر الله استغفر الله استغفر الله من ذنوبي ، ذنوبي أعظم ، وربّي أعلم ، وربّي أرحم والسلام اه . وفيه دليل على قَدْر الرجل ومكانته ديناً ودنياً .

ورأيت له في بعض المجاميع ما ملخصه : ومن أسيّخ والذي سيدي محمد المرشدي لقيه في ارتحالنا للشرق ، وحملني إليه وأنا ابن تسع عشرة سنة ، فترلنا عنده وقت صلاة الجمعة ، ومن عادته أن لا يتخذ إماماً للمسجد ، وحضر حينئذ

من أعلام الفقهاء من لا يمكن اجتماع مثلهم في غير ذلك المشهد ، فقرب وقت الصلاة فتشوّف من حضر من الفقهاء والخطباء للتقديم ، فخرج الشيخ فنظر يميناً وشمالاً وأنا خلف والذي فوقع بصره علي ، فقال لي : يا محمد تعال فقمْتُ معه إلى موضع خلوة ، فباحثني في الفروض والشروط والسنن ، قال فتوضأت وأخلصت النية ، فأعجبه وضوئي ، ودخل معي المسجد وقادني للمنبر ، وقال لي : يا محمد ارقْ المنبر ، فقلت له : يا سيدي والله ما أدري ما أقول ، فقال لي : ارقه ، وناولني السيف الذي يتوكأ عليه الخطيب عندهم ، وأنا جالس مفكر فيما أقول إذا فرغ المؤذنون ، فلما فرغوا ناداني بصوته ، وقال لي : يا محمد قم وقل باسم الله ، قال : فقمْتُ وانطلق لساني بما لا أدري ما هو إلّا أنّي أنظر إلى الناس ينظرون إليّ ويخشعون من وعظي ، فأكملت الخطبة ، فلما نزلت قال لي : أحسنت يا محمد وقرأك عندنا أن نوليك الخطابة ، وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ، ثم سافرنا فحججنا وأراد والذي الجوار وأمرني بالرجوع لتلمسان لتؤنس عمي ، وأمرني بالوقوف على سيدي المرشدي هناك ، فوقفْتُ عليه وسألني عن والذي ، فقلت له : يقبل أيديكم ويسلم عليكم ، فقال لي تقدم يا محمد واستند لهذه النخلة فإن شعيباً يعني أبا مدين عبدَ الله عندها ثلاث سنين ، ثم دخل خلوته زماناً ، ثم خرج فأمرني بالجلوس بين يديه ، ثم قال لي : يا محمد أبوك من أحببنا وإخواننا إلا أنك يا محمد فكانت إشارة منه لما امتُحنتُ به من مخالطة أهل الدنيا والتخليط ، ثم قال : يا محمد أنت مشوش من جهة أهلك تتوهم أنه مريض ، ومن ( جهة ) بلدك ، أما أبوك فبخير وعافية ، وهو الآن عن يمين منبر الرسول عليه السلام ، وعن يمينه خليل المكّي وعن يساره أحمد قاضي مكة ، وأما بلدك فباسم الله وخط دائرة في الأرض ، ثم قام فقبض إحدى يديه على الأخرى وجعلهما خلف ظهره ، وجعل يطوف بتلك الدائرة ، ويقول : تلمسان تلمسان حتى

طاف بها مرات ، ثم قال لي : يا محمد قد قضى الله الحاجة فيها . فقلت له : كيف يا سيدي ؟ فقال : ستر الله ، إن شاء الله ، على ما فيها من الذراري والحريم ، ويملكها هذا الذي حصرها ، فهو خير لهم ، ثم جلس وجلست بين يديه ، فقال : لله يا خطيب ، فقلت له : يا سيدي عبدك ومملوكك ، فقال : كن خطيباً أنت الخطيب ، وأخبرني بأمر ، وقال لي : لا بد أن تخطب بالجانب الغربي وهو الجامع الأعظم بالاسكندرية ، ثم أعطاني شيئاً من كميكات صغار ، زودني بها وأمرني بالرحيل ، وأما خبر تلمسان فدخلها المريني كما ذكر ، وستر الله على ما فيها من الذراري والحريم ، وكان هذا المرشدي يتصرف في الولاية كتصرف أبي العباس السبتي نفعا الله بهما اه .

ولصاحب الترجمة تأليف « كشرحه الجليل على عمدة الأحكام » في أسفار خمسة ، جمع فيها بين ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائد ، و « شرحه النفيس على الشفا » ولم يكمل ، و « شرح الأحكام الصغرى » لعبد الحق وشرح فرعي ابن الحاجب سماه « إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب » ولا أدري كمل أم لا ، وبيته بيت علم ودراية ، ودين وولاية ، كعمه وأبيه وجده وجد أبيه ، وكولديه محمد وأحمد ، وحفيده الإمام النظار الحفيد ابن مرزوق ، وولد حفيده المعروف بالكفيف ، وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخر فقهاءهم فيما أعلم اه .

وفي « جذوة الاقتباس » ما نصه : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي ، من أهل تلمسان ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين ، كان مليح الترسل ، مبذول البشر ، كثير التودد ، نظيف البزة ، خير السمّت ، طلق الوجه ، طيب الحديث ، درباً على صحبة الملوك ، عارفاً بالأبواب ، ممزوج الدعاة بالوقار ، والفكاهة بالنسك ، والحشمة بالبسط ، عظيم المشاركة لأهل ودّه ، والتعصب لإخوانه ، غاصّ المنزل بالطلبة ، بارع

الخط أنيقه ، متسع الرواية مشاركاً في فنون من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويُقَيّد ويؤلّف ويُشعر ، فلا يعدو السداد ، رحل إلى المشرق فحج وجاور ولقي الجلة مع والده ، ثم فارقه وعرف بالمشرق فضله ، أخذ بالمدينة المشرفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام عن خطيبها عزّ الدين أبي محمد الحسين بن علي الواسطي ، وعن جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف المصري ، وعن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد الحجار الفراهي بالحرم النبوي ، وعن قاضي المدينة شرف الدين الأسيوطي اللخمي ، وعن الشيخين أبي محمد وأبي ابني فرحون . وبمكة عن الشيخ شرف الدين عيسى ابن عبد الله الحجبي المكي ، توفي وقد قارب المئة ، وعن خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري ، وعن الشيخ عثمان النويري المالكي ، وعن شهاب الدين أحمد بن الحراني اليميني ، وعن أبي الربيع بن يحيى المراكشي ، وعن أبي القماح ، وعن شرف الدين عيسى بن محمد المغيلي ، وعن إبراهيم بن محمد الصفاقسي ، وبمصر عن علاء الدين القونوي ، وعن جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المصنف ، وعن ابن منير الحنفي ، وعن شهاب الدين أحمد بن منصور الحلبي الجوهري ، وعن الشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي ، وعن الشيخ النسابة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن طي بن حاتم ابن حبيش الزبيدي المصري ، تبلغ شيوخه نحو ألفي شيخ ، وعن الشيخ محمد بن أحمد ابن ثعلب ، وعن شمس الدين محمد بن كشافزي الخطايي الصيرفي ، وعن عماد الدين محمد بن علي بن المنجم الدمياطي ، عن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، وعن برهان الدين الحكري ، وعن محمد بن جابر الوادي آشي ، وعن أبي القاسم بن علي البراء ، وعن قاضي القضاء ناصر الدين بن منصور ابن محمد بن قيس الاسكندري ، وبتونس عن المُحدِّث النسابة أبي عبد الله

محمد بن حسين الزبيدي ، وعن قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرافع ، والقاضي أبي محمد بن عبد السلام ، وأبي محمد بن راشد القفصي ، وبيجاية عن الإمام ناصر الدين المشدالي ، وعن الحافظ أبي عبد الله الزواوي وعن أبي عبد الله المسفر ، وبيد تلمسان عن ابني الإمام ، والخطيب أبي عبد الله المجاصي ، وغيرهم ، وبفاس عن أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي . ولما قدم المغرب اشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالاً خصه بنفسه ، وجعله محل سره وإمام جماعته وخطيب منبره ، وأمير رسالته ، ورحل بعد أبي الحسن إلى الأندلس ، وألف « المسند الحسن على مآثر السلطان أبي الحسن » ثم رجع للمغرب أيضاً بخدمة أبي عنان فارس ، فكان في محل تجلته ، وكان عند أخيه أبي سالم بعد فارس ، وكان قد غضب عليه أبو عنان فاعتقله ، وأخذ أمواله وضيق عليه ، وأجمع على قتله ، وتمادى عليه ذلك إلى أن شملته عوائد الله تعالى معه في الخلاص من الشدة ، وظهرت عليه بركة سلفه .

قال ابن الخطيب : أخبرني أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال : عرض لي والدي رحمه الله في النوم فقال : يا ولدي اشفع في الفقيه ابن مرزوق ، فعينت لوجهة ذلك قاضي الحضرة ، فكان ذلك ابتداء الفرج . قال : وحدثني الثقة من خدام أبي عنان مخبراً عن نفسه يعني أبا عنان أنه رأى رسول الله ﷺ فأمره بتسريحه ، ثم ترك سبيله ، وأبيع له ركوب البحر إلى البلاد الشرقية بأهله وولده ، فسار في كنف الستر عام أربع وستين وسبع مئة ، وتصانيفه عديدة منها « شرح العمدة » جمع فيه بين الفاكهاني وتقي الدين بن دقيق العيد و « شرح كتاب « الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » ولم يكمل ، توفي بعد الثمانين وسبع مئة .

### ابن مَرْزُوقٍ حَفِيدُ الحَفِيدِ

وفي « نيل الابتهاج » ما نصه : أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق ، ولد العالم الكفيف ابن مرزوق ، ابن الإمام الشهير الحفيد ابن مرزوق . كان نجيباً صالحاً من أهل تلمسان ، أخذ عن والده الكفيف ، وعن السنوسي ، والتنسي ، وابن زكري ، ومات مغبوطاً به ، وقع اسمه في « فهرسة ابن غازي » ووصفه بالفقيه أبي العباس ، ونقل عنه صاحبه أبو عبد الله ابن العباس في مسائله ، وتوهم الشيخ بدر الدين القرافي هذا المصري العصري أنه ولد الإمام الحفيد ابن مرزوق ، وليس كذلك ، بل هو حفيده ، وولد ولده الكفيف ، كما علمت والله أعلم .

### ابن مَرْزُوقٍ الكَفِيفُ

وفي « نيل الابتهاج » ما نصه : محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الشهير ، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني عرف بالكفيف ، ولد الإمام أبي الفضل قطب المغرب الحفيد ابن مرزوق شارح « المختصر » المتقدم .

كان ولده صاحبُ الترجمة إماماً عالماً علامة وصفه ابن داود البلوي بشيخنا الإمام ، علم الأعلام ، فخر خطباء الإسلام ، سلالة الأولياء ، وخلف الأتقياء ، المسند الراوية المحدث العلامة القدوة الحافل الكامل أبو عبد الله ابن سيدنا شيخ الإسلام ، خاتمة العلماء الأعلام ، الحبر البحر الناقد النحرير ، المشاور العمدة الكبير ، ذي التصانيف العديدة والأنظار السديدة ، أبي عبد الله ابن مرزوق .

أخذ العلم عن جماعة منهم : أبوه شيخ الإسلام قرأ عليه « الصحيحين » و « الموطأ » وغير كتاب من تآليفه ، وغيرها ، وتفقه عليه وأجازه ما يجوز له عنه روايته ، والإمام العالم النظّار الحجة أبو الفضل ابن الإمام ، والإمام العلامة قاضي الجماعة المعمر المشاور أبو الفضل قاسم العقباني ، والأستاذ المقرئ العالم أحمد بن محمد بن عيسى البجائي القاسي ، والإمام العالم الولي الصالح المحدث عبد الرحمن الثعالبي ، والإمام العالم الفقيه النظّار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المَشْدَلِي ، والإمام قاضي الجماعة العالم المحقق أبو عبد الله بن عقاب الجذامي التونسي ، والإمام العالم الرَّاوية الرَّحَّال قاضي الأنكحة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري التونسي . قرأ وسمع إليهم وأجازوه عامة ، وأجازه مكاتبة من مصر شيخ الإسلام الحافظ ابن مجد ، مع أولاد مرزوق عام تسعة وعشرين .

ومولده ليلة الثلاثاء غرة ذي القعدة عام أربع وعشرين وثمان مئة (٨٢٤) هـ . قلت : ومن شيوخه الإمام ابن العباس . قال السخاوي : قدِمَ صاحب الترجمة مكة فعرض عليه ظهيرة ، وأخذ عنه في الفقه وأصوله والعربية والمنطق في سنة إحدى وستين ، وسمعت إحدى وسبعين أنه حي هـ .

قلت وفي « وفيات النشريسي » أن وفاته عام أحد وتسع مئة ، ووصفه بالفقيه الحافظ المِصْقَع ، وأخذ عنه الخطيب ابن مرزوق ابن أخيه ، وابن العبّاس الصغير ، ووصفه بشيخنا علم الأعلام ، وحجة الإسلام آخر حفاظ المغرب ، قرأت عليه « الصحيحين » وبعض « مختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي » ، وحضرت عليه جملة من « التهذيب » و « الخونجي » وغيرها هـ . وبالإجازة ابن غازي نقل عنه في « المازونية » ، وتقدمت ترجمة جده وأبيه الخطيب قريباً .

ابنُ سعد التلمساني  
« نيل الابتهاج »

محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني الفقيه العالم المحصل  
العلامة .

أخذ عن الإمام خاتمة المحققين محمد بن العباس ، والحافظ التنسي ،  
والإمام السنوسي ، وألف كتاب « النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب » ،  
و « روضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين » وهم الهواري ، وإبراهيم  
التازي ، والحسن أبركان ، وأحمد بن الحسن الغماري .

وله تأليف في الصلاة على النبي ﷺ . وفيه يقول محمد العربي الغرناطي :  
« إذا جئت لتلمسان فقل لصنديدها ابن سعد عِلْمُكَ فاق كل علم ، ومجدك  
فاق كل مجد » .

توفي بالديار المصرية في رجب سنة ٩٠١ قاله الونشريسي في « وفياته » .

محمد بن أحمد ابن مريم المديوني  
( لم أقف على ترجمته )

الفقيه الصالح المؤرخ المؤلف محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف  
المليتي المديوني صاحب كتاب « البستان في علماء وصلحاء تلمسان » الذي  
إنتقاه من « نيل الابتهاج » للتنبكتي ومن « بُغية الرواد » ليحيى بن خلدون  
وغيرهما .

ولم أقف على ترجمته ، ومن تاريخ فراغه من تأليف « البستان » يُعلم أنه

كان حياً سنة ١٠١٤ ، وقد ذكر في أخيره نبذة من الأدب أعقبها بذكر تأليفه ،  
وهي نحو الأحد عشر تأليفاً فقال :

« وما يترين به الطالب حفظ اليسير من الشعر ، ينشد من سأل منه الرواية :

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مُشْغَلَةٌ \* إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ  
الْعِلْمُ مَا قِيلَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا \* وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَأُسُ الشَّيَاطِينِ

ودخل جماعة على بعض المحدثين يسألونه الرواية فأنشدهم من حفظه :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ \* وَأَوْدَهُمْ فِي اللَّهِ ذِي الْآلَاءِ  
أَهْلًا بِقَوْمٍ صَالِحِينَ ذَوِي التُّقَى \* خَيْرَ الرِّجَالِ وَزَيْنَ كُلِّ مَلَاءِ  
يَسْعُونَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ بِعَقَّةٍ \* وَتَوَقَّرَ وَسَكِينَةٍ وَحَيَاءِ  
لَهُمُ الْمَهَابَةُ وَالْجَلَالَةُ وَالنُّهَى \* وَفَضَائِلُ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ  
وَمَدَادُ مَا يَجْرِي بِهِ أَقْلَامُهُمْ \* أَعْلَى وَأَفْضَلُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ  
يَا طَالِبِي عِلْمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ \* مَا أَنْتُمْ وَسِوَاكُمْ بِسِوَاءِ  
وَأُنْشَدُ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي :

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَنْارُ \* نِعَمَ الْمَطِيَّةُ لِلرُّوَى الْأَخْبَارِ  
لَا تَغْفُلَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ \* فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ

وَأُنْشَدُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصُّوفِي :

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ \* زُرْتُمْ جَسُومًا وَزَرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا  
إِنَّا أَقْمَنَّا عَلَى شَوْقٍ وَعَنْ قَدَرٍ \* وَمَنْ أَقَامَ عَلَى شَوْقٍ كَمَنْ رَاحَا

وَأُنْشَدُ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ لِنَفْسِهِ :

أَنْسَتْ بُوْحَدَّتِي فَلَزِمْتُ يَبِيَّتِي \* وَطَابَ الْعَيْشُ وَاتَّصَلَ السُّرُورُ  
وَأَدْبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبْـأَلِي \* تَرَكْتُ فَلَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ

وأنشد أبو الطاهر أحمد السَّلَبي لنفسه :

أَنَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيدِ \* ثِ وَهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ  
عِشْتُ تِسْعِينَ وَأَرْجُو \* أَنْ أَعِيشَ بَعْدَ مَيِّتِهِ  
وأنشد أبو بكر الزبيدي صاحب « مختصر العين » :

اتْرُكْ الْهَمَّ إِذَا مَا طَرَقَكَ \* وَكِلَ الْأَمْرَ إِلَى مَنْ خَلَقَكَ  
وَإِذَا مَلَكَ قَوْمٌ أَبَدًا \* فَإِلَى رَبِّكَ فَاْمُدُّ عُنُقَكَ  
وأنشد ابن مرزوق في مجلسه :

أَصْبَحْتُ عِنْدَ الْحِسَانِ رَقْمًا \* قَدْ غَيَّرَ الْحَدَثَانِ نَقْشِي  
وَكُنْتُ أَمْشِي وَلَسْتُ أَعْيَا \* فَصِرْتُ أَعْيَا وَلَسْتُ أَمْشِي  
وأنشد أبو بكر بن المختار في عمره :

مَضَتْ لِي سِتُّ بَعْدَ سَبْعِينَ حِجَّةً \* وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَسُكُونٌ  
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَوْ كَيْفَ أَوْ مَتَى \* يُقَدَّرُ مَا لَا بُدَّ أَنْ سَيَكُونُ  
ولي <sup>(١)</sup> في هذا المعنى بعد مضي ثمانين سنة :

مَضَتْ سِتُّونَ عَامًا مِنْ وَجُودِي \* وَمَا أَمْسَكْتُ عَنْ لَعِبٍ وَلَهْوٍ  
وَقَدْ أَصْبَحْتُ يَوْمًا حَوْلَ إِحْدَى \* وَثَامِنَةٍ عَلَى كَسَلٍ وَسَهْوٍ  
فَكَمْ لَابِنِ الْخَطِيبِ مِنَ الْخَطَايَا \* وَفَضْلُ اللَّهِ يَشْمُلُهُ بِعَفْوٍ  
وأنشد أبو عبد الله بن إبراهيم الأندلسي :

رَأَيْتُ الْإِنْقِبَاضَ أَجَلٌ شَيْءٌ \* وَأَدْعَى فِي الْأُمُورِ إِلَى السَّلَامَةِ  
فَهَذَا الْخَلْقُ سَالِمُهُمْ وَدَعُهُمْ \* فَخُلُطَتْهُمْ تَعُودُ إِلَى النَّدَامَةِ

(١) هكذا في الأصل ، وأنت ترى ابن الخطيب في البيت الثالث ، وقد قاسيت من النَّصَبِ في تصحيح هذه الصفحات المنقولة من نسخة « البستان » ما إن مثله ليعجز عنه الضعيف مثلي ، ولكنني استعنت بالله تعالى في تصويب ما حرفة الناسخون ، عفا الله عنا وعنهم .

وأنشد سيبويه :

سيفنى لِسَانُ كَانَ يُعَرِّبُ لَفْظَهُ \* فَيَا لَيْتَهُ مِنْ وَقَعَةِ الْعَرَضِ بَسْلَمُ  
وما ينفعُ الإعرابُ إنْ لم يكنْ تُقَى \* وما ضَرَّ ذَا تَقْوَى لِسَانُ مُعْجَمُ  
وأنشد الغزالي عند انصرافه لبيت المقدس :

لأن كان لي مِنْ بَعْدُ عَوْدُ إِلَيْكُمْ \* قضيتُ لُباناتِ الْفُؤَادِ لَدَيْكُمْ  
وإنْ تَكُنْ الأخرى ولم تَكُ أَوْبَةُ \* وكانَ مَمَاتِي فَالْسَّلَامُ عَلَيْكُمْ  
وأنشد ابن الخطيب القرطبي :

ليسَ الخُمُولُ بعيِبٍ \* على امرئٍ ذي جَلالٍ  
فليلةُ القَدْرِ تَخَفَسَى \* وتلكَ خَيْرُ اللَّيَالِي

وأنشد أبو الفضل بن العمري :

مَنْ شَاءَ عَيْشًا سَعِيدًا يَسْتَفِيدُ بِهِ \* مَنَاهِلَ الْعَيْشِ إِدْبَارًا وإِقْبَالًا  
فليَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ قَوْفَهُ أَدْبَالًا \* وليَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ دُونَهُ مَالًا  
وأنشد بعضهم :

إذا المرءُ لم يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقَى \* تَجَرَّدَ عُريَانًا ولو كانَ كاسِيَا  
وخَيْرُ خِصَالِ المرءِ طَاعَةُ رَبِّهِ \* ولا خَيْرَ فِيمَنْ كانَ لِلَّهِ عاصِيَا  
وللآخر :

قد أحدثَ الناسُ أُمُورًا فلا \* تعملُ بها إِنِّي امرؤُ ناصِحُ  
ما مَجْمَعُ الخَيْرِ إِلَّا الَّذِي \* كانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ

ثم قال : وهاهنا انتهى الغرض فيما قصدناه على الوجه الذي بيناه ،  
ولا حول ولا قوة إلا بالله . وفي سنة أربع عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه ،

نسأله سبحانه جلّت قدرته أن يجعله خالصاً لوجهه على الوجه الذي يتقبله ويرضاه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأواه ، وعلى آله وأصحابه الرفقاء له في دنياه وأخراه ، وقد انتقيته من « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » للشيخ أحمد بابا السوداني ، ومن « بغية الورد في شرف بني عبد الواد » ومن تقييد سيدي محمد السنوسي في « مناقب الأربعة المتأخرين » ومن « النجم الثاقب » ومن « الكواكب الوقادة فيمن كان نسبته من العلماء والصالحين القادة » ومن كتب عديدة .

وقد سألتني ولدي رضي الله عنه وعليه ، وبارك فيه وأنعم عليه ، عما وقع لي من التأليف ليكتب ذلك ، فأملت ما صادفه زمانه لحرصه على هذه المسائل ، ولنسردا هنا تكملة للغرض ، فمنها « غنية المريد لشرح مسائل أبي الوليد » ، ومنها « تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأذكار المستحبة في الليل والنهار » ، ومنها « فتح الجليل في أدوية العليل » لعبد الرحمن السنوسي المعروف بالرقعي ، ومنها « فتح العلّام لشرح النصيح التام للخاص والعام » لسيدي إبراهيم التازي ، ومنها « كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد » ومنها « التعليقة السنية على الأرجوزة القرطبية » ومنها « شرح على مختصر الصغرى » اختصرتها لسيدي سليمان بن بوسماحة للنساء والعوام ، ومنها تأليف حديث نبوي ، وحكايات الصالحين ، ومنها تعليق « مختصر على الرسالة » في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها ، ومنها « شرح المرادية » للتازي ، ومنها « تفسير بعض ألفاظ الحكم » لم يكمل ، ومنها « تفسير الحسام » في ترتيب وظيفة التازي وما يحصل من الأجر لقارئها ، ومنها هذا التأليف المشتمل على عدد أولياء تلمسان وفقهائها في حوزها وعمالاتها الأحياء منهم والأموات اهـ .

وجملة العلماء الذين ترجمهم في « بستانه » رضي الله عنه نحو مئة واثنين وخمسين عالماً ، وهم :

أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد المناوي أصلاً ،  
الورنيدي مولداً ، عُرف بابن الحاج المتوفى قريباً من ٩٣٠ ( دفن مع أبيه  
في بني إسماعيل من جبل بيدر ) ، وأحمد بن عيسى الورنيدي يعرف بأبركان ،  
وأحمد أبو العباس حفيد الشيخ محمد بن مرزوق المولود أول محرم سنة ٨٨١  
( أخذ ببلده عن ابني الإمام زيد وأبي موسى ) ، وأحمد ابن موسى الأريسي ،  
تلميذ أحمد بن الحاج ( توفي بعد ٩٥٠ ) ، وأحمد بن صالح بن إبراهيم ( الذي  
ثقفه السلطان أبو يعقوب المريني ) ، وأحمد القيسي ( من أكابر علماء تلمسان ) ،  
وأحمد بن الحسن الغماري المتوفى ثاني عشر شوال سنة ٨٧٤ ( دفن بخلوة  
من شرق الجامع الأعظم منها ) ، وأخذ عليه سيدي أحمد زروق ، وأحمد  
ابن محمد بن زكري ، وأحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي  
التلمساني المتوفى يوم الخميس وقت العصر رابع عشر ربيع الأول عام ٨٤٥ ،  
وعمره نحو ٦٣ سنة ، فمولده على هذا سنة ٧٨٢ ( أخذ عن أبي عثمان سعيد  
العقباني وعن أبي يحيى الشريف ) ، وأحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأستاذ  
التلمساني الندرومي ( كان حياً بعد ٨٣٠ ) ، وأحمد بن أبي يحيى بن محمد  
الشريف التلمساني ( أخذ عن الإمام الحفيد ابن مرزوق ) ، وأحمد بن محمد بن  
يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي يُكنى أبا العباس ( توفي بتلمسان سنة ٨٦٨ ) ،  
وأحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي شهر بزروق ( ولد يوم  
الخميس عند طلوع الشمس الثامن والعشرين من المحرم سنة ٨٤٦ ، وتوفي  
بتكران موضع من طرابلس في صفر عام ٨٩٩ ) ، وأحمد بن قاسم بن سعيد  
العقباني قاضي تلمسان ( توفي بتلمسان سنة ٨٤٠ ) . وأحمد بن محمد المصمودي  
التاجوري التلمساني ( روى بالمدينة على الجمال الكازروني ، وأخذ عن أبي  
عبد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني ) ، وأحمد بن عيسى البطوي  
التلمساني ( كان حياً سنة ٨٤٣ ) ، وأحمد بن العباس الشهير بالمریض ( أحد

تلامذة ابن عرفة ) ، وأحمد بن محمد بن مرزوق ( مات مقبوضاً ، أخذ عن والده الشيخ العالم محمد بن مرزوق الكفيف ) ، وأحمد بن محمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن جيدة ( توفي سنة ٩٥١ أخذ عن الإمام السنوسي ، وعن أحمد المنجور ) ، وأحمد بن يحيى بن عبد الواحد بن علي الونشريسي ( توفي سنة ٩١٤ ، وكان عمره نحو ٨٠ سنة ) أخذ عن أبي الفضل قاسم العقباني وغيره ، وأحمد بن إبراهيم الوجديجي ( توفي بعد دخول النصارى تلمسان ) كان يُدرّس العلم بالجامع الكبير ، وأحمد بن حاتم السطي ( مولده في جمادى الثانية سنة ٨٥١ ) أخذ بتلمسان عن جماعة ، وأحمد بن منصور صاحب الصلاة الخزرجي التلمساني ، وإبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني ( ولد آخر ليلة من جمادى الآخرة بتلمسان سنة ٩٠٩ وتوفي بعد ٩٦٠ ) ، وإبراهيم الغوث أبو إسحاق الطيّار ( توفي قبل كمال ٧٠٠ وقبره مزار بالعباد ) ، وإبراهيم بن علي الخياط ( قبره معروف بتلمسان ) ، وإبراهيم ابن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني ( توفي سنة ٨٨٠ ) أخذ عن والده وغيره من علماء تلمسان ، وإبراهيم بن محمد بن علي اللتي التازي نزيل وهران ( توفي يوم الأحد تاسع شعبان سنة ٨٦٦ ) أخذ بمكة والمدينة وتونس ، وإبراهيم الوجديجي التلمساني ( كان شاعراً ماهراً له مولديات في مدح النبي ﷺ ) ، وإبراهيم بن محمد المصمودي ( توفي سنة ٨٠٤ ودفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان ) ، وإبراهيم بن محمد بن يحيى الإدريسي التلمساني ( قاضي عدل من قضاة الدين ) ، وإبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التونسي المظماطي ( توفي بتونس ) ، وأبو عبد الله الشوزي المعروف بالحلوي الإشبيلي ( مات رحمه الله بتلمسان وقبره خارج باب علي ) له مناقب كثيرة لا تحصى ، وأبو العلاء المديوني ( توفي رحمه الله في جمادى الأولى عام ٧٣٥ ) وقبره بالعباد الفوقي ، وأبو عبد الله الشامي أصلاً التلمساني مسكناً

وداراً ( أخذ عنه محمد بن عبد الرحمن السويري وغيره ) ، وبلال الحبشي ( قبره بالعبادي مزار ) ، وبلقاسم بن محمد الزواوي الشريف ( توفي في صفر سنة ٩٢٢ ) ، وأبو سعيد الشريف الحسني ( دفن شرق باب القرماد ) ، وأبو جمعة الكواش المطغري ( مدفون مع سيدي الحاج ابن عامر في باب كشوط ) ، وجعفر الفقيه يُعرف بالذهبي ( من فقهاء تلمسان وأعيانها ، وجعفر ابن يحيى الأندلسي ( قرأ عليه <sup>(١)</sup> القلصادي ) ولازمه إلى أن سافر ، والحسن ابن مخلوف بن مسعود بن سعد بن سعيد المزيلي الراشدي ( أخذ عن الإمام إبراهيم المصمودي والإمام ابن مرزوق الحفيد والسنوسي ) ، وحمزة بن المغراوي ( وقيل المديوني نسباً الورنيدي مولداً وداراً ) أجداده كلهم علماء وأولياء ، وحمد بن الحاج بن سعيد المنوي ( توفي يوم الأربعاء عام ٩٩٨ ، ودفن في روضة سيدي أحمد بن الحاج ) أخذ عن والده وغيره ، وحدادة بن محمد بن الحاج البيدري ( توفي في البحر حاجاً ودفن في جربة عام ١٠٠٨ ) أخذ عن الشيخ علي بن يحيى وغيره ، وداود بن سليمان بن حسن ( ولد سنة ٨٥٢ ومات في ربيع الأول سنة ٨٦٣ ، وزيان العطافي ( أخذ عن الأستاذ محمد بن محمد بن مجبر وغيره ) ، وزيان بن أحمد بن يوسف الجيزي ( دفن بروضة بمصر ) ، وسعيد البجاوي أصلاً التلمساني ( من أكابر الأولياء ) ، وسعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش ( مفتي تلمسان وخطيبها بالجامع الأعظم خمساً وأربعين سنة ) ، وسليمان بن الحسين البوزيدي أبو الربيع ( توفي عام ٨٤٥ ) ، وسعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني ( ولد بتلمسان سنة ٧٢٠ وتوفي سنة ٨١١ ) أخذ عن أبي عبد الله الإيلي وغيره ، وسليمان المدعو خدموم الشريف ( نسبه من بني عد ) ، وشعيب بن أحمد بن جعفر بن شعيب أبو مدين ( ولد في شعبان سنة ٧٢٧ ، وكانت وفاته سنة ٧٧٥ )

(١) أو قرأ هو على القلصادي .

أخذ عن ابن عبد السلام وغيره ، وشقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي ( توفي سنة ٩٦٩ ) أخذ عن الإمام أبي عبد الله محمد بن غازي ، وصالح بن محمد بن موسى بن محمد بن الشيخ بن محيي الدين الحسيني الزواوي ( ولد ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة ٨٣٩ ) ، وطاهر بن زيان الزواوي ( توفي بعد ٩٤٠ ) ، أخذ عن الإمام أحمد زروق ، وعبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسيني التلمساني ( ولد سنة ٧٤٨ ، وتوفي غريقاً في البحر حين كان راجعاً من مالقة إلى تلمسان بلده في صفر سنة ٧٩٢ ) ، أخذ عنه القاضي أبو بكر بن عاصم وغيره ، وعبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم المجاصي ( قبره بعين وانزوته من باب الجياد ) أخذ عنه الخطيب ابن الجلد ، وعبد الله بن محمد التلمساني الشريف المدعو حم ( توفي سنة ٨٦٨ ) ، وعبد السلام التونسي ( دفن سيدي أبي مدين ) ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام ( توفي سنة ٧٣٤ ) ، وعبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني المشهور بابن يحيى ( ولد ليلة تاسع عشر رمضان المعظم سنة ٧٥٧ ، وتوفي عند الفجر ليلة السادس أو يوم السادس والعشرين من رجب عام ٨٢٦ ) وأخذ عنه جماعة ، وعبد الرحمن بن محمد بن موسى ( ولد في حدود ٩٦٩ ، وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ١٠١١ ، ودفن في روضة سيدي إبراهيم المصمودي ) أخذ على الشيخ سيدي علي بن يحيى السلكسيني ، وعبد الله بن منصور الحوتي بن عيسى بن عثمان المفاوري ( كان معاصراً لسيدي أحمد بن الحسن الغماري ) ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي ( شيخه سيدي أحمد بن الحاج البيدري داراً المناوي أصلاً ) ، وعلي بن محمد التالولي الأنصاري ( توفي في صفر سنة ٨٩٥ ) أقرأ أخاه محمد السنوسي في صغره « الرسالة » ، وعلي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي ( آخر من ألف التأليف الكثيرة من أئمة الأندلس ) ، وعلي بن

محمد بن منصور الغماري الصنهاجي التلمساني الشهير بالأشهب ( توفي بفاس يوم الجمعة خامس رمضان سنة ٧٩١ ) ، وعلي بن عبد النور من أكابر العلماء التلمسانيين ( مات بمكة المشرفة رحمه الله ) ، وعلي بن السيد الشريف أبي يعقوب يوسف بن يحيى ( توفي بتلمسان رحمه الله ) ، وعلي بن منصور ابن علي بن عبد الله الزواوي ( لا يخفى على أحد في زمانه وعصره ) ، وعلي بن يحيى السلكسني ( توفي يوم اثنين وعشرين من رجب سنة ٩٧٦ ) أخذ عن الشيخ علي أحمد بن ملوكه الندرومي وغيره . وعلي بن رحو الزكوطي ( توفي في حدود ٩٥٠ ) أخذ عن سيدي أحمد بن الحاج ، وقاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني ( توفي في ذي القعدة سنة ٨٥٤ ) أخذ عن والده الإمام أبي عثمان ، وقاسم بن عيسى بن ناجي ( توفي سنة ٨٣٧ ) أخذ بالقيروان عن أبي محمد الشيباني وابن عرفة وعن كثير ، وأبو القاسم بن أحمد بن المعتد البلوي ( وفاته بتونس سنة ٨٤٤ ) ، وأبو القاسم الكنباشي التلمساني ( أخذ عن الإمام السنوسي ) ، وابن المكروب ( له مختصر يسمى « الكافي » ) ، وكريم الدين البرموني الحصري ( كان حياً بمكة سنة ٩٩٨ ) أخذ عنه الناصر اللقاني ، ومحمد ابن يحيى بن علي بن النجاري التلمساني ( نادرة الأعصار ) ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني الشهير بالمقرئ ( أخذ عنه جماعة كالإمام الشطي وابن الخطيب السلماني وابن خلدون وغيرهم ) ، ومحمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القاسم بن حماد بن علي بن عبد الله بن ميمون بن عمر بن إدريس بن إدريس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ( ووجد بخطه الشريف الحسيني التلمساني ) ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الخطيب الجدد شمس الدين ( مولده بتلمسان عام ٧١٠ ) ، ومحمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي ( توفي سنة ٨٠٣ ) ، ومحمد أبو عبد الله القاضي التلمساني المدعو حم ( توفي سنة ٨٣٣ ) أخذ عنه

أبو زكرياء المازوني ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد التلمساني ( مولده ليلة الاثنين رابع عشر ربيع الأول سنة ٧٦٦ ، وتوفي يوم الخميس رابع عشر شعبان سنة ٨٧٢ ، ودفن يوم الجمعة بالجامع الأعظم من تلمسان رحمه الله تعالى ) ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الشهير بالإبلي ( وفاته سنة ٦٨١ ) ، ومحمد بن أحمد بن أبي يحيى التلمساني الشهير بالحباك ( توفي كما قال الونشريسي سنة ٨٦٧ ) ، ومحمد ابن الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان ( توفي سنة ٨٦٨ ) ، ومحمد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبي الفضل التلمساني ( توفي سنة ٨٤٥ ) ، ومحمد ابن النجار التلمساني ( توفي عام ٨٤٦ ) ، ومحمد ابن عبد الله الشريف التلمساني ( توفي سنة ٨٤٧ ودفن بباب الجياد ) ، ومحمد ابن يوسف التلمساني عرف بالثغري ( أخذ عن الإمام الشريف التلمساني ) ، ومحمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بآبن العباس التلمساني ( توفي بالطاعون سنة ٨٧١ ودفن بالعباد ) ، ومحمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني ( توفي في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٧١ ) أخذ عن جده قاسم ، ومحمد بن عيسى من سكان أجادير ( قبره بباب العقبة ) حج خمسة وعشرين حجة ، ومحمد بن عمر بن خمسين ( شاعر المثة السابعة مات قتيلاً بغرناطة ) ، ومحمد بن منصور علي بن هدية القرشي ( من ولد عقبة بن نافع الفهري ) ولي قضاء بلده ومات بها ، ومحمد بن عبد الحق بن ياسين ( قبره عند باب زير داخل البلد ) ، ومحمد بن عبد الله ( توفي ببجاية رحمه الله أميراً عليها ٧٥٠ ) وسيقت جنازته إلى تلمسان ، فدفن فيها في الزاوية الكائنة بطريق العباد ، ومحمد بن عمر الهواري ( توفي بوهران سنة ٨٤٣ ) أخذ بفاس عن موسى العبدوسي وبجاية عن أحمد بن إدريس وغيره ، ومحمد ابن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني ( توفي سنة ٨٧٥ ) ، ونقل

عنه المازوني والونشريسي ، ومحمد بن قاسم بن تومرت التلمساني ( قال تلميذه السنوسي ما رأيته قط . نظر في كتاب إلا مرة واحدة ) ، ومحمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي ( توفي في يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأخير سنة ٨٩٥ ) ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني الشهير بالكفيف ( مولده يوم الثلاثاء غدوة ذي القعدة سنة ٨٢٤ وكانت وفاته سنة ٩٠١ ) ، ومحمد بن أحمد بن أبي الفضل ابن سعيد بن سعد وبه شهر التلمساني ( توفي بالديار المصرية في رجب سنة ٩٠١ ) ، ومحمد بن عبد الرحمن التلمساني ( وفاته في ذي القعدة سنة ٩١٠ ) ، ومحمد ابن أبي العيش الخزرجي التلمساني ( توفي في صفر سنة ٩١١ ) ، ومحمد بن عبد الكريم بن عمر المغيلي التلمساني ( توفي بتوات سنة ٩٠٩ ) ، ومحمد بن أبي البركات النابلي التلمساني أحد المشهورين بها ( له نظم حسن ) ، ومحمد بن ابن أبي مدين التلمساني ( توفي في جمادى الآخرة سنة ٩١٥ ) وهو تلميذ الشيخ السنوسي ، ومحمد بن محمد بن العباس التلمساني الشهير بأبي عبد الله ( كان حياً في حدود ٩٢٠ ) أخذ عن علماء تلمسان ، ومحمد بن موسى الوجديحي التجيبي ( فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها ) أخذ عن مفتي تلمسان سيدي محمد ابن عيسى وغيره ، ومحمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني ( توفي في ثامن رمضان سنة ٩٨١ ومولده سنة ٨٠٨ ) ، ومحمد بن شقرون ابن هبة الوجديحي التجيبي التلمساني ( كان فقيهاً علامة ) ، ومحمد بن يحيى المديوني المدعو أبو السادات ( توفي بعد ٩٥٠ ) ودفن عند ضريح سيدي محمد ابن يوسف السنوسي ) ، ومحمد بن عبد الرحمن الوهراني التلمساني ( يدرس « الرسالة » بالجامع الأعظم بتلمسان ) ، ومحمد بن العباس الصغير ( توفي يوم الجمعة سنة ١٠١١ ) ، ومحمد بن عمر بن الفتوح التلمساني ( وصفه ابن غازي في كتابه بالشيخ الفقيه الصالح الزاهد ولي الله ) ، ومحمد بن محمد بن موسى

الوجديجي المدعو بالصغير ( توفي في الوباء سنة ٩٨١ ) ، ومحمد بن محمد بن يحيى السنوسي عرف بالوجديجي ( أخذ عن مفتي تلمسان وعالمها محمد بن موسى الصغير ، وعن والده محمد بن يحيى السنوسي ) ، ومحمد بن أحمد ابن محمد الشريف الملقبي ( توفي رحمه الله وغفر له صبيحة يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة ٩٨٥ ) ، ومحمد المعروف القلعي ( من أكابر تلامذة الإمام محمد بن يوسف السنوسي ) ، ومحمد بن محمد بن عيسى البطوي نسباً التلمساني داراً ( توفي في المدينة ودفن في البقيع ) ، ومحمد بن عياد الكبير العمراني الراشدي الشريف ( توفي سنة ٩٦٤ في الوباء ) ، ومحمد بن يحيى ابن موسى المغراوي التلمساني ( ثم الراشدي داراً ) ، ومحمد بن أحمد بن داود العطايفي التلمساني ( أخذ عن محمد بن عبد الرحمن الكفيف السوبري وغيره ) ، ومحمد بن عبد الله المديوني من جبل مديونة ( مات بعد ٩٦٠ ) ، ومحمد بن عبو الورنيدي السلاوي ( توفي بعد ٩٦٠ ) أخذ عن أحمد أبركان وغيره ، ومحمد بن محمد بن الشرقي ( توفي سنة ٩٦٤ ) أخذ عن محمد بن موسى الوجديجي وغيره ، ومحمد بن زايد الجادري التلمساني ( توفي في حدود حدود ٩٥٠ ) ، ومحمد بن عزوز الديلمي ( توفي بمدينة فاس ) أخذ عن محمد ابن موسى الوجديجي . ومحمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري ( مات سنة ٨٩٤ ) ، ومحمد أبو عبد الله بن الحاج بن سعيد المناوي أصلاً الورنيدي مولداً وداراً ( توفي سنة ١٠٠٩ ) ، ومحمد بن محمد بن الحاج المكني بامزيان ( توفي سنة ٩٦٤ في الوباء ) ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن عرف بابن الرحمة ( توفي ضحى يوم الثلاثاء الأحد وعشرين من شوال سنة ١٠٠١ ) ، ومحمد بن أحمد الكتاني المعروف بوربوع ( توفي بعد ٩٨٠ ) ، ومحمد بن محمد بن يحيى بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني ( توفي في الوباء سنة ٩٨١ ) أخذ الفقه عن والده ، ومحمد بن عاشور بن علي بن يحيى السلكسيني الجادري التلمساني

(توفي سنة ١٠١٤) ، ومحمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الحجازي (توفي سنة ٩٥٠) ، ومحمد بن عبد الرحمن الكفيف السويدي (توفي سنة ٩٤٥) ، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأدغم السويدي (توفي في حدود ٩٨٠) . ومحمد بن علي رحو الزكوطي (توفي في حدود ٩٩٠) . ومنصور بن علي بن عبد الله الزواوي أبو علي نزيل تلمسان (وكان حياً في حدود ٧٧٠) ، وميمون بن جبارة التلمساني ( مات ودفن بتلمسان ) ، وموسى النجار من أكابر العلماء والصالحين ومن فقهاء تلمسان المحدثين في عصره ، وموسى المَشْدَّالي من أكابر العلماء والصالحين ( مشهور في جميع البلاد ) ، ومحمد بن يوسف الزواوي من أكابر العلماء والأولياء بتلمسان ، ومحمد بن ... التهامي ( تقضى بتونس وسكن تلمسان ومات فيها ) ، ومحمد بن بلال ( في بلاد تاسلا مات بها وقبره مزار ) ، ويوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي أبو الفضل ( توفي بقلعة حماد في المحرم سنة ٥٠٣ عن ٨٠ سنة ) .

### مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ التَّنْسِي « نيل الابتهاج »

الفقيه الجليل الحافظ الأديب المطلع من أكابر علمائها الجلَّة .

أخذ عن الأئمة أبي الفضل ابن مرزوق ، وقاسم العقباني ، وابن الإمام ، والإمام الأصولي محمد النجاري ، والولي إبراهيم التازي ، والإمام ابن العباس وغيرهم ، واشتهر علمه حتى لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال : العلم مع التنسي ، والصلاح مع السنوسي ، والرياسة مع ابن زكري والله أعلم بصحته . ووصفه ابن داود المذكور في ما رأيته بخطه : بشيخنا بقية الحفاظ ، قدوة الأدباء

العالم الجليل ابن الإمام العلامة أبي محمد اهـ .

وله تأليف منها «نظم الدرر والعقيان في دولة آل زيان» و «تأليف في الضبط» و «راح الأرواح» ، وسمعت له تعليقا على فرعي ابن الحاجب ، وجواب مطول عن مسألة يهود توات (١) أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق ، وأثنى عليه عصره الإمام السنوسي غاية ، فمما قال : لقد وفق لإجابة المقصد ، وبذل وسعه في تحقيق الحق ، وشفى غليل أهل الإيمان في المسألة ، ولم يبال لقوة إيمانه ونصوع إيقانه بما يشير إليه الوهم الشيطاني ، الشيخ الإمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبو عبد الله التنسي جزاه الله خيراً ، قد أمد لإبانة الحق ، ونشر أعلامه النفس ، وحقق نقلاً وفهماً ، وبالغ فأبدى من نور إيمانه الماحي ظلمة الكفر أعظم قبس اهـ ملخصاً .

أخذ عنه جماعة كالعلامة أبي عبد الله بن سعد ، والخطيب ابن مرزوق السبط ، وابن العباس الصغير قال : لازمت مجلس الفقيه العلم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام ، وحضرت إقراءه تفسيراً وحديثاً وفقهاً وعربية وغيرها . اهـ ، وعن الشيخ أبي القاسم الزواوي وعبد الله بن جلال ، وغيرهم . قال الونشريسي في «وفياته» : توفي الفقيه الحافظ التاريخي الأديب الشاعر أبو عبد الله التنسي في جمادى الأولى سنة ٨٩٩ هـ ، ونقل عنه في «المعيار» عدة من فتاويه .

---

(١) هي مسألة كبرى تضاربت لأجلها أفكار الأبطال ، وتصادمت فيها أنظار الفحول ، وكل ما قبل في حكمها سؤالاً وجواباً مسطور في «معيار الونشريسي» ، وكانت العاقبة على اليهود ثم على سيدي عبد الكريم المغيلي المترجم في هذا القسم .

## مُحمَّدُ بنُ عبدِ الكريمِ الفكون

« جذوة الاقباس <sup>(١)</sup> »

الشيخ الفقيه المشارك العلامة الفهامة سيدي محمد ابن العلامة الفهامة الناسك الخاشع ، الجامع بين علمي الظاهر والباطن ، سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون ، هكذا وصفه أبو سالم في « رحلته » ثم قال فيه : ومن لقيته بطرابلس الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن رضي الله عنه ونفعنا به قدمها حاجاً ، وهو أمير ركب الجزائر وقسنطينة وتلك النواحي ، على نهج أبيه وعادته محافظاً على سلوك سيرة والده من التؤدة والحلم والوقار ، فأحبته القلوب ومالت إليه النفوس ، ولم يطلع أميراً إلا في هذه السنة ، وقبل ذلك إنما كان يطلع بالركب والده رضي الله عنه ، فلما توفي قام ولده هذا مقامه أعانه الله وسدده ، وكانت وفاته رضي الله عنه عشية الخميس ٢٤ ذي الحجة سنة ١٠٧٣ شهيداً بالطاعون ، وكانت لنا به رضي الله عنه وصلة وانتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح ، لما حججنا معه في سنة ٦٤ ، وقال رضي الله عنه لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك أهل خدمته : إني أقول لك كما قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه : لك من الناس الحرمة ، وعليك ما علينا من الرحمة ، وكان رضي الله عنه في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ، ومجانبة علوم أهل الرسوم بعد ما كان إماماً يقتدى به فيها ، وله فيها تأليف كثيرة ، شهد له فيها بالتقدم أهل عصره ، وألقى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب ، والتردد إلى الحرمين الشريفين مع كبر السن ، وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قرأناها لله وتركناها لله ، وقنعت منه رضي الله عنه بالكلمة التي قالها لي لما علمت حاله

(١) في الأصل بقلم الرصاص ما نصه : بل من نشر المثاني .

وخشيت أن أثقل عليه وأكلفه بما لا تطيب به نفسه ، فإنه رضي الله عنه من أهل القلوب .

ومروياته رضي الله عنه مستوفاة في « فهرسة » شيخنا أبي مهدي عيسى الثعالبي فنحن نروي عنه جميعها بواسطة ، فلما لقيت ولده هذا تقرّبت له ، وانتسبت إليه بمعرفة والده ، فوجدت عنده بعض علم بي ، وقال لي : أنت الذي وصل إلى الوالد كتابك المبعوث من وادي أم ربيع قبل موته بسنة ؟ فقلت : نعم ، ورحب بي وبشّ وهشّ وأنس ، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده ، بعضها بخطه رضي الله عنه ، فأعارها لي مدة إقامته هناك ، ولم تطل إقامته فمنها « شرحه على أرجوزة المكودي » في التصريف ، وهو مجلد أجاد فيه غاية الإجابة ، وأحسن كل الإحسان ، وأعطى النقل والبحث فيه حقهما ، ولم يهمل شيئاً مما يقتضيه لفظ المشروح ومعناه إلا تكلم عليه وأجاد كما هو شأنه ، وأول خطبته : الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال ، وأوضح بيان افتقارها إليه بتغير حالاتها من حركة وصحة وإعلال ونوع وإشكال ، وعين وجودها إلى ضمّ النظام إليه وكسر الانكسار لديه ، وفتح الانفتاح في مشاهدة العظمة والجلال اه .

ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه هذا المطلع من براعة الافتتاح ، ولطيف الإشارة إلى أنواع الإعراب والتصريف ، وقد فرغ من تأليفه أوائل صفر عام ١٠٤٨ ، وشرح صاحب الترجمة هذا أوسع نقلاً وأكثر بحثاً وأتم تحريراً من شرح العلامة سيدي محمد المراتب الدلائي ، ولا أدري أيهما سبق إلى شرحه ، ومن تأليفه « ديوان في مدح النبي ﷺ » وجزء في تحريم الدخان سماه « محدد السنن في نحور إخوان الدخان » ، وهو في عدة كراريس مشتمل على أجوبة عدة من الأئمة ، ثم قال في « الرحلة » المذكورة : وقد كثّر خوض المتأخرين من علماء هذا القرن في أمر هذا الدخان بين مبيح ومحرم ، والأكثر على التحريم ، منهم علامة زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني ، وشيخنا المحقق

الشيخ سالم السهوري ، ومن ألف في إباحته الشيخ أبو الحسن الأجهوري ،  
انظر تمامه فقد أطل في الرد على من أباحه وأجاد .

قلت : والشيخ علي الأجهوري رجع عن تأليفه المذكور في إباحة الدخان  
إلى تحريره ، حدثنا شيخنا العلامة الثب الضابط الحجّة سيدي محمد المدعو  
الكبير بن محمد السرغيني العنبري ، عن الشيخ العالم الضابط الثب الحجّة  
سيدي أبي بكر ابن محمد الدلائي ، عن الشيخ محمد التركي أحد كبار  
تلامذة الشيخ الأجهوري المذكور أن الشيخ الأجهوري المذكور رجع عن  
القول بحلية « طابة » إلى القول بتحريمها . حدثنا بذلك شيخنا السرغيني المذكور ،  
وحدثنا شيخنا المذكور ، عن شيخه السيد الخير الثقة سيدي العافية عن أخيه  
العلامة الأنور العالم المحقق الأشهر سيدي محمد بن عبد الرحمن الصومعي  
التادلي أنه لما حج ودخل مصر ، لقي بها الشيخ محمد الخرشي شارح « مختصر  
خليل » ، وسُئل بحضرته عن « طابة » فقال للسائل : دعنا من الخبائث .  
حدثنا بذلك شيخنا بالسّندين المذكورين إلى الشيخين المذكورين مراراً وأذن  
لنا في التحديث عنه بذلك ، وقد وقع خبط كثير من ظهور هذه العشة إلى  
الآن . ولم يزل الخلاف في ذلك بين المتأخرين ، ولم يقع كلام فيها في القديم  
لحديث ظهورها ، والذي ندين الله به هو المنع ، وكفى دليلاً لمنعها كونها  
تغيّب الحواس ، سألنا عن ذلك حتى تحقّقناه ممن نراه يتعاطاها ، والشيخ  
العافية وأخوه الشيخ محمد المذكوران في السند كلاهما من أعيان العلماء لمن  
تحقق ضبطه وثقته اهـ .

وفي « الصفة » : محمد بن عبد الكريم البكّون بفتح الباء<sup>(١)</sup> وضم  
الكاف المشددة القسطنطيني من العلماء المتتبعين بعلمهم ، حصل طرفاً من الفنون  
ودرس فيها مرة ، ثم ألقى الله في قلبه تركها ، والعكوف على حضرته بالقلب ،

(١) لعل الناسخ قطع رأس الفاء فصارت باء .

وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قرأناها لله وتركناها لله . وكان رحمه الله في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ، وله تأليف منها : « شرح نظم الشيخ المكودي » في علم التصريف ، وهو في غاية الانتقان معنى وإعراباً ، وأول خطبته : الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال ، وأوضح بيان افتقارها إليه بتغيير حالاتها من حركة وصحة واعتلال ونوع إشكال ، عيّن وجودها إلى ضم الانظام إليه ، وكسر الانكسار لديه ، وفتح الانفتاح في مشاهدة العظمة والجلال ، ولا يخفى عليك حُسن هذا المطلع ، ولطف منزعه ، وله أيضاً « محدد السنان في نحور إخوان الدخان » كراريس اشتمل على أدلة عقلية ونقلية على الجزم بتحريمه ، وقال منها : إن الدخان تنفر منه طبائع الحيوان البهيمي كالنحل ، فكيف بأعقل الحيوانات ، قال : وقد ورد علينا جراد عام أربع وخمسين سد الآفاق كثرة ، وكسا السهل والجبال حتى كان قنطرة على الوادي يعبر الناس عليها ، وتغير منه ماء الوادي ما يزيد على شهر ، وصار كالقطران ففقو الماء وعلا ، ولم يندفع إلا بالدخان ، وله « شرح على شواهد الشريف على » الآجرومية » والترم عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب له ، و« شرح الجمل للمجرادي » وكتاب في « حوادث فقراء الوقت » وغير ذلك ، وقد ذكره في « نفح الطيب » واثنى عليه ، أخذ عن والده عن سيدي عمار الوزان القسنطيني ، وتوفي عام ثلاث وسبعين وألف اه .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ

المغيلي التلمساني التواني

« نيل الابتهاج »

خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني ، أحد الأذكياء ، ممن له بسطة في الفهم والتقدم ، متمكن المحبة في السنة وبغض أعدائها ، وقع له بسبب ذلك أمور مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات ، وألزمهم الذل بل قَلَّتْهُمْ <sup>(١)</sup> وهدم كنائسهم ، ونازعه في ذلك الفقيه عبد الله العصفوني قاضي توات ، وراسله في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان ، فكتب في ذلك الحافظ التنسي كتابة مطولة كما تقدم بصواب رأي صاحب الترجمة ، ووافقه عليه الإمام السنوسي ، فمما كتب السنوسي له : من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية ، والغيرة الإسلامية ، وعمارة القلب بالإيمان ، السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته ، وبارك في دينه ودنياه ، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه ، بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود أذلم الله كنيسة في بلاد الإسلام ، وحرصكم على هدمها ، وتوقف أهل تنظيطة فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء ، فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه ، فلم أر من وُفِّق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة ، ولم يلتفت لقوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني

(١) اهلكهم .

من مدهانة من يتقي شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق علم  
الأعلام أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي ، أمتع الله به إلى آخر كلامه  
المتقدم بعضه ، ومن أجاب في المسألة الرصاع مفتي تونس ، وأبو مهدي  
المالوسي مفتي فاس ، وابن زكري مفتي تلمسان ، والقاضي أبو زكريا يحيى  
ابن أبي البركات الغماري ، وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان ، وحين وصل  
جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات ، أمر صاحب الترجمة جماعته  
فلبسوا آلات الحرب ، وقصدوا كنائسهم وأمرهم بقتل من عارضهم دونها  
فهدموها ، ولم يتناطح فيها عتران ، ثم قال لهم : من قتل يهودياً فله علي سبع  
مناقيل ، وجرى في ذلك أمور فنظم في تلك القضية قصائد في مدح النبي ﷺ  
وذم اليهود ومن ينصر اليهود ، ثم دخل بلاد أهر ، ودخل بلاد تكده ،  
 واجتمع بصاحبها ، وأقرأ أهلها وانتفعوا به ، ثم دخل بلاد كنو وكشن من  
بلاد السودان ، واجتمع بصاحب كنو ، واستفاد عليه ، وكتب رسالة في أمور  
السلطنة يحضه على اتباع الشرع ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وقرر  
لهم أحكام الشرع وقواعده ، ثم رحل لبلاد التكرور ، فوصل إلى بلدة كاغو ،  
 واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج ، وجرى على طريقته من الأمر  
بالمعروف وألف له تأليفاً أجابه فيه عن مسائل ، وبلغه هناك قتل ولده بتوات  
من جهة اليهود ، فانزعج لذلك وطلب من السلطان قبض أهل توات الذين  
بكأغو حينئذ ، فقبض عليهم وأنكر عليه ذلك سيدنا أبو المحاسن محمود بن  
عمر إذ لم يفعلوا شيئاً ، فرجع عن ذلك وأمر بإطلاقهم ، ورحل لتوات  
فأدركته المنية بها ، فتوفي هناك سنة تسع وتسع مئة (٩٠٩) ، ويقال : إن بعض  
ملاعين اليهود أو غيرهم مشى لقبره فبال عليه ، فعصي مكانه ، وكان رحمه  
الله مقداماً على الأمور جسوراً جري القلب ، فصيح اللسان ، محباً في السنة ،  
جدلياً نظاراً محققاً .

له تأليف منها : « البدر المنير في علوم التفسير » و « مصباح الأرواح في أصول الفلاح » كتاب عجيب في كراسين أرسله للسوسي وابن غازي فقرظاه ، وشرح « مختصر خليل » مزجاً سماه « مغني النبل » اختصر فيه جداً ، وصل فيه : القسم بين الزوجات ، وله عليه قطع آخر من البيوعات وغيرها ، بل قيل : إنه شرح ثلاثة أرباع المختصر ، وحاشية سماها « إكليل المغني » وقفت منها إلى التيمم ، و « شرح بيوع الآجال » من ابن الحاجب فبحث فيه مع ابن عبد السلام و خليل ، وتأليف في « المنهات » ومختصر « تلخيص المفتاح » و شرحه و « مفتاح النظر » في علم الحديث ، فيه أبحاث مع النووي في تقريره ، و « شرح الجمل » في المنطق ، ومقدمة فيه ، ومنظومة فيه سماها « فتح الوهاب » و « ثلاثة شروح عليها » وقد شرحها والذي بشرح حسن ، استوفى فيه ، وله أيضاً « تنبيه الغافلين عن مكر المبلسين بدعوى مقامات العارفين » و « شرح خطبة المختصر » و « مقدمة في العربية » وكتاب « الفتح المبين » و « فهرسة مروياته » وعدة قصائد كالميمية على وزن البردة ، وروياها في مدحه صلى الله عليه وسلم .

أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي ، والشيخ يحيى بن يدير ، وغيرهما . وأخذ عنه جماعة كالفقيه أيد أحمد ، والشيخ العاقب الانصمي ، ومحمد بن عبد الجبار الفعيجي ، وغيرهم ، ووقع له مراسلة مع الجلال السيوطي في علم المنطق ، فمما كتب للسيوطي فيه قوله :

سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ \* وَكُلُّ حَدِيثٍ حَكْمُهُ حَكْمُ أَصْلِهِ  
أَيُمْكِنُ أَنْ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ \* وَيُنْهَى عَنِ الْفِرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ  
هَلِ الْمَنْطِقُ الْمَعْنَى إِلَّا عِبَارَةٌ \* عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقِهِ حِينَ جَهْلِهِ  
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَهَلْ تَرَى \* دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يُرَدُّ لِشَكْلِهِ  
أُرِيْنِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْهُ قَضِيَّةٌ \* عَلَى غَيْرِ هَذَا تَنْفِيهَا عَنْ مَحَلِّهِ

وَدَعَّ عَنْكَ اِبْدَاهُ كُفُورٍ وَذَمُّهُ \* رَجَالٌ وَإِنْ أَثْبَتَ صِحَّةَ نَقْلِهِ  
 خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كُفُورٍ وَلَا تَقُمْ \* دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ  
 عَرَفْنَاهُمْ بِالْحَقِّ لَا الْعَكْسَ فَاسْتَبِينَ \* بِهِ لَا بِهِمْ إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجْلِهِ  
 لَئِنْ صَحَّ عَنْهُمْ مَا ذَكَرْتَ فَكَمْ هُمْ \* وَكَمْ عَالَمٌ بِالْشَّرْعِ بَاحٌ بِفَضْلِهِ  
 فِي آيَاتِ تَرْكِهَا ، فَأَجَابَهُ السَّيُوطِيُّ بِقَوْلِهِ :

حَمَدْتُ إِلَاهَ الْعَرْشِ شُكْرًا لِفَضْلِهِ \* وَأَهْدَى صَلَاةً لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِهِ  
 عَجِبْتُ لِنَظْمٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ \* أَنَانِي عَنْ حَبْرٍ أَقْرَأَ بِنَبْلِهِ  
 تَعَجَّبَ مِنِّي حِينَ أَلْفَتْ مُبْدِعًا \* كِتَابًا جُمُوعًا فِيهِ جَمٌّ بِنَقْلِهِ  
 أَقَرَّرُ فِيهِ النَّهْيَ عَنْ عِلْمٍ مَنَظِقٍ \* وَمَا قَالَهُ الْأَعْلَامُ مِنْ ذَمِّ شَكْلِهِ  
 وَسَمَّاهُ بِالْفَرْقَانِ يَا لَيْتَ لَمْ يَقْلُ \* فَذَا وَصَفُ قُرْآنِ كَرِيمٍ لِفَضْلِهِ  
 وَقَالَ بِهِ فِيمَا يَقَرُّرُ رَأْيُهُ \* مَقَالًا عَجِيبًا نَائِيًا عَنْ مُحَلِّهِ  
 وَدَعَّ عَنْكَ اِبْدَاهُ كُفُورٍ وَبَعْدَ ذَا \* خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كُفُورٍ بِخَتْلِهِ  
 وَقَدْ جَاءَتْ الْآثَارُ فِي ذَمِّ مَنْ حَوَى \* عُلُومَ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى لِأَجْلِهِ  
 يُعَزِّزُ بِهِ عُلَمَاءُ لَدَيْهِ وَإِنِّي \* يَعْذِبُ تَعْذِيبًا يَلِيقُ بِفَعْلِهِ  
 وَقَدْ مَنَعَ الْمُخْتَارُ فَارُوقَ صَحْبَهُ \* وَقَدْ خَطَّ لَوْحًا بَعْدَ تَوْرَاةِ أَهْلِهِ  
 وَقَدْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ اتِّبَاعٍ لِكَافِرٍ \* وَإِنْ كَانَ ذَاكَ الْأَمْرُ حَقًّا بِأَصْلِهِ  
 أَقَمْتُ دَلِيلًا بِالْحَدِيثِ وَلَمْ أَقِمِ \* دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ  
 سَلَامٌ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ فَكَمْ لَهُ \* لَدَيْ ثَنَاءٍ وَاعْتِرَافٍ بِفَضْلِهِ

## مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْهُوَارِي

### « نيل الابتهاج »

الشيخ الولي الصالح العارف بالله القطب أبو عبد الله ، كان كثير السياحة شرقاً وغرباً برأً وبحراً .

أخذ بفاس عن موسى العبدوسي ، والقباب ، وبيجاية عن شيخه أحمد ابن إدريس ، وعبد الرحمن الواغليسي ، وكان يثني على أهل بجاية كثيراً لمحبتهم الغرباء والفقراء ومحافظتهم في معاملاتهم على الحلال ، وسافر من فاس للشرق للحج ، فدخل مصر فلقي بها الحافظ العراقي وغيره ، وأخذ عنهم وجاور مدة بالحرم الشريف بين مكة والمدينة ، ثم سافر للقدس وجال ببلاد الشام ، وكان في جامع بني أمية . يأوي في سياحته لغيضة ملتفة ، فتأوي إليه السباع والوحوش العادية ، ثم استقر أخيراً بوهران مثابراً على العلم والعمل والصدق في الأحوال ، وانتفع به جمع ، وعند قرب أجله كان أكثر كلامه في مجالسه في التبشير بسعة رحمة الله وعفوه ، قال بعضهم : وكان مقطوعاً بولايته وعنه أخذ الإمام إبراهيم التازي كما تقدم في ترجمته ، وهو صاحب « التنبيه » المتقدم ، قال الشيخ أبو عبد الله بن الأزرق : ووقفت لبعض العصريين أن الشيخ الولي الشهير الهواري نزيل وهران لما ألف « السهو » الذي عمل عليه « التنبيه » أخذه الفقيه أبو زيد عبد الرحمن المغراوي المقلashi فوزن فيه أشياء ، وأعرب فيه أشياء ، فأثنى به الشيخ ، وقال له : يا سيدي إني أصلحت سهوك ، فقال له الشيخ : هذا السهو يقال له : سهو المقلashi وأما سهوي فهو <sup>(١)</sup> .

الفقراء إنما ينظرون فيه إلى المعنى ، ومن أين العربية والوزن لمحمد الهواري

(١) بياض بالأصل .

بل سهوي يبقى على ما هو عليه اهـ .

قال ابن الأزرق : وفي مراعاة هذا المعنى على الجملة أنشد غير واحد :  
وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى \* وما ضرَّ ذا تقوى لسانٌ مُعْجَمُ  
وذكر أبو عبد الله الملاي أن شيخه أبا الحسن التالولي كان كثير المطالعة  
لكتاب « السهو والتنبيه » للهوراي كل يوم ، ورأيت بخطه ما نصه : ضمن  
مؤلفه رحمه الله لكل من قرأ سهوه ، واعتنى به أن لا يجوع ولا يعرى ولا  
يعطش ، وأنه ضامنه في الدنيا والآخرة ، كذا نص عليه في « التنبيه » الذي  
جعله في فضل السهو ، وسمعه من سيدي إبراهيم التازي ، ورأيناه يهتم  
السهو بالنظر في كل يوم للتبرك غير مرة اهـ .

وذكر أيضاً أن هذا السهو جعله المؤلف للأولاد ، ولم يتعرض لوزن  
شعر ولا عربية ، فإياك والاعتراض ، تأمل واقرأ تنتفع ، كذا سمعناه من  
سيدي إبراهيم التازي اهـ وقال بعضهم كان الشيخ آية الله في فنونه ومكاشفاته ،  
ومن كراماته أن بعض العرب ومفسديهم أخذ مال بعض أصحابه ، فبعث فيه  
الشيخ إليه فأخذ رسوله فقيده ، وجبسه حين أغلظ القول ، فبلغ الخبر الشيخ  
فقام من مجلسه ، وقد اسودَّ وجهه لشدة غضبه ، قال سيدي إبراهيم التازي: فلما  
دخل خلوته سمعته يقول : مفرطخ مفرطخ يكرره مراراً ففي الوقت قام الظالم  
يلعب بخيله في بعض عرسهم ، فلما حرك خيله والناس ينظرون فإذا رجل  
أبيض الثياب أخذه على فرسه ، وضرب به الأرض أسرع من طرفة عين ،  
فإذا هو ميت بلا روح مفرطخ ، دخل رأسه في جوفه من شدة ضربه منكساً ،  
فأطلقت أمه رسول الشيخ ، وقالت لولدها الميت : حذرتك دعوة الشيخ  
وشوكته ، فأبيت فلا حيلة لي فيك اليوم اهـ .

وتوفي بوهران سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة (٨٤٣) وقد استوفى كراماته

مع صاحبه إبراهيم التازي ، والحسن أبران ، وأحمد بن الحسن المبروي  
الشيخ ابن سعد في « روضة السرين في مناقب الأربعة الصالحين » فليظر  
فيها .

### مُحمَّد بنُ المسيح القسطنطيني ( من خط الشيخ أحمدان الونيسي القسطنطيني )

أبو عبد الله الشيخ العلامة الجليل الأديب الواعظ الخطيب قاضي السادة  
الحنفية ببلد قسطنطينة .

كان رحمه الله أديباً بليغاً عارفاً بالعربية واللغة والحديث مطّلعاً على علله ،  
مشاركاً في فنون من العلم جليّة ، خطيباً مصقّفاً فارس المناير ، رقيق القلب كثير  
الخشوع ، له باع مديد في صناعة الخطابة والإنشاء ، ذو صوت حسن فائق ،  
وتذكير مؤثر رائق ، إذا وعظ، لَّين القلوب ، وأزال الكروب ، ولم يكن في  
زمانه وبعده مثله .

أخذ عن الشيخ عبد القادر الراشدي ، وشيخ الإسلام أبي الحسن الونيسي  
والإمام الحفصي وغيرهم ، وكان مالكي المذهب فحوّله عثمان باي إلى  
المذهب الحنفي ، وولاه الخطابة بجامع سوق الغزل ، وبه كان يصلي الأمير ،  
وولي قضاء الحنفية بقسطنطينة مراراً ، وتوفي رحمه الله عام ١٢٤٢ .

### مُحمَّد بن عُمر المليكشي في « نيل الابتهاج »

محمَّد بنُ عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم ، عُرف بابن عمر المليكشي  
البجاني ، ثم التونسي الجزائري ، كذا بخطه نسبة إلى جزائر إفريقية لا  
إلى بلد الجزيرة ، لأن النسب إليها جزيري .

قال الحضرمي في « مشيخته » كان صدرأ في الطلبة والكتاب ، فقيهاً كاتباً أديباً حاجاً راوية متصوفاً فاضلاً ، صاحب خطة الإنشاء بتونس شهيراً ، ذا تواضع وإيثار وقبول حسن ، رحل وحج ، وروى عن جماعة بالحجاز ومصر والاسكندرية كالرضي الطبري ، سمع عليه الكتب الخمسة ، والسراج محمد بن طراد قاضي المدينة وخطيبها ، وأبي محمد الدلاصي ، والنجم الطبري وغيرهم ، وله شعر رائق ونثر فائق ، وكتابة بليغة ، وتآليف مستظرفة ، توفي بتونس غرة المحرم فاتح أربعين وسبع مئة ( ٧٤٠ ) هـ ملخصاً ، وقد ذكره خالد في « رحلته » فأثنى عليه فانظره هـ .

وعرفه في « نفع الطيب » بقوله : أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكنشي كاتب الخلافة ، ومشعشع الأدب الذي يزري بالسلافة ، كان بطل مجال ، ورب روية وارتجال ، قدم على هذه البلاد وقد نبا به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عطنه ، فتلوم به تلوم النسيم بين الخمائل ، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ، ولبت مدة إقامته تحت جراية واسعة ، وميرة يانعة ، ثم أثر قطره فوّلّى وجهه شطره ، واستقبله دهره بالإنبابة ، وقلّده خطة الكتابة ، فاستقامت حاله ، وحطّت رحاله ، وله شعر أنيق ، وتصوف وتحقيق ، ورحلة إلى الحجاز سعيها في الخير وثيق ، ونسبها في الصالحات عريق ، ومن شعره قوله :

رضيَ نلت ما ترضين من كل ما يهوى \* فلا توقفيني موقف الذلّ والشكوى  
وصفحاً عن الجاني المسي لنفسيه \* كفاه الذي يلقاه من شدّة البلوى  
بما بيننا من خلوة معنويّة \* أرقّ من النجوى وأحلى من السّوى  
ففي أتشكى لوعة البين ساعة \* ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى

قفسي ساعة في عرصة الدَّارِ وانظري \* إلى عاشقٍ ما يستفيقُ مِنَ البَلَوِ  
 وكم قَدْ سَأَلْتُ الرِّيحَ شَوْقاً إِلَيْكُمْ \* فما حنَّ مسراها عليَّ ولا أَلَوِ  
 فيا رِيحَ حَتَّى أَنْتِ مِمَّنْ يَغَارُ بِي \* ويأنجِدُ حَتَّى أَنْتِ نَهْوِي الَّذِي أَهْوِي  
 خُلِقْتُ وَلِي قَلْبٌ جَلِيدٌ عَلَى النَّسْوِ \* وَلَكِنْ عَلَى فَقْدِ الْأَحْبَةِ لَا يَفْوِي

وحدثت بعض من غني بأخباره ، أيام مقامه بمالقة واستقراره ، أنه لقي  
 بباب الملعب من أبوابها ظبية من ظبيات الأنس ، وقينة من قينات هذا الجنس ،  
 فخطب وصالها ، واتفق بفؤاده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت  
 انعطاف الغصن المياد ، فأبقى على نفسه وأمسك ، وأنف من خلع العذار بعد  
 ما تنسك ، وقال :

لَمْ أَنْسَ وَفَقْنَا بَابَ الْمَلْعَبِ \* بَيْنَ الرَّجَا وَالْيَأْسِ مِنْ مُتَجَنِّبِ  
 وَعَدْتُ فَكُنْتُ مُرَاقِباً لِحَدِيثِهَا \* يَا ذَلَّ وَقَفَةً خَائِفٍ مُتَرَقِّبِ  
 وَتَدَلَّلْتُ فَذَلَّلْتُ بَعْدَ تَعَزُّزِ \* يَأْتِي الْغُرَامُ بِكُلِّ أَمْرٍ مُعْجَبِ  
 بِلَوِيَةِ أَبْدَى الْجَمَالِ بَوَجْهِهَا \* مَا شَتَّ مِنْ خَدِّ شَرِيقٍ مُذْهَبِ  
 تَدْنُو وَتَبْعُدُ نَفْرَةً وَتَجَنِّباً \* فَتَكَادُ تَحْسِبُهَا مَهَاةَ الرَّبْرِ  
 وَرَنْتُ بِلَحْظٍ فَاتِنٍ لَكَ فَاتِرٍ \* أَنْضَى وَأَمْضَى مِنْ حَسَامِ الْمَضْرِبِ  
 وَأَرْتِكَ بَابِلَ سَحَرِهَا بِجُفُونِهَا \* فَسَبَتْ وَحُقَّ لِمِثْلِهَا أَنْ تَسْتَبِي  
 وَتَضَاحَكْتَ فَحَكَتْ بَنِيرَ ثَغْرِهَا \* لِمَعَانَ نَوْرِ ضِيَاءِ بَرْقِ خُلَّبِ  
 بِمَنْظَمٍ فِي عَقْدِ سَمْطِي جَوْهَرٍ \* عَنْ شِبْهِ نَوْرِ الْأَقْحَوَانِ الْأَشْنَبِ  
 وَتَمَايَلْتُ كَالْغُصْنِ أَخْضَلَهُ النَّدَى \* رِيَّانٍ مِنْ مَاءِ الشَّبِيَةِ مُخْضَبِ

تشبه أرواح الصَّابَةِ والصَّبَا \* فتراهُ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبِ  
 أبت الروادفُ أَنْ تَمِيلَ بِمِيلِهِ \* فَرَسَتْ وَجَالَ كَأَنَّهُ فِي لَوْلَبِ

متوجاً بهلال وجهٍ لاحٍ في \* حلل السحاب لحاجبٍ ومُحجَّبٍ  
يا مَنْ رأى فيها مُحبّاً مُغرماً \* لَمْ يَنْقَلِبْ إِلَّا بِقَلْبٍ قُلْبٍ  
ما زال مُذْ وَلَّى يُحاولُ حيلةً \* تُدنيه مِنْ نَيْلِ الْمُنَى والمُطَلَّبِ  
فأجال نارَ الفِكرِ حتَّى أوقدتْ \* في القلبِ نارَ تشوقٍ وتلهُّبِ  
فتلاقَتِ الأرواحُ قبلَ جُسومِها \* وكذا البسيطُ يكونُ قبلَ مُركَّبِ  
وقال :

أرى لك يا قلبي قلبي محبةً \* بعثتُ بها سِرِّي إليك رُسُولا  
فقابلهُ بالبُشرى وأقبلْ عشيةً \* فقد هَبَّ مِنْكِ النسيمُ عليلاً  
ولا تعتذرْ بالقطرِ أو بللِ الندى \* فأحسنُ ما يأتي النسيمُ بليلاً

توفي عام ٧٤٠ بتونس رحمه الله تعالى ١ هـ من « نفح الطيب » للمقرئ ،  
والمقرئ نقله من « الإكليل الزاهر فيما فضل من نظم التاج من الجواهر » للشيخ  
لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب القرطبي المتوفى سنة ٧٢٦<sup>(١)</sup> كما  
في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » .

### مُحمَّدُ السَّنُوسِي التَّوْحِيدِي

#### « نيل الابتهاج »

محمدُ بنُ يوسف بنِ عمر بنِ شعيب ، اشتهر بالسَّنُوسِي نسبة لقبيلة بالمغرب ،  
الحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه .

قاله تلميذه الملاي في تأليفه التلمساني : عالمها وصالحها وزاهدنا وكبير  
علمائها الشيخ العلامة المتفنن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع  
أبو يعقوب يوسف ، نشأ خيراً مباركاً فاضلاً صالحاً ، أخذ كما قاله تلميذه  
الملاي عن جماعة منهم والده المذكور ، والشيخ العلامة نصر الزواوي ، والعلامة

(١) في « نيل الابتهاج » توفي سنة ٧٧٦ هـ .

محمد بن تومرت <sup>(١)</sup> ، والسيد الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس ابن محمد الشريف الحسيني ، أخذ عنه القراءات ، وعن العالم المعدل أبي عبد الله الحباك علم الاسطرلاب ، وعن الإمام محمد بن العباس الأصول والمنطق ، وعن الفقيه الجلاب الفقه ، وعن الولي الكبير الصالح الحسن أركان الراشدي ، حضر عنده كثيرًا وانتفع به وبركته ، وكان يحبه ويؤثره ويدعو له ، فحقق الله فيه فراسته ودعوته ، وعن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوتي أخيه لأمه « الرسالة » ، وعن الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكناشي « إرشاد أبي المعالي » والتوحيد ، وعن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه « الصحيحين » وغيرهما من كتب الحديث ، وأجازه ما يجوز له وعنه ، وعن الإمام العالم العلامة الولي الزاهد الناصح إبراهيم التازي ألبسه الخرقه ، وحدثه بها عن شيوخه ، وبصق في فمه ، وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات وغيرها ، وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب ، وأجازه جميع ما يرويه وغيرهم .

وكان آية في علمه وهديه وصلاحه وسيرته وزهده وورعه وتوقيه ، جمع تلميذه الملاي في أحواله وسيره وفوائده تأليفاً كبيراً في نحو سبعة عشر كراساً من القالب الكبير سماه « المواهب القدسية في المناقب السنوسية » واختصرته في جزء نحو ثلاثة كرايس ، فلنذكر هنا طرفاً من ذلك قال : له في العلوم الظاهرة أوفر نصيب ، جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب ، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه انه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول ، شارك غيره فيها وانفرد بعلوم الباطن ، بل زاد على الفقهاء مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد ، لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى كأنه يشاهد الآخرة . سمعته يقول : ليس علم من علوم الظاهر يورث

(١) غير ابن تومرت مهدي الموحدين .

معرفته تعالى ومراقبته إلا التوحيد ، وبه يفتح في فهم العلوم كلها ، وعلى قدر معرفته يزداد الخوف منه تعالى اه وانفرد بمعرفته إلى الغاية ، وعقائده كافية فيه خصوصاً الصغرى لا يعادها شيء من العقائد ، كما أشار إليه وسماعته يقول :  
 العالم حقاً من يستشكل الواضح ، ويوضح المشكل ، لسعة فهمه وعلمه وتحقيقه ، فهو الذي يحضر مجلسه وتستمع فوائده اه . وبموته فقد من يتصف بها وإن كان العلماء الحافظون موجودين ، لكن المراد العلم النافع المتصف صاحبه بالخشية ، فهو في علوم الباطن قطب رحاها وشمس ضحاها ، قد غاب بكلامه فيها في غيب الله تعالى ، وأطلع على معادن أسرارته ومطالع أنواره ، يؤثر حب مولاه ويراقيه ، لا يأنس بأحد بل يفر كثيراً إلى الخلوات ، يطيل الفكرة في معرفته فانكشفت له عجائب الأسرار ، وتجلت له الأبصار ، فصار من وارثي الأنبياء جامعاً بين الحقيقة والشرعية على أكمل وجه ، له لطائف الأحوال وصالح الأقوال والأفعال ، باطنه حقائق التوحيد ، وظاهره زهد وتجريد ، وكلامه هداية لكل مريد ، كثير الخوف طويل الحزن ، يسمع لصدره أنين من شدة خوفه ، مستغرقاً في الذكر فلا يشعر بمن معه ، مع تواضع وحسن خلق ورقة قلب ، رحيماً متبسماً في وجه من لقيه ، مع إقبال وحسن كلام ، يتراحم الأطفال على تقبيل أطرافه لئناً هيناً حتى في مشيه ، ما ترى أحسن خلقاً ولا أوسع صدرأ وأكرم نفساً وأعطف قلباً وأحفظ عهداً منه ، يوقر الكبير ويقف مع الصغير ، ويتواضع للضعفاء ، معظماً جانب النبوة ، غاية لا يعارضه أحد إلا أجمه ، جمع له العلم والعمل والولاية إلى النهاية ، مع شفقتة على الخلق وقضاء حوائجهم عند السلطان ، والصبر على أذيتهم ، وضع له من القبول والهيبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من علماء عصره وزهاده ، ارتحل الناس إليه وتبركوا به ، وسماعته آخر عمره يقول : من الغرائب في زماننا هذا أن يوجد عالم جُمع له علم الظاهر والباطن على أكمل وجه بحيث ينتفع به في العلمين ، فوجود

مثله في غاية الدور ، فمن وجده ، فقد وجد كترأ عظيماً دنياً وأخرى ، فليشد عليه يده لئلا يضيع عن قرب ، فلا يجد مثله شرقاً وغرباً أبداً اه . وكأنه أشار به لنفسه ، فلم يلبث بعده حتى خُطف ، فكأنه كاشفنا بذلك ، ولا شك أنه لا يوجد مثله أبداً ، وأما زهده وإعراضه عن الدنيا فمعلوم ضرورة عند الكافة ، بعث إليه السلطان في أخذ شيء من غلات مدرسة الحسن أركان ، فامتنع فالحوا عليه ، فكتب في الاعتذار كتابة مطولة ، فقبل منه ، وسمعه يقول : الولي الحقيقي من لو كشف له على الجنة وحورها ما التفت إليها ولا ركن لغيره تعالى ، فهذه حقيقة العارف اه فهذا حاله .

وأما وعظه ، فكان يقرع الأسماع ، وتقشعر منه الجلود ، كل من حضره يقول : معي يتكلم وإياي ، يعني جلّه في الخوف والمراقبة وأحوال الآخرة ، لا تخلو مجالسه منه مع حلاوة له لا توجد في كلام غيره ، يعظ كل أحد بحسب حاله ، ما رأيته قط إلا وشفتاه متحركتان بالذكر ، وربما يكلمه إنسان وأسمعه يذكر الله تعالى ، وتسمع لقلبه أنيناً من شدة خوفه ومراقبته على الدوام ، سمعه يقول : الحقيقة امثال الأمر واجتناب النهي مع كمال الذلة والخضوع اه .

كان أروع زمانه ، يبغض الاجتماع بأهل الدنيا والنظر إليهم وقربهم ، خرجنا معه يوماً إلى صحراء فرأى على بعد ناساً راكبين على خيول مع ثياب فاخرة ، فقال : من هؤلاء ؟ قلنا : خواص السلطان ، فتعوذ بالله ورجع لطريق آخر ، ولقيهم مرة أخرى وما تمكن من الرجوع ، فجعل وجهه للحائط وغطاه حتى جازوا ولم يروه ، ولما وصل في تفسيره سورة الإخلاص ، وعزم على قراءتها يوماً ، والمعوذتين يوماً سمع به الوزير وأراد حضور الختم ، فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوماً واحداً خيفة حضوره عنده ، وطلبه السلطان أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضرته على عادة المفسرين ، فامتنع فالحوا عليه ، فكتب إليه معتذراً بغلبة الحياء له ، ولا يقدر على التكلم هناك ، فأيسوا منه ،

وإذا سمع بوليمة أحد من أبناء الدنيا تخلف يومه على الحضور خيفة أن يدعى فلا يظهر بالكلية حتى تمر أيام الوليمة ، وربما تخلف قبله أياماً ، ولا يقبل عطية السلطان ومن لا ذبه ، وربما تأتي لداره وهو غائب فإذا وجدها أنكر على أهل داره ، وتغير كثيراً ، ويقبل عطية غيرهم ويدعو لهم . وكان رفيع الهمة عن أهل الدنيا ، يتطارحون عليه فيعرض عنهم ، وأتى إليه ابن الخليفة يوماً معه عين ، فقبل يديه ورجليه ، وطلب منه قبوله فتبسّم في وجهه ، ودعا له وأبى ، فلما أيس منه ، قال له : تصدّق بها يا سيدي على من شئت من الفقراء ، فامتنع منها مع ما جبل عليه من الحياء ، حتى لا يقدر أن يخالف الناس في أغراضهم أو يقابلهم بسوء ، وكان يكره الكتب للأمرء ، فإذا طوّل بذلك كتب لهم حياء ، وعاتبه أخوه علي التالوتي قائلاً يوماً : لأي شيء تكثر الكتب للسلطان وغيره ، فقال : كلّفت به ، فقال : لا توافق عليه ، وقل لا أكتب ، فقال : والله يا أخي يغلب علي الحياء ، ولا أقدر على المنع ، قال : لا تستعج من أحد ، فقال له : إذا دخل النار أحد بالحياء فإنا أدخلها .

وبالجملة فرفع همته عن الخلق معلوم عند الكافة ، لا يأنس بأحد ، ولا يتسبب في معرفته ، ويود أن لا يراه أحد ، وقال لي يوماً : والله يا ولدي أتمنى أن لا أرى أحداً ولا يراني أحد ، بل اشتغل وحدي ، وما يأتيني من قبل الناس إن قصدوا به نفعي سلمت لهم فيه ، لا حاجة لي بأحد ولا بماله اهـ .

وكان مع ذلك حليماً كثيراً الصبر ، ربما يسمع ما يكره فيتصامم عنه ، ولا يؤثر فيه بل يتبسّم ، وهذا شأنه في كل ما يُغضبه ، ولا يلقي له بالاً بوجه ، ولا يحقد على أحد ، ولا يعبس في وجهه ، يفتح من تكلم في عرضه بكلام طيب وإعظام حتى يعتقد أنه صديقه ، وقع له ممن يدعي أنه أعلم أهل الأرض لينقصه فما بالي به ، ولما ألفت بعض عقائده أنكر عليه كثير من علماء أهل وقته ، وتكلموا بما لا يليق ، فتغيّر لذلك كثيراً وحزن أياماً ، ثم رأى في منامه عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه ، واقفاً على رأسه بيده سيف أو عصي ، فهزها على رأسه وهدده بها ، وكأنه قال : ما هذا الخوف من الناس فأصبح وقد زال حزنه ، واشتد قلبه على المنكرين ، فخرست حينئذ ألسنتهم ، فحلم عنهم وسمح ، فأقروا بفضلته ، وبلغ من شففته أنه مر به ذئب يجري معه الصياد والكلاب ، فحبسوه وذبح ، فوصل إليه ملقى على الأرض فبكى ، وقال : لا إله إلا الله ، أين الروح التي يجري بها ، وسمعتة يقول : ينبغي للإنسان أن يمشي برفق ، وينظر أمامه لئلا يقتل دابة في الأرض ، وإذا رأى من يضرب دابة ضرباً عنيفاً تغير ، وقال لضاربها : ارفق يا مبارك ، وينهى المؤذنين عن ضرب الصبيان ، وسمعتة يقول : لله تعالى منة رحمة ، لا مطمع فيها إلا لمن اتسم برحمة جميع الخلق وأشفق عليهم ، وما رأيته قط دعا على أحد إلا مرة رأى في مسكن منكراً ، لا يقدر على صبره ، فغضب ودعا عليه بالخلا ، فنفذ في أقرب مدة ، وأتاه في مرضه بعض من يذمه من علماء عصره ، فطلب منه أن يسمح له فسمح له ودعا له ، ولما مات ، بكى عليه هذا العالم شديداً وتألم ، ومتى ذكره بكى ، ويقول : فقدت الدنيا بفقدته ، وسمعتة يثني كثيراً على رجلين من علماء عصره ممن يذمونه ويسبئون إليه ، وكان يصلح بين الخصوم ، ويقضي الحوائج . ذكر أنه كتب يوماً ثلاثين كتاباً بلا فترة ، قال : كلفني بها إنسان لم أقدر على رده ، قال : ولو كان إنسان ينسخ مثل هذا في كل يوم لظفر بعدة أسفار ، وهذه مصائب ابتلينا بها ، ومن صبره كثرة وقوفه مع الخلق ، ولا يفارق الرجل حتى ينصرف ، وهذا كله مع إدامة الطاعات ، وسداد الطريقة ، وشدة التحرز ، والإسراع بوفاء حقوق العباد قبل استحقاقها ، إذا استعار كتاباً رده في أقرب مدة قبل طلب صاحبه ، وربما كان سفيراً ضخماً لا يمكن مطالعته إلا في ثلاثة أيام ، فيطالعه في يوم واحد ويرده ، وكان يأمر أهله بالصدقة سيما وقت الجوع ، ويقول : من أحب الجنة فليكثر الصدقة

خصوصاً في الغلاء ، كثير التصدق بيده ، ويكثر الخروج للخلوات ، ومواضع الحرب الباقية آثارها للاعتبار ، وإذا رأى ما كان منها متقناً ذكر حديث « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا صَنَعَ شَيْئًا فَأَتَقَنَهُ »<sup>(١)</sup> ويقول : أين سُكَّانُهَا ؟ وكيف كانوا يتنعمون ؟ وسمعتة يقول : كم من ضاحك مع الناس وقلبه يبكي خوف ربه ، فهذا شأن العارفين مثله .

سأله بعض أصحابه ممن يبحث عن أحواله لأي شيء يتلوّن وجهك وتتغير كثيراً مع الانقباض ، فأجابه بعد تمنع بشرط أن لا يخبر به أحداً فقال : نعم ، فقال الشيخ : أطلعني الله تعالى على رؤية جهنم وما فيها ، نعوذ بالله منها ، فمن حينئذ صرت أَتَغَيَّرُ وأحزن إلى الآن ، فهذا سبب تَغَيُّري ، وقال شيخنا أبو القاسم الزواوي حفظه الله من أكابر أصحابه : سمعتة يقول : ضاقت علي العوالم كلها من العرش إلى الفرش ، ولم أر منها ما يسرُّني ، فلم أمل لشيء منها بالكلية اهـ .

وحاله في الدنيا كالمسجون لشدة خوفه ومراقبته كل لحظة وكثرة تفكره ، كان يصوم يوماً بيوم صوم داود عليه السلام ، ويفطر على يسير طعام ، ولا يطلب يوم فطره ما يأكله ، وربما بقي ثلاثة أيام أو أزيد لا يأكل ولا يشرب إن أتى بطعام أكل ، وإلا بقي كذلك ، وربما سألوه بعد مضي جُلِّ النهار أمفطر هو ؟ فيقول : لا مفطر ولا صائم ، فيقال له : لم لا تعلمنا بفطرك ؟ فيتبسم وربما مازح بعض أصحابه فلا ترى أحسن منه حينئذ ، لا يرفع صوته بل يعتدل فيه ، ويصافح الناس ولا يمنع من قَبْلُ يده ، وليس له لباس مخصوص يعرف به ، بل معتاد الناس اليوم ، ويكره الكلام بعد صلاة الصبح والعصر ، ويتراخى في تكبيرة الإحرام بعد الإقامة ولا يكبر إلا بعد حين ، وأخبرتني

---

(١) أخرجه البيهقي من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » وهو حديث حسن (ش) .

زوجته أنه في بدأ أمره إذا قام من الليل نظر السماء ويقول : يا سعيد كيف تنام وأنت تخاف الوعيد ، ثم التزم صوم عام إن رجع إلى النوم متى استيقظ منه ، فمن حينئذ لا يرجع إليه إذا استيقظ حتى مات ، بنام أول الليل ويحييه كله إلى الفجر ، حتى أثر في وجهه اهـ . وكان لكثرة انقباضه لا ينسبط مع أحد ، ويشق عليه الخروج للمسجد للإقراء والصلاة ، ولا يخرج في بعض الأيام إلا حياء ممن ينتظره ، ولما أحس بمرض موته انقطع عن المسجد ، ولازم فراشه حتى مات ، ومرض عشرة أيام ولما احتضر لقنه ابن أخيه مرة بعد مرة ، فالتفت إليه وقال له : وهل ثمَّ غيرها ، وقالت له بنته : تمشي وتركني ؟ فقال لها : الجنة مجمعنا عن قرب إن شاء الله تعالى ، وكان يقول عند موته : نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالين بها ، وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأخيرة عام ٨٩٥هـ ، وشمَّ الناس المسك بنفس موته ، رحمه الله ومولده بعد الثلاثين وثمان مئة ، ومن عادته أنه إذا صَلَّى الصبح في مسجده وفرغ من ورده أقرأ العلم إلى وقت الفطور المعتاد ، ثم خرج ووقف مع الناس ساعة بباب داره ، ثم دخل وصلى الضحى قدر قراءة عشرة أحزاب ، ثم اشتغل بالمطالعة في وقت طول النهار ، وربما زالت الشمس وهو في الضحى ، وخرج بعد الزوال للخلوات ، فلا يرجع إلا للغروب أو يبقى في بيته فيتوضأ ويصلي أربع ركعات ، ثم خرج لمسجده وصلى بالناس الظهر ، وتنفل أربعاً ويقرئ ، ثم تنفل وقت العصر أربعاً ويصلي العصر ويقرأ ، وخرج لداره واشتغل بالورد إلى الغروب ، ثم خرج للمغرب وتنفل بست ركعات ، ويبقى هناك حتى يصلي العشاء ويقرأ ما تيسر ، ورجع لداره ونام ساعة ، ثم اشتغل بالنظر أو النسخ ساعة ، وتوضأ ويصلي أو يذكر إلى طلوع الفجر ، هذا أكثر حاله ، وأخبرني قبل موته بنحو عامين أن سنَّ خمس وخمسون سنة اهـ . من الجزء الذي لخصته من تأليف الملاي .

قلت : ورأيت مقيداً عن بعض العلماء أنه سأل الملاي المذکور عن سن الشيخ فقال له : مات عن ثلاث وستين سنة . والله أعلم ورأيت مقيداً في موضع آخر من كراماته أن رجلاً اشترى لحماً من السوق فسمع الإقامة في المسجد فدخل واللحم في قبه ، فخاف من طرحه فوات ركعة ، فكبر كذلك ، فلما سلم ذهب لداره فطبخ اللحم فبقي إلى العشاء ، فأرادوا طرحه فإذا هو بدمه لم يتغير ، فقالوا : لعله لحم شارف فباتوا يوقدون عليه إلى الصبح فلم يتغير عن حاله حين وضعوه في القدر ، فتذكر الرجل فذهب إلى الشيخ فأعلمه فقال له : يا بني أرجو الله أن كل من صلى ورائي أن لا تعدو عليه النار ، ولعل هذا اللحم من ذلك ، ولكن اكنتم ذلك اهـ . وسمعت أيضاً أنه كان في صغره إذا مرّ مع الصبيان على الإمام ابن مرزوق الحفيد وضع يده على رأسه ويقول : نقرة خالصة .

وأما تأليفه فقال الملاي : منها شرحه الكبير على الحوفية المسمى « المقرب المستوفي » كبير الجرم كثير العلم ألفه وهو ابن تسعة عشر عاماً ، ولما وقف عليه شيخه الحسن أبركان تعجب منه ، وأمر بإخفائه حتى يكمل سنه أربعين سنة لئلا يصاب بالعين ، وقال : لا نظير له في ما أعلم ودعا لمؤلفه ، ومنها عقيدته الكبرى التي سماها « عقيدة أهل التوحيد » في كراريس من القالب الرباعي ، أول ما صنفه في الفن ثم « شرحها » ثم « الوسطى » وشرحها في ثلاثة عشر كراساً ثم « الصغرى » وشرحها في ست كراريس ، وهي من أجل العقائد لا تعادها عقيدة كما أشار إليه هو .

حدثني بعضهم : أنه مات قريبه وكان صالحاً فرآه في النوم ، فسأله عن حاله فقال : دخلت الجنة فرأيت إبراهيم الخليل عليه السلام يقرئ صبياناً عقيدة السنوسي ، يدرسونها في الألواح ويجهرون بقراءتها اهـ . قال الشيخ : لا شك أن لا نظير لها في ما علمت ، تكفي من اقتصر عليها عن سائر العقائد ،

وقد نظم سيدي محمد بن يحيى التازي في مدحها أبياتاً ، وعقيدته المختصرة أصغر من الصغرى ، وشرحها أربع كرايس ، وفيه فوائد ونكت ، والمقدمات الميينة لعقيدته الصغرى قريبة منها جراً ، وشرحها خمس كرايس ، و« شرح الأسماء الحسنى » في كراسين يفسر الاسم ويذكر حظ العبد منه و« شرح التسييح دبر الصلوات » تكلم على حكمته و« شرح عقيدة الحوضي » خمس كرايس و« شرحه الكبير على الجزائرية » فيه نكت نفيسة و« مختصر الأبي على مسلم » في سفرين فيه نكت حسنة ، و« شرح ايساغوجي » في المنطق تأليف البرهان البقاعي كثير العلم و« مختصره » العجيب فيه زوائد على الخونجي وشرحه أحسن جداً و« شرح قصيدة الحباك في الاسطربال » شرح جليل و« شرح أبيات الإمام الأثيري » في التصوف وشرح الأبيات التي أولها « تطهر بماء الغيب » و« شرحه العجيب على البخاري » وصل فيه إلى باب : من استبرأ لدينه و« شرح مشكلات البخاري » في كراسين و« مختصر الزركشي على البخاري » .

قلت : وقد وقفت على جميع هذه الكتب ، ثم قال الملاي : ومنها « عقيدة أخرى » فيها دلائل قطعية ، يرد على من أثبت تأثير الأسباب العادية ، كتبها لبعض الصالحين و« مختصر حاشية التفتراني على الكشاف » و« شرح مقدمة الجبر والمقابلة » لابن الياسمين و« شرح جمل الخونجي » في المنطق و« شرح مختصر ابن عرفة » فيه حل صعوبته ، وقال لي : إن كلامه صعب سيما هذا المختصر ، تعبت كثيراً في حله لصعوبته إلى الغاية لا أستعين عليها إلا بالخلوة ، ومنها « شرح رجز ابن سينا في الطب » لم يكمل و« مختصر في القراءات السبع » و« شرح الشاطبية الكبرى » لم يكمل و« شرح الوغليسية في الفقه » لم يكمل و« نظم في الفرائض » و« اختصار رعاية المحاسبي » و« مختصر الروض الأنف » للسبيلي لم يكمل و« مختصر بغية السالك في أشرف المسالك » للساحلي و« شرح المرشدة » و« الدر المنظوم في شرح الآجرومية » و« شرح جواهر العلوم »

للعضد في علم الكلام ، على طريقة الحكماء وهو كتاب عجيب جداً في ذلك ، إلا أنه صعب متعسر على الفهم جداً و«تفسير القرآن» إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> في ثلاثة كراريس ، ولم يمكن له التفرغ له وتفسير سورة ص وما بعدها . فهذا ما علمت من تأليفه مع ماله من الفتاوى والوصايا والرسائل والمواظ ، مع كثرة الأوراد وقضاء الحوائج والإقراء اه . قلت : سمعت أن له تعليقاً على فرعي ابن الحاجب وغيره ، نفعنا الله به .

أخذ عنه أعلام كابن سعد ، وأبي القاسم الزواوي ، وابن أبي مدين ، والشيخ يحيى بن محمد ، وابن الحاج البيدري ، وابن العباس الصغير ، وولي الله محمد القلمي ربحانة زمانه ، وإبراهيم الوجديجي ، وابن ملوكة وغيرهم من الفضلاء اه .

### يحيى المازوني من «نيل الابتهاج»

يحيى بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني قاضيها الإمام العلامة الفقيه .

أخذ عن الأئمة كابن مرزوق الحفيد ، وقاسم العقباتي وابن زاغو ، وابن العباس ، وغيرهم ونجب وبرع وألف «نوازل» المشهورة المفيدة في فتاوى المتأخرين أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرهم في سفرين ، ومنه استمد الونشريسي مع «نوازل البرزلي» فيما يظهر لي ، وأضاف إليهما ما تيسر ، أي من فتاوى أهل فاس والأندلس والله أعلم .

توفي كما قال الونشريسي عام ٨٨٣ بتلمسان ، ووصفه بالفقيه الفاضل اه .

(١) سورة البقرة : الآية ٥ .

## يحيى الشاوي « خلاصة الأثر »

يحيى ابن الفقيه الصالح محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء النائلي الشاوي الملياني الجزائري المالكي ، شيخنا الأستاذ الذي ختمت بعصره أعصر الأعلام ، وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام ، المقرر براهين التطبيق بتوحيده فلا تمانع فيه إلا من معاند ، علم مرجعه عن الحق ومحيطه آية الله تعالى الباهرة في التفسير والمعجزة الظاهرة في التقرير والتحرير ، من روى حديث الفخار مرسلًا ، ونقل خبر الفخار مرتلاً ، وهو في الفقه إمامه ومن فمه تؤخذ أحكامه ، وأما الأصول فهو فرع من علومه ، والمنطق مقدمة من مقدمات مفهومه ، وإن أردت النحو فلا كلام فيه لأحد سواه ، وإن اقترحت المعاني والبيان فهما أنموذج مزياه ، إذا استخدم القلم أبدى سحر العقول ، وإن جرت الحروف على وفق لسانه وفق بين المعقول والمنقول ، وإذا ناظر عطل من مجاريه مجاري الأنفاس ، واستنبط من بيان منطق علم الجدل والقياس ، وبالجملة فتقصر همم الأفكار عن بلوغ أدنى فضائله ، وتعجز سوابق البيان عن الوصول إلى أوائل فواضله .

ولد في مدينة الجزائر من أرض المغرب ، وقرأ بها وبمليانه بلده على شيوخ أجلاء صالحين ، منهم العلامة المحقق سيدي الشيخ محمد ايهلول<sup>(١)</sup> ، والشيخ سعيد مفتي الجزائر ، والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري ، والشيخ مهدي وغيرهم ، وروى عنهم الحديث والفقه وغيرهما من العلوم ، وأجازه شيوخه وتصدر للإفادة ببلده ، وكانت حافظته مما يقضى منها بالعجب ، وقدم مصر في

---

(١) لعله سيدي محمد بن علي ايهلول صاحب مجاجة .

سنة ١٠٧٤ قاصداً الحج ، فلما قضى حجه رجع إلى القاهرة ، واجتمع به فضلائها وأخذوا عنه ، وروى هو عن علمائها كالشيخ سلطان ، والشمس البابلي ، والنور الشبراملي ، وأجازوه بمروياتهم ، ثم تصدر للإقراء بالأزهر ، واشتهر بالفضل ، وحظي عند أكابر الدولة ، واستمر على القراءة مدة قرأ فيها « مختصر خليل » و « شرح الألفية » للمرادي و « عقائد السنوسي » وشروحها و « شرح جمل الخونجي » لابن عرفة في المنطق ، ثم رحل إلى الروم فمر في طريقه على دمشق ، وعقد بجامع بني أمية مجلساً اجتمع فيه علماءؤها ، وشهدوا له بالفضل التام ، وتلقوه بما يجب له ، ومدحه شعراؤها ، واستجاز منه نبلاؤها ، ثم توجه إلى الروم فاجتمع به أكابر الموالى ، وبالع في إكرامه شيخ الإسلام يحيى المنقاري والصدر الأعظم الفاضل ، وحضر الدرس الذي يجتمع فيه العلماء للبحث بحضرة السلطان ، فبحث معهم واشتهر بالعلم ، ثم رجع إلى مصر مبجلاً معظماً مهابةً موقراً ، وقد ولي تدريس الأشرفية والسلمانية والصرغتمشية وغيرها ، وأقام بمصر مدة ، ثم رجع إلى الروم فأنزله مصطفى باشا صاحب السلطان في داره ، وكنت الفقير إذ ذاك بالروم فالتمت منه القراءة ، فأذن فشرعت أنا وجماعة من بلدتنا دمشق وغيرها ، منهم الأخ الفاضل أبو الاسعاد ابن الشيخ أيوب ، والشيخ زين الدين البصري ، والشيخ عبد الرحمن المجلد ، والسيد أبو المواهب سبط العرضي الحلبي في القراءة عليه ، فقرأنا تفسير سورة الفاتحة من « البيضاوي » مع « حاشية العصام » و « مختصر المعاني » مع « حاشية الحفيد » و « الخطائي » و « الألفية » وبعض « شرح الدواني على العقائد العضدية » ، وأجازنا جميعاً بإجازة نظمها لنا ، وكان ما كتبه لي هذا (١) .

---

(١) مثل هذا النظم يذكر تبركاً لا دلالة على أن صاحبه شاعر .

## الحمد لله الحميد والصلاة والسلام على الطاهر المجيد

### وعلى آله أهل التمجيد

أجزتُ الإمامَ اللّودعيَ المعبراً \* أميناً أمينَ الدّينِ رُوحاً مُصَوِّراً  
 سليلَ مُحَبِّ الدّينِ بيتَ هدايةٍ \* وبيتَ منارِ العلمِ قِدماً تَقَرُّراً  
 بإقراثِهِ متنَ البخاريّ الذي بِهِ \* تقاصرَ عنه من عَدَاهُ وقَصَّراً  
 موطأً شفاءً والشفاءَ لمسلمٍ \* إذا مسلمٌ تقريه حقاً تصدَّراً  
 وباقي رجالِ النّقلِ حقاً مبيّناً \* وتفسيرَ قولِ اللهِ في الكلِّ قُرَّراً  
 أجزتُ المسمّى البدرَ في الشرعِ كلّهُ \* كما صَحَّ لي فانركَ مرءً مَكْدَرًا  
 وعِلْمَ كلامِ خالٍ عَن أَكاذِبِ الدّ \* فلاسِفَةِ الضُّلالِ والعدلِ نَكْرًا  
 أقولُ لكلِّ فلسفيٍّ بدينِهِ \* الألعنةُ الرَّحْمَنِ تعلو مُزَوِّراً  
 أجبريلُ مُلْكُ عاشِرُ يا عاداتنا \* أعاديَ شرعَ اللهِ نلتُمُ تحيِّراً  
 بأيّ طريقٍ قُلتُمُ عاشِرَ عَشْرَةٍ \* ونفيَ صفاتِ والقديمِ تحجِّراً  
 حكمتُم على الرَّحْمَنِ حِجْراً مُحجَّراً \* ومنعُكم خَلَقَ الحوادثِ دَمَرًا  
 أبري الحبيبَ اللّودعيَ عَن الردي \* مجازاً بدينِ الشرعِ كُلاً مُحَرَّراً  
 ولكنَّ عليه النُّصحُ والجدُّ والتُّقى \* وإنَّ نالَهُ أَمْرُ القُضاءِ تصبَّراً  
 حماهُ إلهُ العرشِ مِن كُلِّ فتنَةٍ \* ونجَّاهُ من أسواءِ سُوءٍ تَسْتِراً  
 وصلِّ وسلِّمْ بُكرةً وعشيّةً \* على مَنْ به أحيَا القُلُوبَ تحيِّراً

ثم رجع إلى مصر وصرف أوقاته إلى الإفادة والتأليف ، وله مؤلفات عديدة في الفقه وغيره ، منها حاشية على « شرح أم البراهين » للسنوسي نحو عشرين كراساً ، و« نظم لامية في إعراب الجلالة » جمع فيها أقاويل النحويين ، وشرحها شرحاً حسناً أحسن فيه كل الإحسان ، وله مؤلف صغير في « أصول

النحو» جعله على أسلوب «الاقتراح» للسيوطي ، أتى فيه بكل غريبة وجعله باسم السلطان محمود ، وقرظ له عليه علماء الروم ، منهم العلامة المتقاري قال فيه : لا يخفى على الناقد البصير أن هذا التحرير كنسج الحرير ، ما نسج على منواله ناسج في هذه العصور ، تنشرح بمطالعة الصدور ، وله «شرح التسهيل لابن مالك» وحاشية على «شرح المرادي» وكان له قوة في البحث ، وسرعة الاستحضار للمسائل الغريبة ، وبداهة الجواب لما يسأل عنه من غير تكلف ومحاضرة بديعة .

وسافر في آخر أمره إلى الحج بحرأ فأت وهو في السفينة يوم الثلاثاء عشري شهر ربيع الأول سنة ١٠٩٦ ، وأراد الملاحون إلقاءه في البحر لبعد البر عنهم ، فقامت ريح شديدة قطعت شراع السفينة ، فقصدوا البر وأرسوا بمكان يقال له : رأس أبي محمد فدفنوه به ، ثم نقله ولده الشيخ عيسى بعد بلوغه خبره إلى مصر ، ودفنه بها بالقرافة الكبرى بتربة السادة المالكية ، ووصل إلى مصر ولم يتغير جسده ، واتفق أنه لما أرسل ولده بعض العرب ليكشف له عنه القبر ، ويأتوا به إليه تاهوا عن قبره ، فإذا هم برجل يقول لهم : ما تريدون ؟ فقالوا : قبر الشيخ يحيى ، فأراهم إياه فكشفوا عنه فوجدوه بحاله لم يتغير منه شيء ، فوضعوه في تابوت وأتوا به إلى مصر فدفنوه بتربة المالكية ، التي كان جددها ورممها ، ولم يلبث بعده ولده الشيخ عيسى إلا نحو ستة أشهر ، فأت فدفنوه على أبيه ، ووجدوه على حالة لم يتغير منه شيء رحمهما الله تعالى .

وترجم له في «نشر المثاني» بما نصه : ومنهم (ممن لم يقف على وفياتهم) الشيخ العالم الشهير أبو زكرياء يحيى الشاوي صاحب «الحواشي على الصغرى» ومدرس الأزهر ، وكان له صيت عند المغاربة ، وتوصل بأرباب الدولة إلى ولاية قضاء المالكية ، ثم ولي إمارة الحاج المغربي ، وحج بالركب مرتين ،

وانتشرت القالة فيه ، وكثر مادحوه وأكثر منهم ذاموه ، وكان من أذكىاء الطلبة النجباء ، له معرفة حسنة في علم النحو ، ومشاركة في غيره ، مواظب على العلم والتعليم إلا أن الرياسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه ، قال جميع ذلك أبو سالم في « رحلته » ولم أقف على تعيين زمن وفاته ، وفي بعض التقايد أنه ورد الخبر بوفاته ثاني عشر ذي القعدة عام ١٠٩٧ .

وترجم له في « صفوة من انتشر » بقوله : ومنهم الفقيه العلامة أبو زكرياء يحيى الشاوي الجزائري ، كان رحمه الله فقيهاً متضلعا بفنون العربية وغيرها ، أخذ عن الشيخ التواتي النحوي ، ثم رحل إلى الحجاز فدخل مصر ودرس بالأزهر ، فاعصوصت عليه جماعة من طلبة المغاربة ، فصار له صيت عند المغاربة إلى أن توصل لأرباب الدولة ، فتولّى قضاء المالكية ، وترقّت به الحال إلى أن تولى إمارة الحاج المغربي ، وحج بالركب مرتين ، وانتشرت القالة فيه وكثر مادحوه وأكثر منهم ذاموه ، ولا شك ، أنه من نجباء الطلبة إلا أن الرياسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه ، ولم تزل حالته في ازدياد إلى أن بلغه أن بعض الفقهاء بالمدينة المنورة أنشأ محرراً في المسجد النبوي ، فذهب إليه من مصر بنية قتله ، فأدركته المنية في الطريق سنة ١٠٩٧ . وله تأليف حسنة منها « حاشية على الصغرى » وحاشية على التفسير سماها « الحاكمة » وغير ذلك اهـ .

### يحيى التدلسي ( من تدلس )

#### « نيل الابتهاج »

يحيى بن يذير بن عتيق التدلسي أبو زكرياء الفقيه العالم العلامة قاضي توات .

أخذ عن الإمام ابن زاغو وغيره ، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الكريم

المغيلي . وتوفي في قسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال ١٠ صفر عام ٨٧٧ ، كذا  
وجدته بخط تلميذه ابن عبد الكريم المغيلي المذكور .

### يُوسُفُ أَبُو الْفَضْلِ بْنِ النَّحْوِي « نيل الابتهاج »

يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل ، عرف بابن النحوي ناظم  
« المنفرجة » ، توزري الأصل من قلعة بني حماد ، صاحب اللخمي . قال  
ابن الأَبَّار : أخذ « صحيح البخاري » عن اللخمي ، ولما جاء سأله اللخمي ما جاء  
بك ؟ فقال : جئت لنسخ تبصرتك ، فقال له : تريد أن تحملني في كفك  
للغرب أو كلاماً هذا معناه ، يشير إلى أن علمه كله فيها .

وأخذ عن المازري ، وأبي زكرياء الشقراطسي ، وعبد الجليل الربيعي ،  
وكان عارفاً بأصول الدين والفقه ، يميل إلى النظر والاجتهاد ، له تأليف ،  
حدث وأخذ عنه ، وروى عنه القاضي أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي ،  
وتوفي عن ثمانين سنة بقلعة بني حماد في محرم سنة ثلاث عشرة وخمسة مئة  
(٥١٣) هـ .

وقال أبو العباس الغبريني في « عنوان الدراية » : كان من العلماء العاملين  
وعلى سنن الصالحين ، مجاب الدعوة حاضراً مع الله في غالب أمره ، له اعتقاد  
تام بإحياء الغزالي ، دخل قاضي الجماعة يوماً في الجامع وهو يقرر للطلبة  
علم الكلام ، فسأل القاضي عن الحلقة ، فأخبر ، فأمر بإبطال الدرس ،  
فقال أبو الفضل : كما تسبب في إهانة العلم فأرنا فيه العلامة ، وخرج فتبعه  
ولد القاضي ، وله اعتقاد في أبي الفضل فقال له : ارجع لوالدك لتواريه ،  
فرجع فوجد أباه قتل صبراً ، قتله بعض أعدائه ، ويذكر أن أبا الفضل ما دعا

قط إلا استجيب وهو ناظم : « اشتدِّي أزمة تنفرجي » هـ

وقال أبو العباس التقاوسي توفي بالقلعة الحمادية سنة ثلاث عشرة وخمس مئة (٥١٣) ، وقبره مشهور بها بالبركة أحد أئمة الإسلام وأعلام الدين ، قال القاضي أبو عبد الله بن علي بن حماد : كان أبو الفضل بيلادنا كالغزالي في العراق علماً وعملاً ، وقال عياض : أخذ هو والمازري عن اللخمي ، كان من أهل العلم والفضل ، شديد الخوف من الله ، غالب حاله الحضور معه تعالى ، لا يقبل من أحد شيئاً إنما يأكل مما يأتيه من توزر<sup>(١)</sup> .

أصبحتُ فيمن لهم دينٌ بلا أدبٍ \* ومن له أدبٌ عارٍ من الدينِ  
أصبحتُ فيهم غريبَ الشكلِ منفرداً \* كبيتِ حسَّانٍ في ديوانِ سَحْنُونِ  
أشار لقوله في الجهاد :

وهانَ على سراقِ بني لُؤيٍّ \* حريقُ بالبُويرَةِ مُستَطِيرِ

وكان يصلي فيكثر رفع الصوت من داره باللغظ ، فقال ضيف عنده لابنه : أما تشغلون خاطر الشيخ ؟ قال : إذا دخل في الصلاة لم يشعر بذلك ، ثم أدنى السراج من عينيه ، فما شعر لحضوره مع ربه وغيبته عن غيره .

وأقرأ بسجلماسة « الأصلين » فقال ابن بسام أحد رؤساء البلد : يريد هذا أن يدخل علينا علوماً لا نتعارفها فأمر بطرده من المسجد ، فقال : أمت العلم أمانك الله هنا ، فجلس ثاني اليوم لعقد نكاح سحراً فقتلته صنهاجة ، وجرى له مثله بفاس مع قاضيها ابن دبوس ، فدعا عليه فأصابته أكلة في رأسه فوصلت لحلقه فمات ، وقطع ليلة خروجه في صبحها بسجدة قائلاً فيها : اللهم عليك بابن دبوس ، فأصبح ميتاً ، ولما أفتى الفقهاء بحرق الإحياء فأحرق في صحن مراکش ، ووصل كتاب سلطان لتونة بذلك ، وتحليف الناس بمغلف اليمين

(١) هكذا في الأصل المطبوع بفاس ، وانظر ترجمته المنقولة هنا من « الجذوة » .

أن ليس عندهم الإحياء ، انتصر وكتب للسلطان وأفتى بعدم لزوم تلك الأيمان ،  
ونسخ الإحياء ثلاثين جزءاً يقوم كل يوم في رمضان ، فينسخ جزءاً قائلاً  
وددت أني لم أنظر في عمري سواه ، وكان إذا تأخر ما يأتيه من بلده دعا بدعاء  
الخنصر : اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء الخ فيفرج عنه ، وشكى  
إليه بعض أهله الضيق من فراره من ظالم بلده ، ورغبه في رفع الأمر للظالم  
ليأذن له بالرجوع ، فقال : سأفعل وتضرع لله تعالى في تهجده فقال :

لبستُ ثوبَ الرِّجاء والنَّاسُ قد رَقَدُوا \* وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجْدُ  
وقلتُ يا سيدي يا منتهى أُملي \* يا مَنْ عليه بكَشْفِ الضُّرِّ اعْتِمِدُ  
أشكوا إليك أموراً أَنْتَ تعلمُها \* مالي على حَمْلِها صَبْرٌ ولا جَلْدُ  
وقد مددتُ يدي للضُّرِّ مُشْكياً \* إليك يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليه يدُ

ونظم « منفرجه » وأعاد أهله السؤال ، فقال : بلغ الأمر أهله ، وسترى  
فعن يسير ورد الكتاب من توزر بالتلطف للشيخ ، ورغبته أن يرجع فقال  
للسائل : قُضيت الحاجة ، ورأى الباغي في نومه فارساً يحمل عليه بيده حربة  
من نار فتنبه مذعوراً ويتعوذ ثم ينام ويعاوده إلى أن قال : إنما يتعوذ من الشيطان ،  
وأنا ملك ومالك وللعبد الصالح .

قال الشيخ أبو القاسم ابن الملجوم الفاسي: ورد أبو الفضل فاساً فلزمه أبي  
وحفظ « لُمع » الشيرازي عام أربعة وتسعين وأربع مئة ، وسافر منها للقلعة  
فأخذ نفسه بالتقشف ، ولبس خشن الصوف ، وكانت جبهته إلى ركبته ، فمر يوماً  
بالفقيه أبي عبد الله بن عصمة المقتي فلم يُسلم عليه لشغل باله ، فعظم عليه فلما  
رجع ناداه محقراً يا يوسف ! فجاءه فقال له : يا توزري صفرت وجهك ،  
ورققت ساقيك ، وصرت تمر ولا تسلم ، فاعتذر فلم يقبل وأغلظ له في  
القول ، فقال : غفر الله لك يا فقيه يا أبا محمد فانصرف . وكان مجاب الدعوة  
حتى يقال : نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي . وحصلت له المزية في الفقه

والنظر ، وأخذ عنه جماعة من الأئمة الأعلام النظار كالفقيه أبي عبد الله محمد ابن الرامة رئيس مفتي فاس ، والأخوين الفقيهين أبي بكر ومحمد ابني مخلوف ابن خلف الله ، والفقيه أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي ، قال الحافظ الزاهد أبو الحسن ابن حرزهم : أوصاني أبي أن أقبل يد أبي الفضل متى لقيته ، ولو لقيته في اليوم مئة مرة ، فبعثني إليه يوماً ليدعوني ، فأتيته عند الغروب فأذن وأقام وصليت معه ، فلما أراد أن يكبر نظرت لثوبه على كتفه يتحرك حركة شديدة يسمع صوته من شدة الخوف ، فلما سلم دعا لي فأنصرفت لأبي ، وقلت له : رأيته صلى قبل وقت صلاة أهل البلد فقال لي : أتتكلم في ولي الله ، وهل وقت المغرب إلا الذي صلى فيه ، وإنما ابتدعوا التأخير عنه ، ثم قال لأمي هذا صبي نرجو أن ينفع الله به فإني وجدت بركة أبي الفضل ، ولقد دخل وعليه نور فعلمت إجابة دعوته فيه اه . فكان كذلك ومن كريم خلقه أن شاباً من الطلبة بادر السلام عليه فأراق الحبر على ثوبه ، وكان أبيض فحجل فقال الشيخ : كنت أقول أي لون أصبغ ثوبي فالآن أصبغه حبرياً فبعث به للصباغ اه ملخصاً .

وفي « جذوة الاقتباس » : يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي ، يكنى أبا الفضل من قلعة حماد ، وأصله من توزر ، ودخل سجلماسة ، ومدينة فاس ثم عاد إلى القلعة وبها توفي . صحب أبا الحسن اللخمي وأخذ عن عبدالله المازري ، وأبي زكرياء الشقراطيسي ، وعن عبد الجليل الربيعي ، وأخذ عن أبي الفضل أبي عبدالله محمد بن علي عرف بابن الرامة ، وموسى ابن حماد الصنهاجي وغيرهما .

وكان أبو الفضل من أهل العلم والعمل ، وكان ممن انتصر لعدم إحراق « الإحياء » للغزالي ، وكتب علي بن يوسف إلى مدينة فاس بالتحرج على الناس في كتاب « الإحياء » ، وأن يحلف الناس بالآيمان المغلفة أن الإحياء

ليس عندهم ، قال أبو الحسن بن حرزهم : لما وقع هذا ذهبت إلى أبي الفضل  
أستفتيه في تلك الأيمان فأفتاني بأنها لا تلزم ، وكانت على محمله أسفار ،  
فقال لي : هي من الإحياء ، ووددت أني لا أنظر في عمري سواها ، قال ابن  
الرمامة المذكور وأنشدني أبو الفضل :

أصبحتُ فيمنَ له دينٌ بلا أدبٍ \* ومَنَ له أدبٌ عارٍ منَ الدينِ  
وقد غدوتُ لفقدِ الشَّكلِ منفرداً \* كبيتِ حسانَ في ديوانِ سَحُونِ

وكان يقال : نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي ، ولما التقى بأبي الحسن  
اللمخي سأله ما جاء به ، فقال : جئت لأنسخ تأليفك المسمى بـ « التبصرة »  
فقال له : إنمّا تريد أن تحملني في كفك إلى المغرب ، يشير إلى أن علمه كله  
في هذا الكتاب .

حكى عن ابن حرزهم أنه قال : كان أبو الفضل يلبس البياض ، فدخل  
عليه شابٌ من طلبة العلم ، فبادر أن يسلم عليه فأراق الحبر على ثوب أبي  
الفضل ، فخجل الطالب فقال له أبو الفضل مُزِحاً عنه الخجل : كنتُ أقول  
أيّ لون أصبغ به هذا الثوب ، فالآن أصبغه حبرياً ، فجرّده وبعث به إلى  
الصباغ ، وببركة دعائه انتفع أبو الحسن ابن حرزهم ، وكان نزوله بفاس  
بعقبة ابن دبوس ، وكان عارفاً بأصول الدين والفقه ، ولقي من أهل فاس  
أموراً يطول ذكرها ، فدعا على القاضي ابن دبوس فأصابته أكلة في قرن  
رأسه ، فانتبت إلى حلقة فمات ، وله « المنفرجة الجيمية » ونظمه في مدينة فاس :

يا فاسُ منكُ جميعُ الحُسْنِ مُسْتَرَقٌ \* وساكنوكُ أهنئهم بما رزقُوا  
هذا نسيْمُكُ أم رَوْحٌ لراحَتِنَا \* وماؤكُ السلسلُ الصّافي أم الورقُ  
أرضُ تخلّلها الأنهارُ داخلُها \* حتّى المجالسُ والأسواقُ والطُرُقُ

توفي رحمه الله بقلعة بلده سنة ٥١٣ .

هذا ما وجدته في كُتب من أشرت إليهم في المقدمة ، وكله منقول منها بالحرف ، ولم أتصرف فيه بزيادة أو نقص إلا قليلا ، والقليل الزائد نسبته إلى قائله إن كان منقولاً ، وقد أدرجت تراجم بعضهم في هذا المجموع ، وفي المدرسة الشعلبية تذكاراً وشكراً وهم الغبريني والتنبكي والمديوني والمقري وابن الخطيب القسنطيني ، ولترجم باقيهم هنا باختصار كثير ، إلا الكتاني صاحب « سلوة الأنفاس » لوفاته رحمه الله قبل اليوم بستين أو ثلاث فقط .

### إبراهيمُ ابنُ فرحون في « نيل الابتهاج »

إبراهيمُ بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليغمري (بفتح الياء وسكون العين وفتح الميم) الأياني (بضم الهمزة وشد الياء) ، ثم الجياني الأصل ، المدني ، من أهل التحقيق يعرف ببرهان الدين ، أبوه وعمه وجده علماء .

كان واسع العلم ، فصيح القلم ، كريم الأخلاق ، حلو المنظر . رحل إلى مصر مراراً وإلى القدس ودمشق سنة ٧٩٢ ، وتولى القضاء بالمدينة سنة ٧٩٣ ، ومات سنة ٧٩٩ .

أخذ رحمه الله ورضي عنه عن والده ، وعمه ، والجمال الدمنهوري ، وابن جابر الهواري ، ومحمد بن عرفة نزيل الحرمين .

ومن تأليفه شرح مختصر ابن الحاجب « تسهيل المهمات على جامع الأمهات » جمع فيه ابن عبد السلام وابن راشد وابن هارون وخليل ، وغيرهم و « تبصرة الحكام » و « الديباج المذهب في أعيان المذهب » فيه نيف وثلاثون وست مئة نفس ، جمعه من نحو عشرين كتاباً و « كشف انتقاب الحاجب

عن مصطلح ابن الحاجب « مقدمة من عرفها سهل عليه مشكلات الكتاب ،  
ومما لم يكمل اختصار « تنقيح » القرافي سماه « اقليد الأصول » وصل إلى الناسخ .  
وتأليفه في غاية الإفادة لاتساع علمه ، عاش لم يملك داراً ولا نخلاً ، إنما  
يسكن بالكراء ويأكل بالسلف والدين مع كثرة عياله ، وأمه شريفة وكذا  
أم أبيه ، ذكره الإمام عمه أبو محمد ابن فرحون في « تاريخ المدينة » اهـ .

### أحمدُ ابنُ القاضي في « نشر المثاني »

العلامة المؤرخ أحمد بن محمد الشهير بابن القاضي ، صرَّح في كتابه  
« جذوة الاقتباس » أنه من نسل موسى ابن أبي العافية ، وتبرأ من فعل جده  
مع أهل البيت ( وليس من نسله كما في « السلوة » ) .

كان فقيهاً مؤرخاً ضابطاً أخذ عن عدة شيوخ في المغرب ، منهم أبو العباس  
المنجور ، ويحيى السراج ، وابن جلال ، وابن مجبر المساري ، والقصار ،  
وأحمد بابا السوداني ، ورحل إلى المشرق وأخذ عن عدة شيوخ ، منهم العلقمي ،  
والسهنوري ، والحطاب ، والبدر القرافي أيضاً .

وألَّف تأليف مفيدة منها « جذوة الاقتباس فيمن حلَّ من الأعلام مدينة  
فاس » و« دُرَّةُ الحجَّال في أسماء الرجال » نظم ذيل به رقم الحلل لابن الخطيب  
و« نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل » .

ولد رحمه الله عام ٩٦٠ ، وتوفي سنة ١٠٢٥ ، وأشار المكلائي لوفاته  
بقوله :

وخرَّ شهابُ الدِّينِ أحمدُ مَنْ بِـ \* وهو شهابُ ظلمةُ اللَّيلِ تنجلي

٥١. باختصار وترجمته في « سلوة الأنفاس » ( صفحة ١٣٣ من الجزء ٣ بطبع فاس سنة ١٣١٦ هجرية ) أحسن منها وأطول .

### محمد أمين المَحَبِّي

من « سلك الدرر في أعيان القرن ١٢ للمراي »

ترجمه ترجمة حافلة مختصرها أنه محمد أمين المَحَبِّي بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود المَحَبِّي الحموي الأصل ، الدمشقي المولد والدار ، الحنفي ، العلامة الأديب المفضل المؤرخ الفاضل الشاعر الماهر ، أعجوبة الزمان .

ولد سنة ١٠٦١ ، وقرأ على شيوخ منهم الشيخ عبد الغني النابلسي ، وأخذ الطريق الخلوتية عن الشيخ محمد العباسي الخلوتي . وأجاز له الشيخ يحيى الشاوي ، والشيخ محمد بن سليمان المغربي ، وكان له خط عجيب ، وألّف مؤلفات حسنة كـ « ذيل ريحانة الخفاجي » و « خلاصة الأثر في تراجم أهل الحادي عشر » فيه زهاء ستة آلاف ترجمة ، وناب في القضاء بمكة ومصر ودرّس بالأمينية في دمشق إلى أن توفي رحمه الله سنة ١١١١ .

### مُحمَّد بن الطَّيِّب القادري

من « سلوة الأنفاس للكتاني »

سيدي محمد بن الطَّيِّب بن عبد السلام الحسني القادري .

ولد رحمه الله يوم ٧ ربيع النبوي عام ١١٤٤ ، وتفقّه على جماعة كأبي العباس ابن المبارك ، ومحمد بن عبد السلام البتاني ، والمصمودي المعروف بالفندور : ومحمد الكبير بن محمد السرخيني العنبري ، وهو والذي قبله

عمدته ، وأبي عبد الله جسوس وأضرابهم . وكان جليلاً جميلاً مشاركاً أديباً  
مؤرخاً صوفياً واسع الحلم كاظماً للغيظ زكياً ذكياً غواصاً على الدقائق في  
كل فن .

ولقي جماعة من الأشياخ كالدلائي والمدرع الأندلسي ، وعبد السلام  
التواتي ، وانتفع بإرشادهم قولاً وفعلاً ، واستدعى الإجازة من الشيخ أبي  
عبد الله محمد بن سالم الحفناوي فأجازه بالإجازة العامة في جميع ما تجوز له  
وعنه روايته ، وكان قلمه أبلغ من لسانه .

وألف رحمه الله تأليف عديدة في فنون مختلفة ، منها « نشر المثاني لأهل  
القرن الحادي والثاني » في سفرين و« مستفاد المواعظ والعبر في أخبار أعيان  
أهل المئة الحادية والثانية عشر » و« الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج » .  
وتوفي رحمه الله عشية يوم الخميس ٢٥ من شعبان سنة ١١٨٧ ، ودفن يوم  
الجمعة بعد صلاتها .

انتهى القسم الأول

من كتاب تعريف الخلف برجال السلف



# فهرس الأعلام

## القسم الأول

### الصفحة

|    |                                   |
|----|-----------------------------------|
| ١٣ | إبراهيم بن أبي بكر التلمساني      |
| ١٥ | أبو القاسم بن أبي عبدالله الفيحجي |
| ١٦ | أحمد بابا التنبكتي                |
| ٢٥ | أحمد الغبريني                     |
| ٣١ | أحمد بن أحمد الندرومي             |
| ٣٢ | أحمد بن حسين القسطنطيني           |
| ٣٧ | أحمد السوداني                     |
| ٣٨ | أحمد بن عبدالله الجزائري          |
| ٤١ | أحمد بن عثمان                     |
| ٤٦ | أحمد بن محمد ... ابن زاغد         |
| ٤٨ | أحمد بن محمد المقرئ               |
| ٦٢ | أحمد بن يحيى الونشريسي            |
| ٦٣ | حسن بن علي المسيلي                |
| ٦٦ | سعيد بن إبراهيم قدورة             |
| ٦٧ | عبد الحق بن علي                   |

## الصفحة

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ٦٧  | عبد الرحمن الأخضرى             |
| ٦٨  | عبد الرحمن بن محمد الثعالى     |
| ٧٢  | عبد الرحمن الوغلىسى            |
| ٧٣  | على الأنصارى                   |
| ٧٧  | على بن عثمان المنقلاى          |
| ٧٨  | عمران بن موسى المشوالى         |
| ٨١  | عمر بن محمد الكماء             |
| ٨٢  | عىسى الثعالى                   |
| ٩٠  | قاسم بن سعىد التلمسانى         |
| ٩٢  | قاسم بن عىسى بن ناجى           |
| ٩٣  | محمد بن إىراهم العبدرى         |
| ١٠٩ | محمد بن أبى القاسم المشدالى    |
| ١١٠ | الشرف التلمسانى                |
| ١٢٧ | محمد الجلاب التلمسانى          |
| ١٢٨ | محمد بن مرزوق الحفید           |
| ١٤١ | ابن مرزوق الخطیب جدّ الحفید    |
| ١٤٩ | ابن مرزوق حفید الحفید          |
| ١٤٩ | ابن مرزوق الكفیف               |
| ١٥١ | ابن صعد التلمسانى              |
| ١٥١ | محمد بن أحمد ابن مریم المدیونى |
| ١٦٤ | محمد بن عبد الجلیل التنسى      |
| ١٦٦ | محمد بن عبد الکریم الفکون      |

الصفحة

|     |                                                           |
|-----|-----------------------------------------------------------|
| ١٧٠ | ..... محمد بن عبد الكريم بن محمد المظلي التلمساني التواني |
| ١٧٤ | ..... محمد بن عمر الهواري                                 |
| ١٧٦ | ..... محمد بن المسيح القسطنطيني                           |
| ١٧٦ | ..... محمد بن عمر المليكشي                                |
| ١٧٩ | ..... محمد السنوسي التوحيدي                               |
| ١٨٩ | ..... يحيى المازوني                                       |
| ١٩٠ | ..... يحيى الشاوي                                         |
| ١٩٤ | ..... يحيى التدلسي                                        |
| ١٩٥ | ..... يوسف أبو الفضل بن النحوي                            |
| ٢٠٠ | ..... إبراهيم ابن فرحون                                   |
| ٢٠١ | ..... أحمد ابن القاضي                                     |
| ٢٠٢ | ..... محمد أمين المحي                                     |
| ٢٠٢ | ..... محمد بن الطيب القادري                               |